إعداد مرهف كمال الجاني
رابطة الطلبة السوريين في مصر
المنتدى التربوي الجامعي في سورية
منتدى الطلبة السوريين في مصر
morhafsyria@hotmail.com

الجامعة الإسلامية ـ غزة
عمادة الدراسات العليا
كلية التربية
قسم أصول التربية

الأبعاد التربوية لِسُنَّةِ الابتلاء
في ضوء الفكر التربوي الإسلامي

إعداد الطالب
محمد إسماعيل سيد أبو سخيل

إشراف
الدكتور/ حمدان عبد الله الصوفي

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في أصول التربية _ شعبة التربية الإسلامية

(١٤٢٨هـ _ ٢٠٠٧م)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ، هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ }

(آل عمران: ١٣٧، ١٣٨)

{ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ }

(الأنبياء: ٣٥)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهـــــداء

إلى روح والدتي وروح والدي الطاهرين _ رحمهما الله_...

إلى زوجتي الغالية التي واكبت معي معاناة كتابة هذه الرسالة، وشجعتني على الاستمرار...

إلى أبنائي الأعزاء الذين تحملوا وصبروا وهم يرمقونني بعيونهم في كتابة هذه الرسالة...

إلى أرواح الشهداء الذين بذلوا دماءهم الطاهرة دفاعا عن الإسلام، ودفاعا عن فلسطين...

إلى المجاهدين السائرين في طريق التضحية والفداء...

إلى الأسرى البواسل الذين يقدمون زهرة شبابهم خلف الزنازين...

إلى أحبتي رفاق الدرب والمسيرة والعطاء...

إلى أصحاب الرسالة وحملة لواء الدعوة إلى دين الله والاعتصام بحبل الله...

إلى كل من شجعني ودفعني نحو الأمام ودعا لي في ظهر الغيب...

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع...

وأسأل الله أن يتقبل مني هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وأن ينفع به المؤمنين الصادقين السائرين على درب الإسلام العظيم.

الباحث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وعرفـــان

الحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصـــحبه أجمعين، وبعد.

عملاً بقوله تعالى: (**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**) (الرحمن:٦٠) وقول رسولنا الكريم: (مـــن لا يشكر الناس لا يشكر الله) (الترمذي، ب.ت، ٣٣٩/٤، ح١٩٥٤) وقوله صلى الله عليه وآلـــه وسلم: (من صنع إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوا به فادعوا له حتى تروا أنكم قـــد كافأتموه) (أبو داود، ب.ت، ٥٢٤/١، ح١٦٧٢) .

أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان **للدكتور حمدان عبد الله الصوفي** على إشـــرافه علـــى هـــذه الدراسة، حيث كان له الأثر الكبير في دفعي نحو التقدم والعطاء في هذه الدراســـة، ولـــم يـــوفر جهدا أو علما إلا أفاض به علي، طوال دراستي في الدبلوم الخاص، وإشرافه على الدراسة، كما أتقدم بالشكر الجزيل **للأستاذ الدكتور الفاضل محمود خليل أبـــو دف** على دعمه المستمر، وعلمه الذي أفاضه علينا طوال دراسة الدبلوم، وتشجيعه لنا في كتابة الدراسة.

لقد كان بحق للدكتورين الفاضلين، أثر كبير في نفسي وتقديري للأمور، على امتداد أكثـــر مـــن عامين، كان عطاؤهم معيناً لا ينضب، فأسال الله العلي الكبير أن يجزيهم عنا خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر لكل الإخوة الذين ساهموا وساعدوا وشجعوا، فكانوا خيـــر الإخـــوان، وخيـــر الأحباب.

كما أتقدم **للجامعة الإسلامية**، هذا الصرح العظيم بالشكر والعرفان، لما قدموه ويقدمونـــه لكـــل طلبة العلم في فلسطين من أداء متميز، فأصبحت أنموذجاً يحتذى به، ومنـــارة للعلـــم والعلمـــاء، سائلا المولى أن يحفظ هذا الصرح من كيد الكائدين وحسد الحاسدين، وأن تبقى دائمـــة العطـــاء لأبناء فلسطين.

وأخيرا أسأل الله أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص الدراسة

هدفت الدراسة التعرف على الأبعاد التربوية لسنة الابتلاء في ضوء الفكر التربوي الإسلامي، ممثلة في الأبعاد العقائدية، والأبعاد الأخلاقية، والأبعاد الاجتماعية، والأبعاد النفسية.

وتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، الذي يتناول دراسة أحداث وظواهر وممارسات قائمة موجودة متاحة للدراسة، كما تم استخدام المنهج الأصولي الاستنباطي، وهو منهج يشير إلى التحقق من صدق المعرفة الجديدة، بقياسها على معرفة أخرى سابقة، ولتحقيق أهداف هذه الدراسة قام الباحث بجمع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء، وتصنيفها بحسب الأبعاد التربوية التي تتضمنها وتشير إليها(البعد العقدي_ البعد الأخلاقي_ البعد الاجتماعي_ البعد النفسي) ومن ثم استنباط الأبعاد التربوية من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء مقتصرة على الأبعاد العقائدية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية.

ومن أبرز النتائج التي توصلت لها الدراسة ما يلي:

١_ سنة الابتلاء في الإسلام تعتبر تكليفا إلهيا ليس للإنسان حكم في اختيارها.

٢_ سنة الابتلاء تكشف معادن الناس، وهي مبنية على قدرة الإنسان على الاختيار بين الخير والشر.

٣_سنة الابتلاء تتصف بخمس خصائص هي: أولاً: سنة ربانية، ثانياً: حتمية سنة الابتلاء، ثالثاً: أنها ذات طابع إنساني،رابعاً: أنها سنة مطردة ومتتابعة، خامساً: الشمولية.

٤_ يتعرض الإنسان إلى أنواع مختلفة من الابتلاءات، من حيث العموم والخصوص، ومن حيث المدى، ومن حيث النوع.

٥_ تم استنباط أهم الأبعاد التربوية العقائدية لسنة الابتلاء على صعيد الفرد، وعلى صعيد الجماعة، كان من أبرزها: تحقيق العبودية لله عز وجل، و تزكية النفس والإخلاص لله، و التوبة إلى الله والإنابة إليه، و التضرع والدعاء إلى الله

٦_ تم استنباط أهم الأبعاد التربوية الأخلاقية، كان من أبرزها: التحلي بالصبر على الابتلاء و المحن، و التحلي بخلق الصدق قولاً وعملاً، و التحلي بخلق التواضع.

٧_ تم استنباط أهم الأبعاد الاجتماعية، كان من أبرزها: تحقيق العدالة الاجتماعية ومواجهة الظلم في المجتمع، و تحقيق الحرية للفرد والمجتمع، و تحقيق الشورى والديمقراطية في المجتمع.

٨_تم استنباط أهم الأبعاد النفسية، كان أبرزها: استواء الفطرة لدى الإنسان، و تحقيق السعادة والفرح في حياة المؤمنين، و الرضا بقضاء الله وقدره.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد أوصت الدراسة بما يلي:

١_ أن يتم إعداد دراسات متنوعة تعنى باستنباط الأبعاد التربوية للسنن الإلهية في الجماعات والأفراد، لما لها من أهمية في حياة المجتمع والأفراد.

٢_ عقد دورات متخصصة في دراسة السنن الإلهية، من خلال تحديد تلك السنن، والتعريف بها ودفع العاملين في مجال البحث العلمي في استنباط الأبعاد التربوية لتلك السنن.

٣_ إصدار النشرات التثقيفية المتعلقة بالسنن الإلهية وإيصالها الدعاة في المساجد والمؤسسات التعليمية، لتعريف الناس بها وبأهميتها.

٤_ عقد مؤتمرات علمية متخصصة، في مجال السنن الإلهية، لدفع العاملين للبحث والكتابة في هذا المجال.

٥_ إعداد دراسات ميدانية تشخص الأبعاد التربوية لسنة الابتلاء المتعلقة بالبيئة الفلسطينية لما لها من خصوصية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

The aim of this study was to identify the educational dimensions of affliction in light of the Islamic educational perspective, which includes many dimensions; doctrinal, moral, social, and psychological. The researcher utilized two research methodologies; the descriptive analytical methodology used to study contemporary events and phenomena, and the inference methodology. To complete the study, the researcher collected data from different sources; Quran's statements, Hadith, and Islamic scholar's talks.

Analysis of data was completed by classifying data according to the Islamic educational perspective and dimensions listed above.

Major study results:

1. Moslems have no choices when they encounter affliction from God.
2. Affliction discovers the quality of people, which is based on the capability of a human being in distinguishing between good and bad deeds.
3. The five characteristics of affliction are: God's event, inevitable, humane, continuous and comprehensive.
4. Human being is constantly exposed to different types of affliction.
5. The educational doctrinal dimensions were identified on the individual level and the group level as well; some of the main results in this dimension include: God's worship, purification of soul, loyalty to God, and repentance.
6. The educational moral dimensions were identified and included: patience, truthfulness, and humble morals.
7. The educational social dimensions were identified and included, social justice and oppression, freedom, and democracy.
8. The educational psychological dimensions were identified and included: religious instincts, happiness, and acceptance of God's destiny.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Study recommendations:

1. Conduct more research studies focused on Islamic educational dimensions.
2. Support research scholars to conduct Islamic studies through special workshops and sessions in this field.
3. Publish and disseminate educational papers and brochures related to Islamic educational doctrine in mosques and other educational settings.
4. Hold conferences focused on Islamic educational studies.
5. Design appropriate research studies to detect the different educational dimensions of affliction applied to the Palestinian society.

Student name:	**supervisor**
Mohammed Abu Skheil	Dr. Hamdan Elsofi

www.manaraa.com

قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء.....	أ
شكر وعرفان.....	ب
الملخص بالعربية	ج
الملخص بالإنجليزية.....	هـ
قائمة المحتويات	ز
الفصل الأول **إطار العام للدراسة**	١
المقدمة	٢
مشكلة الدراسة.....	٤
أهداف الدراسة.....	٤
أهمية الدراسة.....	٥
حدود الدراسة.....	٥
مصطلحات الدراسة.....	٥
منهج الدراسة.....	٦
الدراسات السابقة.....	٧
التعقيب على الدراسات السابقة	٩
خطوات الدراسة.....	١٠
الفصل الثاني **مفهوم سنة الابتلاء في الإسلام**	
مدخل.....	١٢
أولا:التفسير الإسلامي لسنة الابتلاء.....	١٣
أ_ الابتلاء من لوازم التكاليف الشرعية.....	١٣
ب_ الدنيا دار الابتلاء والآخرة دار الجزاء.....	١٤
ج_ سنة الابتلاء ظاهرة صحية.....	١٦
د_ حقيقة الابتلاء وحكمتها.....	١٦
ثانيا: خصائص سنة الابتلاء.....	١٩
أ_ سنة ربانية.....	١٩
ب_حتمية سنة الابتلاء.....	٢٠
ج_ ذات طابع إنساني.....	٢٠
د_ سنة مطردة.....	٢١
ه_ الشمولية.....	٢١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	رقم الصفحة
ثالثاً:أنواع الابتلاء.....	٢٣
أ_ الابتلاء من حيث العموم والشمول.....	٢٣
١_ الابتلاء العام.....	٢٣
٢_ ابتلاء المؤمنين.....	٢٤
ب_ من حيث النوع.....	٢٦
١_ ابتلاء العقول.....	٢٦
٢_ ابتلاء النفوس.....	٣١
ج_ الابتلاء من حيث المدى.....	٣٢
١_ الابتلاء الفردي.....	٣٢
٢_ الابتلاء الجماعي.....	٣٨
الفصل الثالث **الأبعاد العقائدية لسنة الابتلاء**	
مدخل.....	٤٢
أولاً: الأبعاد العقائدية على الصعيد الفردي.....	٤٢
١_ تحقيق العبودية لله عز وجل.....	٤٢
٢_تزكية النفس والإخلاص لله.....	٤٣
٣_ التوبة إلى الله والإنابة إليه.....	٤٥
٤_ التضرع والدعاء إلى الله.	٤٧
٥_ تكفير الذنوب والخطايا ورفع المنزلة عند الله.....	٥٠
٦_ الثواب العظيم الذي أعده الله للمبتلين.....	٥١
٧_ التمييز بين المؤمن والكافر.....	٥٤
الأبعاد التربوية العقائدية على صعيد الجماعة.....	٥٥
١_ تحقيق عقيدة الولاء والبراء.....	٥٥
٢_ تمحيص المؤمنين.....	٥٨
٣_ التمييز بين المؤمنين والمنافقين.....	٦٠
٤_إظهار المؤمنين على حقيقتهم.....	٦٣
٥_ إخلاص النفوس وإخلاص الغايات والأهداف.....	٦٥
٦_الإعداد التربوي تمكينا للجماعة المؤمنة ونصرتها.....	٦٧
٧_ التضرع والدعاء إلى الله.....	٦٩
٨_ تحقيق الطاعة للأمير.....	٧٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الرابع **الأبعاد الأخلاقية لسنة الابتلاء**	
مدخل.....	٧٤
أولاً: الأبعاد الأخلاقية على الصعيد الفردي.....	٧٥
١_ التحلي بالصبر على الابتلاء والمحن.....	٧٥
٢_ التحلي بخلق الصدق قولا وعملا.....	٧٦
٣_ التحلي بخلق التواضع.....	٨١
٤_ التحلي بخلق الحلم والعفو والصفح.....	٨٥
٥_ التحلي بخلق الوفاء بالوعد والعهد.....	٩٠
٦_ التحلي بخلق الجود والبذل والإيثار والكرم.....	٩٣
٧_ التحلي بالشجاعة في القتال.....	٩٧
ثانياً: الأبعاد الأخلاقية على صعيد الجماعة.....	٩٩
١_ تحقيق الاستقامة على صعيد الجماعة.....	١٠٠
٢_ تحقيق القدوة الحسنة والنموذج الصادق.....	١٠٣
٣_ نصرة المظلومين والمستضعفين.....	١٠٥
الفصل الخامس **الأبعاد الاجتماعية لسنة الابتلاء**	
مدخل.....	١١١
١_ تحقيق العدالة الاجتماعية ومواجهة الظلم في المجتمع.....	١١١
٢_ تحقيق الحرية للفرد والمجتمع.....	١١٥
٣_ ترسيخ ثقافة الشورى في المجتمع المسلم.....	١١٩
٤_ تحقيق المساواة في المجتمع.....	١٢٣
٥_ تحقيق الأخوة في المجتمع.....	١٢٧
٦_ تحقيق التعاون في المجتمع.....	١٢٩
٧_ تحقيق التكافل الاجتماعي في المجتمع.....	١٣٢
٨_ تحقيق التراحم والرحمة في المجتمع.....	١٣٥
الفصل السادس **الأبعاد النفسية لسنة الابتلاء**	
مدخل.....	١٤٠
١_ تحقيق استواء الفطرة لدى الإنسان.....	١٤١
٢_ تحقيق السعادة والفرح في حياة المؤمنين.....	١٤٣
٣_ الرضا بقضاء الله وقدره.....	١٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	رقم الصفحة
٤_ تحقيق الأمن والطمأنينة في النفوس.....	١٤٦
٥_ استنهاض الإرادة والعزيمة.....	١٤٨
٦_ غرس الأمل والتفاؤل في النفوس.....	١٥٠
٧_ تعزيز أواصر المحبة بين قلوب المؤمنين.....	١٥٢
٨_ مجاهدة النفس.....	١٥٤
النتائج والتوصيات.....	١٥٧
أولاً: النتائج.....	١٥٧
ثانياً: التوصيات.....	١٦٠
قائمة المصادر والمراجع.....	١٦١

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصـــل الأول

الإطـــار العـــام للدراســـة

- المقدمة
- مشكلة الدراسة
- أهداف الدراسة
- أهمية الدراسة
- حدود الدراسة
- مصطلحات الدراسة
- منهج الدراسة
- الدراسات السابقة
- التعقيب على الدراسات السابقة
- خطوات الدراسة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصـــحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين وبعد:

إن حياة الإنسان المسلم في هذه الدنيا تقوم على العقيدة، هذه العقيدة التـــي تنطلـــق مـــن حقيقـــة التوحيد، توحيد الله عز وجل، وعدم الشرك به، ﴿**وَاعْبُـــدُوا اللَّـــهَ وَلَـــا تُـــشْرِكُوا بِـــهِ شَـــيْئًا**﴾ (النساء:٣٦) هذه العقيدة التي جاء بها الرسل ليوجهوا هذا الإنسان نحو خالقـــه، لينـــسجم مـــع حركة الكون، ويدرك حقيقة خلقه وسر وجوده في هذه الدنيا، ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ (النحل:٣٦) فبدون هذا التوحيد سيفقد الإنسان قدرتـــه علـــى الانطلاق والانسجام مع حركة هذا الكون، وإدراك غاية خلقه ووجوده.

توحيد الله هو الصراط المستقيم وهو القاعدة التي ينطلق من خلالها المسلم في تصوراته وفهمـــه وإدراكه لكل الأمور المتنوعة والمختلفة، ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**﴾ (الأعـــراف:٥٤) فتوحيـــد الله يقتضي توحيده في الخلق والأمر، أمر الله النافذ على جميع مخلوقاته، الذي ينسجم مع ما خلـــق وما يحقق المصلحة لهم.

وكل شيء في هذا الكون _ الذي من صنع الله وخلقه_ يسير وفق سنن محددة ومقدرة بـــأمر الله سبحانه وتعالى، ومن هذه السنن تلك التي تؤثر في حياة الناس، ومن أمثلة هـــذه الـــسنن: ســـنة التسخير فيقول تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِـــأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ (النحل:١٢) ، وسنة الزوجية فيقول عز وجل: ﴿**وَمِـــنْ آيَاتِـــهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَـــاتٍ لِقَـــوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (الروم:٢١) ، وسنة التدافع ﴿**وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَـــوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْـــصُرُهُ إِنَّ اللَّـــهَ لَقَـــوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ (الحج:٤٠) ، وسنة الابتلاء من السنن المهمة والخطيرة، التي يقوم عليها خلق الإنـــسان، حيث يقول عز وجل: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْـــسَنُ عَمَلًـــا وَهُـــوَ الْعَزِيـــزُ الْغَفُورُ**﴾ (الملك:٢) فحقيقة هذه الحياة هي ابتلاء من الله عز وجل وامتحان واختبار للإنسان.

إن سنة الابتلاء في واقع المؤمن والجماعة المؤمنة لها خصوصية كبيرة، وأهمية عظيمـــة فقـــد جاءت الآيات القرآنية تتحدث عن الابتلاءات والمحن التي سيتعرض لهـــا المؤمنـــون، موجهـــة ومربية لهم، وهي تخاطب الأفئدة والعقول؛ لتبعث فـــي نفوســـهم القـــوة والأمـــل للاســـتمرار والتواصل، وليميز الخبيث من الطيب،بحيث يتأهل الصفوة البررة ؛ لتحمل المسؤولية والأمانـــة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتحقق فيهم قول الله _تعالى _: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ (البقرة:١٤٣)

فيأتي النداء الرباني للمؤمنين، وهو يضع بين أيديهم حقيقة الابتلاء الذي سيتعرضون له، ويشحن هممهم ويستنهض قواهم وطاقاتهم للاستعداد للمواجهة فيقول عز من قائل: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ،وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ (العنكبوت: ٢، ٣)

ولقد أشار الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى سنة الابتلاء في العديد من المواقف المهمة في تاريخ الدعوة، ولا سيما في مرحلة البناء حينما جاءه بعض الصحابة يطلبون النصر ويشكون إليه، ففي الحديث الشريف: "شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا، فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون" (البخاري:١٩٨٧، ١٣٢٢/٣، ح٣٤١٦)

لقد كان التوجيه النبوي نحو الصبر وتحمل الصعاب، وتعويد هذه النفس على تحمل كل المشاق؛ لتخرج مخزون طاقاتها في التحدي والصمود ومواجهة أعتى القوى الاستكبارية.

وقد تحدث العلماء والكتاب المسلمون عن سنة الابتلاء في العديد من الدراسات التي تكشف عن أهميتها وخطورتها، فقد تحدث عنها أبو فارس قائلاً :"إن الحديث عن الابتلاء والمحن والفتن في الدعوات أمر ضروري لكل عمل إسلامي منظم؛حتى يبصر أفراده بطبيعة الطريق، ويهيئهم لتوطين نفوسهم على ما يعترضهم من عقبات وصعوبات وآلام،ويخفف على المبتلين ما يقاسونه من تعب ونصب وعنت" (أبو فارس،ب،ت، ٩) كما تحدث نصار أسعد نصار عن مفهوم الابتلاء في القرآن الكريم كظاهرة رافقت الخليقة منذ نشأتها (نصار: ٢٠٠٤:٥٣١)

وجاءت دراسة محمد أمين حسن محمد بني عامر ليرسم معالم الدعوة الإسلامية كما رسمتها سورة العنكبوت لدعاة الإسلام وحملته مشيراً إلى القاعدة الأولى من سنن الدعوات، الابتلاء والاختبار والتمحيص لحملة الإسلام للكشف عن حقيقة الإيمان عندهم وبيان الصادق من الكاذب.(بني عامر:٢٠٠٤:٥٧١) .

إن جهل المسلمين اليوم بسنة الابتلاء، وفي ظل الواقع المأساوي الذي تحياه الأمة يشكل خطرا كبيرا على مسيرة النهوض والوصول إلى التمكين، بسوء صنيع المسلمين وسوء ظنهم بالله،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وافتقادهم لأهلية التمكين التي وعد الله بها عباده الصالحين، ﴿**وَعَدَ اللَّـهُ الَّـذِينَ آمَنُـوا مِـنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُـمْ دِيـنَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾ (النور:٥٥)

إن الأمة اليوم بحاجة إلى أن تستوعب الأبعاد التربوية الحقيقية لسنة الابتلاء وهي تعيش هذه المرحلة القاسية والصعبة؛ لتستخلص العبر والدروس، وتصحح تصورها ومفاهيمها عن سنة الابتلاء وتضع أقدامها على الطريق نحو التمكين والنصر،فبدون أن يحقق الابتلاء أبعاده التي أرادها الله أن تحقق في نفوس الجماعة المؤمنة ستبقى هذه الأمة أسيرة في بوتقة الابتلاء لا تخرج منها، يقول تعالى﴿**أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُـونَ وَلَـا هُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ (التوبة:١٢٦) .

إن هذه الأبعاد تمثل جوهر وحقيقة الابتلاء بمفهومه الرباني، وبالحكمة الإلهية في جعله سنة تحكم مسيرة الجماعة المؤمنة،فالفهم والاستيعاب لتحقيق الأبعاد المرجوة من سنة الابتلاء هو واجب حتمي يفرضه الإسلام ويفرضه الواقع لتتحقق الشروط التي تنهض بالأمة وتجعلها أهلاً للتمكين وتسلم الأمانة.

لقد اخترت هذا الموضوع أملا أن يستفيد أبناء الإسلام من هذه الدراسة في مجال الدعوة إلى الله، وفي مجال حركة البناء للشباب المسلم، ولا تكون هذه الدراسة فضلا من الدراسات التي لا ينتفع بها أبناؤنا وإخواننا في واقع حياتهم الصعب، وخاصة أن أمتنا تعيش اليوم حالة المحنة والابتلاء، وتتكالب عليها الأمم من كل حدب وصوب، فوجدت أنه من الضروري أن تقدم دراسة موضوعية تكشف عن الأبعاد التربوية لسنة الابتلاء.

لقد كان لهذه الدراسة أثر عميق في روحي وفي نفسي، وأنا أقرأ في كتاب الله وأحاديث نبينا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، أنقب وأفتش عن أسرار وحكم الابتلاءات والمحن في حياتنا، فوجدت رحمة الله ونوره، فازددت إيماناً ويقيناً بحقيقة ونورانية هذا الدين العظيم، شعرت بنعمة الإسلام الذي يضيء ليل الحيارى.

كل ما أتمناه وأنا أكتب هذه الكلمات أن يشعر من يقرأ هذه الدراسة بما شعرت به، وأن يستطيع رؤية سنة الابتلاء كما استطعت رؤيتها في كتاب الله وسنة نبينا، فتكون دافعاً قوياً للعطاء والعمل من أجل رفع راية الإسلام، مهما عظمت التضحيات، وبلغت المحن والشدائد.

مشكلة الدراسة:

تتحدد مشكلة الدراسة بالسؤال الرئيس التالي:

ما الأبعاد التربوية لسنة الابتلاء في ضوء الفكر التربوي الإسلامي؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس أسئلة فرعية كما يلي:

١- ما مفهوم سنة الابتلاء في ضوء الفكر التربوي الإسلامي؟

٢- ما الأبعاد العقائدية لسنة الابتلاء ؟

٣- ما الأبعاد الأخلاقية لسنة الابتلاء؟

٤- ما الأبعاد الاجتماعية لسنة الابتلاء؟

٥- ما الأبعاد النفسية لسنة الابتلاء؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

١- التعرف إلى مفهوم سنة الابتلاء في ضوء الفكر التربوي الإسلامي.

٢- الكشف عن الأبعاد العقائدية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية لسنة الابتلاء.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من خلال ما يلي:

١- أثر فهم سنة الابتلاء وإدراك أبعادها التربوية ، ودور ذلك وانعكاساته على الأمة فهما واعتقادا وسلوكا.

٢- قد تفيد الدراسة الدعاة والسائرين على طريق الإيمان في نشر ثقافة سنة الابتلاء في ضوء الفكر التربوي الإسلامي.

٣- يمكن أن تكون هذه الدراسة مساهمة متواضعة من الباحث في تأصيل بعض المفاهيم التربوية الخاصة بسنة الابتلاء.

حدود الدراسة:

ستقتصر الدراسة على استنباط الأبعاد التربوية لسنة الابتلاء في ضوء الفكر التربوي الإسلامي، والتي تتمثل في الأبعاد التربوية الآتية: الأبعاد العقائدية، والأبعاد الأخلاقية، والأبعاد الاجتماعية، والأبعاد النفسية، من خلال القرآن والسنة وأقوال العلماء.

مصطلحات الدراسة:

الأبعاد التربوية:

جاء مصطلح الأبعاد التربوية على معانٍ متعددة في كتب الفكر التربوي ومن هذه المعاني:

١ - البعد بمعنى التأثير:

يعرفه يس: بأنه البعد الاجتماعي للتربية يعني بصفة خاصة بدراسة مدى تأثير البيئة الاجتماعية على الطفل النامي.(يس:١٩٧٩، ٥٤) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢ - الأبعاد بمعنى الأسس والجوانب:

يعرفها نبيه يس: بأنها الأسس والجوانب، فإن هذا الإطار - الفكر الفلسفي - يكون مستنداً عادة إلى أبعاد عقلية وسياسية ودينية دون الأبعاد الاقتصادية. (يس:١٩٧٩، ٤٧٦)

وذكر مجدي بدح بأنها: "الجوانب التربوية المرافقة" (بدح:٢٠٠١، ٨)

ويرى الباحث أنه يمكن تعريف الأبعاد التربوية تعريفاً إجرائياً: بأنها المدلولات المرتبطة بمفهوم الابتلاء،وانعكاساتها المتمثلة في الجوانب العقدية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية.

سنة الابتلاء:

جاءت السنة بعدة معاني منها: بمعنى الطريقة و السيرة حسنة كانت أو قبيحة، قال تعالى: ﴿**وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا**﴾ (الكهف: ٥٥)

وجاء في الحديث الشريف: "من سن في الإسلام سنة حسنة، كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينتقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينتقص من أوزارهم شيء" (ابن حنبل،ب،ت، ٣٥٧/٤، ح١٩١٧٩)

وجاءت بمعنى: الطريقة المحمودة المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة، معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة.(ابن منظور:١٩٩٩، ج٦، ٣٩٩، ٤٠٠)

الابتلاء: بمعنى الاختبار، وجاء في لسان العرب لابن منظور: بلا: بلوت الرجل بلواً وبلاءً وابتليته: اختبرته، والمعروف أن الابتلاء يكون في الخير والشر معاً، من غير فرقة بين فعليهما قوله: ﴿**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**﴾(الأنبياء:٣٥).(ابن منظور:١٩٩٩،ج١، ٤٩٧)

كما جاء في القاموس المحيط معنى ابتليته: أي اختبرته وامتحنته. (الفيروز آبادي،ب.ت، ج٤، ٣٠٦)

سنة الابتلاء.

ويرى الباحث أنه يمكن تعريف سنة الابتلاء تعريفاً إجرائياً: بأنها القاعدة الثابتة المطردة التي تجعل من حركة الإنسان بما تتضمنه من أنشطة وممارسات اختبارا للإنسان وتمحيصا له وفقا لمشيئة الله تعالى.

الفكر التربوي الإسلامي:

جملة من المفاهيم والآراء والتصورات والمبادئ التربوية المستمدة من الكتاب والسنة والاجتهاد الموافقة لروح الإسلام من خلال إعمال العقل (أبو دف:٢٠٠٣،١١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منهج الدراسة:

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، الذي يتناول دراسة أحداث وظواهر وممارسات قائمة موجودة متاحة للدراسة، والقياس كما هي دون تدخل الباحث في مجرياتها ويستطيع الباحث أن يتفاعل معها فيصفها ويحللها (الأغا: ١٩٩٧، ٤١)

كما استخدم الباحث المنهج الأصولي والاستنباطي "وهو المنهج المتبع في دراسة جوانب العمل الإسلامي دون الخروج عن الثوابت الإسلامية وبفهم كاف لمعاني القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة" (الأغا: ١٩٩٩، ٨٣) ، "وهو منهج يشير إلى التحقق من صدق المعرفة الجديدة، بقياسها على معرفة أخرى سابقة، من خلال افتراض صحة المعرفة السابقة وإيجاد صلة علاقة بينها وبين المعرفة الجديدة" (ملحم:٢٠٠٢، ٣١٠) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدراســـــات السابقـــــــة

١_ دراسة نصار(٢٠٠٤م) ، بعنوان:"مفهوم الابتلاء في القرآن الكريم".

هدفت الدراسة إلى الكشف عن حكمة الابتلاء وأشكاله وصوره وسـر تنوعـه، وأسـبابه وفوائده المختلفة، وأثره على الشخصية.

وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي.

وقد كانت من أهم نتائج البحث ما يلي:

- أن للبلاء أثرا بارزا في تكوين الشخصية، ففيه تربية وتأهيـل للمكلـف وعـون علـى إخلاص العمل والإنابة إلى جناب الخالق.
- حقيقة الابتلاء تقوم على أن الله عالم بما كان وسيكون، وإنما يبتلي عباده لتظهر النتيجـة لغيره من المكلفين أو الملائكة، ولان الجزاء على العمل لا على مقتضى العلم المسبق.
- للابتلاء فوائد تعود بالنفع على المبتلى، فهو موقظ من الغفلة، ورادع عن الغي، ومقـوم للسلوك.
- للابتلاء أشكال وصور، فكما يبتلي الله العقول يبتلي النفوس، وكما يقع على النفس يقـع على المال.

٢_ دراسة بني عامر (٢٠٠٤م) ، بعنوان:"معالم الدعوة الإسلامية كما رسـمتها سـورة العنكبوت لدعاة الإسلام وحملته ".

هدفت الدراسة إلى استخلاص أهم القواعد والأصول الدعوية التي اشـتملت عليهـا سـورة العنكبوت والتي تمثلت في العديد من القواعد كان من بينها:

- قاعدة الابتلاء والاختبار والتمحيص لحملة الإسلام.
- بيان بعض العقبات التي تقف في وجه حملة الإسلام.
- بيان أصناف المدعوين وموقفهم من الإسلام

وقد أشار الباحث في الدراسة إلى فوائد الابتلاء وأنواع الابتلاء والعقبات التي تقـف فـي طريق الدعاة من فتن وابتلاءات متنوعة.

وقد اعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي.

ومن أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة هي:

- أن القرآن الكريم هو كتاب الدعوة ومصدرها يشتمل على حقيقتها وأصولها ويبـين أهدافها ومقاصدها وأساليبها ووسائلها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- أظهر القرآن الكريم السنن الإلهية في الابتلاءات التي يتعرض لها الدعاة عند قيامهم بواجب تبليغ الدعوة.
- بين القرآن أن الغلبة والنصر لأهل الحق في النهاية وأن الباطل إلى الانهزام والاندحار.

٣_ دراسة الصلابي (٢٠٠٣م) ، بعنوان: "تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم".

هدفت الدراسة إلى بيان ضوابط وقواعد، ورسم معالم وحدود لفهم حقيقة فقه التمكين من خلال إبراز أنواعه وأسبابه وشروطه، ومراحله وأهدافه.

فقد تحدث الباحث عن أنواع التمكين في القرآن الكريم سواء المتعلقة بالأنبياء أو المتعلقة بالجماعات كأصحاب القرية وأصحاب الأخدود.

تعرض الباحث خلال الحديث عن مراحل التمكين إلى سنة الابتلاء مبينا أهميتها وضرورتها وأهم أساليبها وخاصة التي تعرض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم،ومن أهمها، الإيذاء الجسدي، وعرض المغريات والمساومات.

وخلصت الدراسة إلى أن سنة الابتلاء مرتبطة بالتمكين ارتباطا وثيقا، فلقد جرت سنة الله _ تعالى _ ألا يمكن إلا بعد أن تمر بمراحل الاختبار المختلفة وبعد أن ينصهر معدنها في بوتقة الأحداث، فيميز الله الخبيث من الطيب.

٤_ دراسة لولو (٢٠٠١م) ، بعنوان:"الآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر".

هدفت الدراسة إلى بيان الآثار التربوية المترتبة على الإيمان بالقضاء والقدر على الوجه الصحيح.

وقد استخدم الباحث المنهج الاستنباطي لاستخلاص الآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر.

أشار الباحث في دراسته إلى مفهوم القضاء والقدر وإلى مذهب أهل السنة في القضاء والقدر، والآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر. وقد خلصت الدراسة إلى أن عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر وما يتعرض له الإنسان في هذه الحياة الدنيا من ابتلاءات وغيرها دورا بارزا في تحديد وصقل سلوك الفرد المسلم عن طريق القيم التي توجدها هذه العقيدة في تفكير واعتقاد المؤمن بها، وانعكاس ذلك على الجوانب المختلفة كالجانب الروحي والأخلاقي والعقلي والاجتماعي والنفسي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥_ دراسة يوسف (١٩٩٦) ، بعنوان:"التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم".

هدفت الدراسة إلى تبيان أهمية التمكين ومقوماته وعوائقه والسنن الربانية على طريق التمكين ومبشرات التمكين.

وقد أشار الباحث إلى سنة الابتلاء وارتباطها الوثيق بالتمكين.

ومن أهم ما خلصت إليه الدراسة أهمية الوقوف على السنن الربانية وهي: سنة التغيير، وسنة التدافع، وسنة التدرج، وسنة الابتلاء، وسنة الأخذ بالأسباب، والوقوف على هذه السنن، ودراستها أمر في غاية الأهمية بالنسبة للأمة الإسلامية وذلك حتى تستفيد منها، ولا تصطدم بها.

قد يبطئ التمكين في تقدير البشر لأنهم يحسبون الأمور بغير حساب الله تعالى، ويقدرون الأحوال لا كما يقدرها الله.

التعقيب على الدراسات السابقة

من خلال الإطلاع على الدراسات السابقة يتضح لنا ما يلي:

أولاً: أن الدراسات الثلاث الأولى اتفقت على أهمية سنة الابتلاء، وعظم دورها في حياة الأمة الإسلامية.

ثانياً: نلاحظ أن الدراسات أشارت إلى الحكمة من الابتلاء، وأنواعه، وصوره المختلفة.

ثالثاً: أشارت الدراسات الثلاث إلى فوائد سنة الابتلاء في حياة الأمة، وفي حياة الدعاة.

رابعاً: لقد تميزت دراسة نصار في إبراز أثر الابتلاء في تكوين الشخصية، وهو ما أضفى قيمة كبيرة على دراسته، في حين تميزت دراسة بني عامر في قدرته على الاستنباط للأصول الدعوية وفي التأصيل لسنة الابتلاء كقاعدة من قواعد الدعوة إلى الله عز وجل، في حين تميزت دراسة الصلابي ودراسة يوسف في الربط بين سنة الابتلاء والتمكين بحيث أجادوا في هذا المجال، في حين تميزت دراسة لولو بآثار الإيمان بقضاء الله وقدره وأبعاد هذا الإيمان الروحية والعقلية والنفسية.

خامساً:لقد أفادت هذه الدراسات الباحث في إلقاء الضوء على جوانب متعددة في سنة الابتلاء بحيث تمثل نقاطا جوهرية ومهمة في فهم سنة الابتلاء بشكل متكامل.

سادساً:جميع الدراسات تفتقد إلى الحديث عن الأبعاد التربوية بشكل متكامل، وإن تناولتها بعض الدراسات بشكل جزئي.

ومن الملاحظ أنه على الرغم من الإشارة إلى أهمية سنة الابتلاء، وكما أشار الكثير من علمائنا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إليها، إلا أننا نلاحظ أنها تفتقد إلى التعمق في فهم سنة الابتلاء، واستنباط الأبعاد التربوية المختلفة، التي لها دور أساسي في صياغة الشخصية المؤمنة المؤهلة للقيام بدورها الطليعي في مواجهة الأزمات، والوصول إلى مرحلة التمكين. وربما يكون ذلك هو الجانب الذي تتميز بها دراسة الباحث.

خطوات الدراسة:

سار الباحث في دراسته بالخطوات التالية:

أولاً: جمع الآيات والأحاديث النبوية الشريفة، وأقوال العلماء التي تحدثت عن الابتلاء.

ثانياً: تصنيف الآيات بحسب الأبعاد التربوية التي تتضمنها وتشير إليها (البعد العقدي_ البعد الأخلاقي_ البعد الاجتماعي_ البعد النفسي)

ثالثاً: استنباط الأبعاد التربوية من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال العلماء مقتصرة على الأبعاد العقائدية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية.

رابعاً: استخلاص النتائج من خلال هذا البحث الذي يتناول الأبعاد التربوية لسنة الابتلاء.

خامساً: تقديم التوصيات المتنوعة بناء على جملة النتائج التي تم التوصل إليها خلال الدراسة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

مفهوم سنة الابتلاء في الإسلام

- مدخل

أولاً:التفسير الإسلامي لسنة الابتلاء

أ- الابتلاء من لوازم التكاليف الشرعية

ب- الدنيا دار الابتلاء والآخرة دار الجزاء

ج- سنة الابتلاء ظاهرة صحية

د- حقيقة الابتلاء وحكمتها

ثانياً: خصائص سنة الابتلاء

أ- سنة ربانية

ب- حتمية سنة الابتلاء

ج- ذات طابع إنساني

د- سنة مطردة

ه- الشمولية

ثالثاً:أنواع الابتلاء

أ_ الابتلاء من حيث العموم والشمول

١. الابتلاء العام

٢. ابتلاء المؤمنين

ب_ من حيث النوع

١. ابتلاء العقول

٢. ابتلاء النفوس

ج_ الابتلاء من حيث المدى

١. الابتلاء الفردي

٢. الابتلاء الجماعي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مفهوم سنة الابتلاء في الإسلام

مدخل:

إن الذي يقرأ القرآن ويتدبر آياته ويرى واقع الناس وواقع حياته، يدرك أن سنة الابتلاء هي واقع يعيشه الإنسان والجماعات في جميع مراحل حياتهم وتطورهم.

فمنذ أن يبدأ الإنسان بمعالجة شؤون الحياة والتفاعل مع مجرياتها المادية والمعنوية، وهو يتعرض للابتلاء مرة بالخير ومرة بالشر، ومرة بالسقم ومرة بالصحة، وتارة بالغنى وتارة بالفقر، حياته مرتبطة ارتباطا وثيقا بالابتلاء، مما يدفع كل متأمل إلى فهم حكمة سنة الابتلاء وأبعادها المرتبطة بأدق تفاصيل حياته.

سنة الابتلاء:

أولاً:السنن الربانية: هي أحكام الله _تعالى_ الثابتة في الكون، وعلى الإنسان في كل زمان ومكان.(يوسف:١٩٩٦، ٢٠٧)

ولقد شاء الله رب العالمين أن يجري أمر هذا الدين _ بل أمر هذا الكون_ على السنن الجارية، لا على السنن الخارقة، وذلك حتى لا يأتي جيل من أجيال المسلمين فيتقاعس، ويقول: لقد نصر الأولون بالخوارق، ولم تعد الخوارق تنزل بعد ختم الرسالة، وانقطاع النبوات.

إن الخارقة الكبرى في هذا الدين هي كتاب الله المنزل، وهي باقية محفوظة بقدر الله إلى قيام الساعة: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ (الحجر: ٩) (قطب:١٩٨٦،ج٤ ،٤١٤)

ويقول سيد قطب: رحمه الله في تفسيره للسنن: " هي التي تحكم الحياة،وهي التي قررتها المشيئة المطلقة، فما وقع منها في غير زمانكم فسيقع مثله بمشيئة الله في زمانكم ، وما انطبق منها على مثل حالكم فهو كذلك سينطبق على حالكم"(قطب: ١٩٨٦، ج١، ٤٧٣)

فسنن الله عز وجل تسير وفق قانون دقيق لا تتبدل ولا تتغير،وتسري على البشر جميعا، كفارا ومؤمنين على حد سواء، فهذا النظام الكوني يسير بدقة متناهية ومتناغمة، يوجب على البشر من خلالها الانسجام مع حركة هذه السنن الإلهية في هذا الكون، بحيث يستطيع الإنسان التفاعل الإيجابي مع حركة الحياة وفهم أسرارها وكنهها،والمؤمنون هم أولى الناس بضرورة الفهم الحقيقي والدقيق لسنن الله عز وجل.

وسنن الله كثيرة ومتعددة،منها: سنة التغيير، وسنة التدافع، وسنة التدرج، وسنة الأخذ بالأسباب ، وسنة الابتلاء، التي هو محور هذا البحث إن شاء الله _ تعالى_.

فسنة الابتلاء: هي القاعدة الإلهية الثابتة المطردة (المتتابعة، المستمرة) ، التي تكون بموجبها حركة الإنسان بما تتضمنه من أنشطة وممارسات؛ اختبارا للإنسان وتمحيصا له.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالابتلاء هو سنة الله في خلقه، وهذا أمر جلي وواضح بالنظر إلى القرآن الكريم، فيقول عز وجل: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورِ**﴾ (الملك:٢) ويقول تعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ (الإنسان:٢) كما جاء قوله عز وجل: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ (الكهف: ٧)

فالابتلاء هو واقع الإنسان الذي يحياه على مدار حياته، وهو القانون الذي تسير به حياة الإنسان بمشيئة الله عز وجل، فهو ليس اختيارا بل أمر اقتضته المشيئة الإلهية،يمضي على المؤمن والكافر على حد سواء، كما يجري ويمضي على الجن، فيقول عز وجل: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات:٥٦) ، فجميع البشر يقعون تحت سنة الابتلاء كما الجن، وهذا ما يجعلنا بحاجة إلى الفهم الدقيق لحقيقة سنة الابتلاء وحكمتها وفهم أبعادها المختلفة.

أولاً: التفسير الإسلامي لسنة الابتلاء:

إن التفسير الإسلامي لسنة الابتلاء غاية في الأهمية؛ لكي يستطيع المسلم فهم سنة الابتلاء في حياته، ويكون منسجما من خلالها مع حياته الدنيا، ولا تتحول قراءة وفهم هذه السنة بشكل منقوص إلى ارتباك، وخلل في التصور، وبالتالي إلى قصور في تأدية الرسالة، والأمانة الموكلة للإنسان في هذه الحياة الدنيا من العبودية والإعمار: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات:٥٦) ﴿**هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ**﴾ (هود:٦١).

من هنا لا بد من التفسير الموضوعي والواقعي لسنة الابتلاء، التي تنسجم في كونها سنة تسمو بالإنسان، وترتقي به، فمن المعلوم أن سنن الله في هذه الأرض هي سنن وقوانين تضبط حركة هذا الكون، وبالتالي أي قصور في هذا الفهم والوعي؛ سيفسد حالة الانسجام المرجوة من خلال هذا الوعي.

ومن الأمور التي تفسر سنة الابتلاء في الإسلام ما يلي:

أ_ الابتلاء من لوازم التكاليف الشرعية:

إن الابتلاء من لوازم التكاليف الشرعية، التي حملها الله عز وجل لعباده، فالله وضع الأسباب والمسببات، وأجرى العوائد فيها تكليفا وابتلاء وإدخالا للمكلف، كما وضع العبادات تكليفا وابتلاء أيضا (نصار:٢٠٠٤: ٥٣١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:١٢٤) فهذا التكليف الإلهي اعتبره الله عز وجل بمثابة ابتلاء وقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بالشر والخير فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء:٣٥) فيه مسائل:

المسألة الأولى: الابتلاء لا يتحقق إلا مع التكليف _مع الحرية وزوال الموانع_، فالآية دالة على حصول التكليف، وتدل على أنه سبحانه وتعالى لم يقتصر بالمكلف على ما أمر ونهى، وإن كان فيه صعوبة بل ابتلاه بأمرين: أحدهما: ما سماه خيراً وهو نعم الدنيا من الصحة واللذة والسرور، والتمكين من المرادات. والثاني: ما سماه شراً وهو المضار الدنيوية من الفقر والآلام، وسائر الشدائد النازلة بالمكلفين، فبين تعالى أن العبد مع التكليف يتردد بين هاتين الحالتين؛ لكي يشكر على المنح ويصبر في المحن، فيعظم ثوابه إذا قام بما يلزم. (الرازي: ب، ت، ج٢١، ١٦٩) .

إن فهم حقيقة الابتلاء في واقعها الشرعي، على أنها أمر رباني، يجعل الإنسان يعيش حالة الاطمئنان والاستقرار، لا تهزه فتن ولا محن ولا ابتلاءات، عيونه وقلبه وجوارحه معلقة ببارئها، أما أولئك الذين اصطدموا مع حقيقة الابتلاء في كونه أمرا شرعيا على الإنسان أن يتعاطى معه بواقعية تضبط من خلاله حركته في هذه الحياة، وتضمن استقامته على الطاعة والعبودية لله عز وجل، اهتزت حياتهم ودمر بنيانها، فلا هم قادرون على تغيير قدر الله، ولا هم قادرون على التكيف مع الأمر الإلهي،يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ (الأنعام:٤٢) وهنا لفتة قرآنية جميلة، وهو الارتباط الوثيق بين الابتلاء وبين رسالة الرسل،لقد جاء الابتلاء متوافقا مع دعوة الرسل؛ ليعيش الإنسان حالة الرجوع والعودة والتوبة؛ وليصبح ذلك الابتلاء واقعا يدفع الإنسان نحو التقرب إلى الله، وهذا يجعل سنة الابتلاء في أرقى مفاهيمها التي جعلها الله تكليفا وقدرا على الإنسان.

ب_ الدنيا دار الابتلاء والآخرة دار الجزاء:

"إن الدين الإسلامي وكل دين رباني يقرر مبدأ واضحا لا لبس فيه ولا غموض، وهو أن الدنيا من مبتداها إلى منتهاها دار ابتلاء، وليست دار جزاء، إنما الدار الآخرة هي دار الجزاء والقرار والاستقرار" (أبو فارس، ب،ت، ١٦)

ويقول تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران:١٨٥) " إن عاقبة الكل الموت، وهذه الغموم والأحزان تذهب وتزول ولا يبقى شيء منها، والحزن متى كان كذلك لم يلتفت العاقل إليه" (الرازي: ب،ت، ج٩، ١٢٤)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول صاحب الظلال في تفسير هذه الآية الكريم: "إنه لا بد من استقرار هذه الحقيقة في النفس: حقيقة أن الحياة في هذه الأرض موقوتة، محدودة بأجل، ثم تأتي نهايتها حتماً، يموت الصالحون يموت الطالحون، يموت المجاهدون، ويموت القاعدون، يموت المستعلون بالعقيدة ويموت المستذلون للعبيد، يموت الشجعان الذين يأبون الضيم، ويموت الجبناء الحريصون على الحياة بأي ثمن، يموت ذوو الاهتمامات الكبيرة والأهداف العالية، ويموت التافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص" (قطب:١٩٨٦،ج١، ٥٣٢)

إن فهم الإنسان أن هذه الدنيا هي دار ممر لا دار مستقر؛ يجعل الإنسان يفهم حقيقة الابتلاء في سياقه الطبيعي، ويفرض على الإنسان التعامل بإيجابية مع الابتلاءات التي يتعرض لها، ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ (المطففين:٢٦) فمن أراد الجنة ونعيمها، ومن أراد الوصول للنجاة والفوز فعليه أن ينجح في الاختبار الإلهي باقتدار.

إن مشكلة الكثير من الناس الذي يسقطون في الاختبار الإلهي؛ بجعلهم الدنيا غايتهم ومحط ترحالهم، وبذلك يفقدون حقيقة غاية وجودهم، ويتصادمون مع القانون الإلهي الذي جعل هذه الدنيا هي دار ممر، ومن العجب العجاب، أن أي إنسان على وجه هذه البسيطة يدرك أن الموت يلاحقه، ورغم ذلك يجعل دنياه غايته وهدفه،ولو عاش هذا الإنسان حياته ضمن واقعه الذي بين يديه لأدرك أن هذه الحياة الدنيا هي دار للعبور إلى حياة الآخرة؛ لذلك كانت كل دعوات الرسل دائما تذكر الإنسان بهذه الحقيقة ليستطيع تجاوز الابتلاءات، ويفهم حقيقة الواقع الذي يحياه فلا يرسب في الاختبار الإلهي،لذلك جاء قوله تعالى: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ**﴾ (الأنعام:١٣٠) ويقول تعالى: ﴿**الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**﴾ (الأعراف:٥١) لذلك جاء التعقيب القرآني الكريم على أولئك الذين فشلوا وسقطوا في الابتلاء الإلهي، بأنهم لا يعقلون ﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ (الأنعام:٣٢) إن التعقل والواقعية هي التي تضمن النجاح والفوز، فإذا كان المرء يدرك أن مصيره الموت فما الذي يدفعه لأن يجعل هذه الحياة هي غايته وهدفه ونهاية آماله وأحلامه،إنه الجهل والغرور وعدم القدرة على التمييز، لذلك كان الوصف القرآني لكل أولئك المستكبرين والظالمين بالجهل وعدم العقلانية، وهذا لا يعني أن يتجاهل الإنسان دوره في هذه الحياة ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (القصص:٧٧).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن المشكلة تكمن في ذلك الخلل الكبير في فهم حقيقة هذه الحياة، التي تقوم على سنة الابتلاء، ومن خلال تتبع آيات القرآن الكريم التي أشارت إلى دعوات الرسل، نكتشف أن أقوام الرسل كانوا يرسبون في الامتحان؛ نتيجة هذا الخلل في قدرتهم على قراءة هذه الحقيقة.

ج_ سنة الابتلاء ظاهرة صحية.

إن حياة الإنسان ومنذ اللحظات الأولى مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بهذه السنة التي سنها الله عز وجل، ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾ (الملك:٢) فمرة يبتلى بالخير ومرة يبتلى بالشر، ومرة بالصحة وتارة بالسقم كما قال تعالى: ﴿**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ (الأنبياء:٣٥)

فمن الضروري أن يدرك الإنسان أن الابتلاء جزء من حياته، ووجوده، فلم يخلق الله هذا الإنسان عبثا، بل كل حياته تقع في دائرة الابتلاء والامتحان، وبالتالي عليه أن يكون مستعدا ومستوعبا هدف وجوده في هذه الحياة، وكيف يمكن أن ينسجم مع سنة الله في ابتلائه واختباره وامتحانه.

لذلك وجب على الإنسان أن يضع المعايير الحقيقية في هذه الحياة الدنيا، أن هذه الحياة هي دار الابتلاء، هي دار الممر والعبور للآخرة، ويجب عليه أن تبقى عيونه وقلبه معلقا بالآخرة، لذلك يقول عز وجل: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (القصص:٨٣)

إن سنة الابتلاء في حقيقتها وجوهرها ظاهرة صحية، تحافظ على كينونة الإنسان وما خلق له ومن أجله، فإن إدراك حقيقة الابتلاء تجعل من هذا الإنسان مالكا لهذه الدنيا وليس مملوكا لها، يحقق عبوديته المطلقة لله عز وجل، والأمانة الموكلة له، ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ (الحجرات:٣) وفي تفسير هذه الآية الكريمة يقول صاحب التفسير الكبير:"فتحقيقه هو أن الله تعالى امتحن قلوبهم بمعرفته ومعرفة رسوله بالتقوى، أي ليرزقهم الله التقوى التي هي حق التقاة، وهي التي لا تخشى مع خشية الله أحداً فتراه آمناً من كل مخيف لا يخاف في الدنيا بخساً، ولا يخاف في الآخرة نحساً" (الرازي: ب، ت، ج٢٧، ١١٥)

د_حقيقة الابتلاء وحكمتها.

إن فهم حقيقة الابتلاء تجعل الإنسان يعيش حالة الاستقرار؛ من خلال تفاعله الإيجابي مع سنة الابتلاء كما أراد الله عز وجل لهذا الإنسان، يقول تعالى ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ (المؤمنون: ١١٥) ويقول تعالى: ﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى**﴾ (القيامة:٣٦)

إن هذه الآيات التي تناولت الأسلوب الاستفهامي التعجبي والاستنكاري، يضع الإنسان أمام حقيقة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجوده وهي التي أجاب عليها القرآن الكريم في مواضع عديدة: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات:٥٦) فغاية الوجود هي العبادة لله عز وجل، وفي موضع آخر وإجابة على السؤال الكبير الذي يقف عنده كل من لديه عقل وبصيرة (**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾ (الملك: ٢) فهذه الحياة في حقيقتها ابتلاء وتمحيص واختبار، يمتلك فيه الإنسان الإرادة الكاملة بالطاعة والمعصية، ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ (الشمس: ٧_ ١٠) فمن اختار طريق الصلاح والهداية والطاعة فقد أفلح وفاز وأما من اختار طريق الضلال فقد خاب.

لذلك تعتبر"الحياة الدنيا هي المرحلة الحاسمة، حيث أعطى المكلف فيها الخيرة بين الطاعة والمعصية، ثم يكون الجزاء يوم القيامة على مقتضى الاختبار السابق" (نصار:٢٠٠٤، ٥٤٠)

يجيب على هذا السؤال الإمام فخر الرازي قائلا: "فإن قيل ما التحقيق في قولنا التكليف ابتلاء وامتحان والله يعلم السر وأخفى، وماذا يفهم من قوله ﴿**ولكن لّيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ**﴾(محمد:٤) ؟ نقول فيه وجوه الأول: أن المراد منه يفعل ذلك فعل المبتلين أي كما يفعل المبتلى المختبر، ومنها أن الله تعالى يبلو ليظهر الأمر لغيره إما للملائكة وإما للناس، والتحقيق هو أن الابتلاء والامتحان والاختبار فعل يظهر بسببه أمر غيره متعين عند العقلاء بالنظر إليه قصداً إلى ظهوره، وقولنا فعل يظهر بسببه أمر ظاهر الدخول في مفهوم الابتداء، لأن ما لا يظهر بسببه شيء أصلاً لا يسمى ابتلاء، أما قولنا أمر غير متعين عند العقلاء، وذلك لأن من يضرب بسيفه على القثاء والخيار لا يقال إنه يمتحن، لأن الأمر الذي يظهر منه متعين وهو القطع والقد بقسمين، فإذا ضرب بسيفه سبعاً يقال يمتحن بسيفه ليدفع عن نفسه وقد يقده وقد لا يقده، وأما قولنا ليظهر منه ذلك فلأن من يضرب سبعاً بسيفه ليدفعه عن نفسه لا يقال إنه ممتحن لأن ضربه ليس لظهور أمر متعين، إذا علم هذا فنقول الله تعالى إذا أمرنا بفعل يظهر بسببه أمر غير متعين، وهو إما الطاعة أو المعصية في العقول ليظهر ذلك يكون ممتحناً، وإن كان عالماً به لكون عدم العلم مقارناً فينا لابتلائنا فإذا ابتلينا وعدم العلم فينا مستمر أمرنا وليس من ضرورات الابتلاء، فإن قيل الابتلاء فائدته حصول العلم عند المبتلى، فإذا كان الله تعالى عالماً فأية فائدة فيه؟ نقول ليس هذا سؤال يختص بالابتلاء، فإن قول القائل: لم ابتلى كقول القائل لم عاقب الكافر وهو مستغن، ولم خلق النار محرقة وهو قادر على أن يخلقها بحيث تنفع ولا تضر؟ وجوابه: لا يسأل عما يفعل، ونقول حينئذ ما قاله المتقدمون إنه لظهور الأمر المتعين لإله، وبعد هذا فنقول: المبتلى لا حاجة له إلى الأمر الذي يظهر من الابتلاء، فإن الممتحن للسيف فيما ذكرنا من الصورة لا حاجة له إلى قطع ما يجرب السيف فيه حتى أنه لو كان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محتاجاً، كما ضربنا من مثال دفع السبع بالسيف لا يقال إنه يمتحن وقوله **(لِّيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ)** إشارة إلى عدم الحاجة تقريراً لقوله ﴿**ذلك ولَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ**﴾ (محمد:٤)" (الرازي: ب، ت، ج٢٨، ٤٦) .

ويقول القرطبي في تفسيره للآية الكريمة: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾ (محمد:٣١) (**حتى نعلم)** "وهذا العلم هو العلم الذي يقع به الجزاء لأنه إنما يجازيهم بأعمالهم لا بعلمه القديم عليهم فتأويله: حتى نعلم المجاهدين علم شهادة لأنهم إذا أمروا بالعمل يشهد منهم ما عملوا فالجزاء بالثواب والعقاب يقع على علم الشهادة" (القرطبي: ١٩٨٨، ج١٦،١٦٨)

كما يوضح الشاطبي حقيقة الابتلاء بقوله: "وترك الالتفات إلى المسبب له ثلاث مراتب، إحداها: أن يدخل في السبب من حيث هو ابتلاء للعباد وامتحان لهم، لينظر كيف يعملون،وهذا مبني على أن الأسباب والمسببات موضوعة في هذه الدار ابتلاءً للعباد وامتحاناً لهم، فإنها طريق إلى السعادة أو الشقاوة...لتظهر تصاريفهم تحت حكم القضاء والقدر، ولتجري أعمالهم تحت حكم الشرع، ليسعد بها من سعد ويشقى من شقى، وليظهر مقتضى العلم السابق والقضاء المحتم الذي لا مرد له، فإن الله غني عن العالمين ومنزه عن الافتقار في صنع ما يصنع إلى الأسباب والوسائط لكن وضعها للعباد ليبتليهم فيها" (الشاطبي، ب. ت،ج١: ٢٠٣)

"وحاصل حقيقة الابتلاء:أن الله جل جلاله يعامل عباده معاملة المختبر، لأنه أقام الحياة الدنيا على اتخاذ الأسباب، مع أن علمه قديم، ويكون الجزاء على ما يقع مشاهدة، لا على مقتضى العلم السابق، هذا من وجه، والوجه الآخر، أن الله جل جلاله يختبر عباده لتحصل المعرفة للآخرين من الملائكة والبشر" (نصار: ٢٠٠٤: ٥٤٣)

كما يوضح الأمر صاحب الظلال في تفسيره للآية الكريمة ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾ (محمد:٣١) " والله يعلم حقائق النفوس ومعادنها، ويطلع على خفاياها وخباياها، ويعلم ما يكون من أمرها علمه بما هو كائن فعلاً. فما هذا الابتلاء؟ ولمن يكون العلم من ورائه بما يتكشف عنه؟ إن الله - جلت حكمته - يأخذ البشر بما هو في طوقهم، وما هو من طبيعتهم واستعدادهم، وهم لا يعلمون عن الحقائق المستكنة ما يعلمه، فلابد لهم من تكشف الحقائق ليدركوها ويعرفوها ويستيقنوها، ثم ينتفعوا بها، والابتلاء بالسراء والضراء وبالنعماء والبأساء، وبالسعة والضيق، وبالفرج والكرب، كلها تكشف عما هو مخبوء من معادن الناس، وما هو مجهول من أمرها حتى لأصحابها.أما المراد بعلم الله لما تتكشف عنه النفوس بعد الابتلاء فهو تعلق علمه بها في حالته الظاهرة التي يراها الناس عليها،ورؤية الناس لها في صورتها التي تدركها مداركهم هو الذي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يؤثر فيهم ويكيف مشاعرهم، ويوجه حياتهم بوسائلهم الداخلة في طوقهم.هكذا تتم حكمة الله في الابتلاء" (قطب:١٩٨٦، ج٦، ٣٢٩٩)

ومما سبق يتضح لنا أن حقيقة الابتلاء تفهم في سياقها العام بأنها الإرادة والمشيئة الإلهية في اختبار الإنسان مع امتلاكه الإمكانيات التي تؤهله للاختيار، والذي سيحاسبه الله على اختياره لا على علم الله المسبق بما سيكون، وهذا مما يجعل الإنسان قادرا على فهم حقيقة وجوده، وحقيقة الابتلاء وبالتالي انسجامه التام مع الإرادة الإلهية كونه مختبرا، وعليه الاختيار.

ثانياً: خصائص سنة الابتلاء في الإسلام

إن المتتبع للقرآن الكريم يدرك أن الله عز وجل جعل سننه في هذا الحياة؛ لتضبط حركة الكون وحركة الإنسان، بحيث تكون حركة الإنسان منسجمة مع القوانين والسنن الإلهية التي يمكن من خلالها الارتقاء والتقدم، وتحقيق العبودية الحقيقية بإعمار هذا الكون ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات:٥٦) وفهم غاية الإنسان من هذه الحياة الدنيا، بتحقيق ونيل رضا الله عز وجل.

ومن خلال المنهج القرآني يمكن أن نحدد خصائص وسمات سنة الابتلاء فيما يلي:

أ_ سنة ربانية:

يقول عز وجل: ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾ (الأحزاب:٦٢) إن هذه السنة هي سنة إلهية بقدر من الله جل وعلا،فهي ليست بدعاً بل هي سنة جارية وعادة مستمرة (**وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً**) فهذه السنة ليست مثل الحكم الذي يبدل وينسخ فإن النسخ يكون في الأحكام، أما الأفعال والأخبار فلا تنسخ. (الرازي،ب.ت،ج٢٥،٢٣١) ويقول تعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ (الإنسان:٢) يقول صاحب الظلال في تفسير هذه الآية: (إذن فإن إرادة الله في امتداد هذا الجنس وتكرر أفراده بالوسيلة التي قدرها، وهي خلقته من نطفة أمشاج، كانت وراءها حكمة، وكان وراءها قصد، ولم تكن فلتة، كان وراءها ابتلاء هذا الكائن واختباره. ومن ثم وهب الاستعداد للتلقي والاستجابة، والمعرفة والاختبار، وكان كل شيء في خلقه وتزويده بالمدارك وابتلائه في الحياة. بمقدار!) (قطب: ١٩٨٦، ج٦ ،٣٧٨٠)،

وقد نزل في محكم التنزيل قوله تعالى: ﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾ (الملك:٢) " فليست المسألة مصادفة بلا تدبير، وليست كذلك جزافا بلا غاية، إنما هو الابتلاء لإظهار المكنون في علم الله من سلوك الأناسي على الأرض، واستحقاقهم للجزاء على العمل" (قطب: ١٩٨٦:ج٦، ٣٦٣٢)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فسنة الابتلاء هي مشيئة ربانية قدرها الله على الإنس والجن، تنتهي بنهاية هذه الحياة الدنيا، فعلى الإنسان أن يستوعب أن سنة الابتلاء هي قدر إلهي قدره على الإنسان.

ب_ حتمية سنة الابتلاء:

يقول عز وجل: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ (العنكبوت: ٢:٣)

ويقول عز من قائل: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ (البقرة: ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧)

وقال تعالى: ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**) (آل عمران:١٨٦)

فحتمية الابتلاء واقعة لا محالة بتأكيد رباني؛ لتكون واقعا مرتبطا بحياة المؤمنين؛ لتمييز صفوفهم؛ وليبق المؤمن مطمئنا أن ما يجري عليه من ابتلاء إنما هو بإرادة الله.

فيقول عز وجل: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ (آل عمران: ١٤٢) وفي هذا يقول صاحب الظلال: "إن صيغة السؤال الاستنكارية يقصد بها إلى التنبيه بشدة إلى خطأ هذا التصور: تصور أنه يكفي الإنسان أن يقولها كلمة باللسان: أسلمت وأنا على استعداد للموت، فيبلغ بهذه الكلمة أن يؤدي تكاليف الإيمان، وأن ينتهي إلى الجنة والرضوان!إنما هي التجربة الواقعية والامتحان العملي، وإنما هو الجهاد وملاقاة البلاء ثم الصبر على تكاليف الجهاد وعلى معاناة البلاء" (قطب:١٩٨٦، ج١، ٤٧٧)

فالابتلاء هو قدر حتمي من الله لا مفر ولا مهرب منه، وطالما أن هذا الابتلاء هو واقع في حياة الإنسان، فعليه أن يتعايش معه بإيجابية وانسجام ليحقق سعادته ي الدنيا والآخرة.

ج_ ذات طابع إنساني:

قال تعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ (الإنسان:٢)

يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ**﴾ (الانشقاق:٦) فهذا الإنسان حياته قائمة على البلاء والجهد والمشقة، ويقول الرازي في تفسيره لهذه الآية: "وأقول في هذا التفسير نكتة لطيفة، وذلك لأنها تقتضي أن الإنسان لا ينفك في هذه الحياة الدنيوية من أولها إلى آخرها عن الكدح والمشقة والتعب، ولما كانت كلمة إلى لانتهاء الغاية، فهي تدل على وجوب انتهاء الكدح والمشقة بانتهاء هذه الحياة، وأن يكون الحاصل بعد هذه الدنيا محض السعادة والرحمة، وذلك معقول، فإن نسبة الآخرة إلى الدنيا كنسبة الدنيا إلى رحم الأم" (الرازي، ب. ت، ج٣١، ١٠٥)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فعلى الإنسان أن يدرك أن هذا الابتلاء هو جزء من إنسانيته وحياته في هذه الدنيا،لا ينتهي إلا بانتهاء حياته.

د_ سنة مطردة:

إن سنة الابتلاء سنة مطردة ومتتابعة، فهي لا ترتبط بوقت ولا زمن معين، فهي مطردة ومتتابعة ومتواصلة مع بقاء هذه الحياة الدنيا ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾ (الملك:٢) فطالما بقيت هذه الحياة مستمرة ستبقى سنة الابتلاء قائمة ومستمرة في كل وقت وفي كل حين، ويقول عز وجل: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ (العنكبوت: ٢، ٣) فهي واقعة في الأمم السابقة كما هي واقعاً في حياة الأمة اليوم، وستكون حتما واقعا في الأمم اللاحقة.وفي الحديث الشريف: "عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا ؟ قال (كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه. ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله و الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون" (البخاري: ١٩٨٧، ١٣٢٢/٣، ح٣٤١٦)

ويقول عز وجل: ﴿**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾(آل عمران:١٤٠).

فهذه السنة هي سنة متتابعة منذ خلق الله آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة (**وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ (البقرة:٣٥) فلن تتوقف هذه السنة ما بقيت حياة على هذه الأرض.

كما أن عالم الجن أيضا يخضع لذات السنة والقانون فيقول عز وجل: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**) (الذاريات:٥٦)

ولهذا نجد من الجن من هو مؤمن ونجد من هو كافر، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا**﴾ (الجن: ١٤) وقال سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآَنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآَمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا، وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا**﴾ (الجن: ١_٣)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هـ _ الشمولية:

إن سنة الابتلاء من حيث الشمولية على وجهين:

أولاً:سنة الابتلاء تشمل جميع مناحي الحياة في الخير والشر، في الصحة والسقم، في الغنى والفقر،فقد يخطئ البعض في ظنه أن الابتلاء مقتصر على الشر، فيقول عز وجل: ﴿**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ (الأنبياء:٣٥) يقول صاحب الظلال في تفسير هذه الآية: "إن الابتلاء بالخير أشد وطأة، وإن خيل للناس أنه دون الابتلاء بالشر..إن كثيرين يصمدون للابتلاء بالشر ولكن القلة القليلة هي التي تصمد للابتلاء بالخير.كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف. ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة.ويكبحون جماح القوة الهائجة في كيانهم الجامحة في أوصالهم، كثيرون يصبرون على الفقر والحرمان فلا تتهاوى نفوسهم ولا تذل، ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الثراء والوجدان، وما يغريان به من متاع، وما يثيرانه من شهوات وأطماع، كثيرون يصبرون على التعذيب والإيذاء فلا يخيفهم، ويصبرون على التهديد والوعيد فلا يرهبهم، ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الإغراء بالرغائب والمناصب والمتاع والثراء.كثيرون يصبرون على الكفاح والجراح، ولكنَّ قليلين هم الذين يصبرون على الدعة والمراح، ثم لا يصابون بالحرص الذي يذل أعناق الرجال، وبالاسترخاء الذي يقعد الهمم ويذل الأرواح.إن الابتلاء بالشدة قد يثير الكبرياء، ويستحث المقاومة ويجند الأعصاب، فتكون القوى كلها معبأة لاستقبال الشدة والصمود لها، أما الرخاء فيرخي الأعصاب وينيمها ويفقدها القدرة على اليقظة والمقاومة، لذلك يجتاز الكثيرون مرحلة الشدة بنجاح،حتى إذا جاءهم الرخاء سقطوا في الابتلاء، وذلك شأن البشر، إلا من عصم الله فكانوا ممن قال فيهم رسول الله _ صلى الله عليه وسلم_"عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له" (مسلم، ب.ت، ٢٢٩٥/٤، ح٢٩٩٩) فاليقظة للنفس في الابتلاء بالخير أولى من اليقظة في الابتلاء بالشر، والصلة بالله في الحالين هي وحدها الضمان" (قطب:١٩٨٦،ج٤، ٢٣٧٨)

ويقول عز وجل: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾ (الكهف: ٧)

ويقول ﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ (التغابن: ١٥) فالمال فتنة كما أن الفقر فتنة، والأولاد فتنة كما أن عدم الإنجاب ابتلاء وفتنة، إن المنهج القرآني يضع بين أيدينا الفهم الحقيقي لسنة الابتلاء في شموليتها التي تتصل بكل تفاصيل حياة الإنسان سواء كانت خيرا أم شرا، فهذه الحياة في حقيقتها الثابتة هي ابتلاء وامتحان الهي.

ثانياً:كما أن الابتلاء يشمل الإنس والجن، فقد خلق الجن أيضا؛ ليبتليهم بالإيمان والعبادة.قال

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سبحانه: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات:٥٦) ولهذا نجد من الجن من هو مؤمن ونجد من هو كافر، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا**﴾ (الجن:١٤) .(أبو فارس، ب.ت، ١٥)

ثالثا: أنواع الابتلاء:

لقد قام الباحث بتقسيم الابتلاءات إلى عدة أنواع بناء على اعتبارات مختلفة، فالابتلاء باعتبار العموم والشمول ينقسم إلى ابتلاء عام وابتلاء خاص بالمؤمنين، ومن حيث النوع إلى ابتلاء العقول، وابتلاء النفوس، ومن حيث المدى إلى ابتلاء فردي، وابتلاء جماعي.

أ_ من حيث العموم والخصوص:

ينقسم الابتلاء من حيث العموم والخصوص أيضا إلى نوعين هما:

١_ الابتلاء العام:

"ويعنى بالابتلاء العام أن الناس جميعا يتقدمون إلى ابتلاء عام، وهو التكليف بالإيمان، فكل إنسان مكلف بهذا" (أبو فارس،ب.ت،١٧) يقول تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ (الشمس:٧_ ١٠) ويقول عز وجل: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾ (الإنسان:٣) ويقول الرازي في تفسيره لهذه الآية الكريمة: "المراد من هداية السبيل خلق الدلائل، وخلق العقل الهادي وبعثة الأنبياء وإنزال الكتب، كأنه تعالى قال: خلقتك للابتلاء ثم أعطيتك كل ما تحتاج إليه ليهلك من هلك عن بينة وليس معناه خلقنا الهداية، ألا ترى أنه ذكر السبيل، فقال: (**هديناه السبيل**) أي أريناه ذلك" (الرازي،ب.ت، ج٣٠، ٢٣٨)

ويقول عز وجل: (**وهديناه النجدين**) (البلد:١٠) إن الآيات تبين لنا أن الله عز وجل بين السبيل ورفع الحجة،لتصبح معايير النجاح والفشل من صنع الإنسان وإرادته، فأولئك الذين اتبعوا الحق والتزموا طريق الإيمان فازوا،وأما أولئك الذين فشلوا بالامتحان الإلهي فمصيرهم إلى النار _والعياذ بالله_فالإنسان مسؤول عن اختياره ﴿**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ (الكهف:٢٩) إن حقيقة الحياة تقوم على هذا الاختبار والابتلاء الذي يتعرض له الإنسان في حياته الدنيا، ويمتلك كل المقومات للاختيار والقدرة على التمييز، فالإنسان بملء إرادته هو الذي يعطل تلك الإمكانيات والقدرات التي حباها الله له؛ لينحط بمستواه ويفقد القدرة على التمييز؛ حتى يصل إلى المستوى الحيواني في مسيرة حياته، وقد وصف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ (الأعراف:١٧٩) ويقول صاحب الظلال في تفسير هذه الآية الكريمة: "ومنها خط تصويري لتعطل أجهزة الاستقبال الفطرية في الكينونة البشرية، حتى تنتهي إلى الضلال الذي يهبط بالبشر عن مرتبة الأنعام، ويجعلهم وقوداً لجهنم عن جدارة واستحقاق،فتكون لهم قلوب لا يفقهون بها، وتكون لهم أعين لا يبصرون بها، وتكون لهم آذان لا يسمعون بها، ويكون وراء ذلك الضلال الذي لا رجعة منه ولا مآب! ومنها خط إيحائي لاستجاشة هذه الأجهزة المعطلة، وإيقاظها للتدبر والتفكر، وتوجيهها إلى ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء، ولمسها بالأجل المغيب الذي يكمن وراءه الموت، ودعوتها إلى النظر في حال هذا الرسول الكريم الذي يدعو إلى الهدى، فيرميه الضالون بالجنون!" (قطب: ١٩٨٦، ج٣، ١٣٩٢) ويقول تعالى: ﴿**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾ (الفرقان:٤٤) وفي موضع آخر يقول: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ (الحج:٤٦)

إن المتتبع للآيات الكريمة وللتفسير القرآني يدرك حقيقة التعطيل الإنساني لتلك الأدوات التي منحها الله لهذا الإنسان؛ ليستطيع أن يتجاوز من خلالها الامتحان والاختبار بنجاح وتفوق، هذا التعطيل الذي يهبط بالإنسان من مستواه الآدمي الذي كرمه الله بها عن سائر مخلوقاته إلى مستوى الأنعام، بل أدنى من الأنعام التي خلقها الله على ماهيتها، ولم تفقد حقيقتها ولا جوهرها ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً**﴾ (الإسراء:٧٠) إن هذا الإنسان في حياته القائمة على الاختبار والابتلاء يحتاج إلى أن يسخر كل طاقاته وإمكاناته للنجاة والفوز، واستحقاق الكرامة الإلهية بدخول الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقا.فالابتلاء العام ينقسم من خلاله الناس إلى قسمين: قسم كافر وقسم مؤمن، فأما القسم الكافر فقد رسب بالامتحان فلا ابتلاء بعد الرسوب والسقوط، فإن بقي كذلك حتى مماته فإن مصيره النار _والعياذ بالله_ ولا ينظر الله إلى أعماله وأفعاله مهما كانت هذه الأعمال حسنة وقيمة، لأنها قائمة على الكفر، وفي ذلك يقول عز وجل: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**﴾ (الفرقان:٢٣)

٢_ الابتلاء الخاص، ابتلاء المؤمنين:

إن الإنسان الكافر إذا سقط في الاختبار الرئيس، لا يتقدم إلى امتحانات أخرى، بل يبقى في إطار اختبار الإيمان والكفر، فإذا أصر على الكفر فمآله إلى جهنم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما المؤمن فلا يتوقف الابتلاء عنه، بل يتعرض إلى ابتلاءات أخرى، وفتن كثيرة، ومحن عديدة، إنه سيسأل عن كل لحظة من لحظات عمره فيما أفناها، وعن كل كلمة قالها، وعن كل عمل عمله، وسيجزي على الخير خيرا، وعلى الشر شرا،قال تعالى: ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**﴾ (الزلزلة:٧: ٨) (أبو فارس،ب.ت، ١٩)

فقد جاء أسلوب الاستفهام الاستنكاري في قوله عز وجل: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ (العنكبوت:٢، ٣) ليؤكد أن الأمر لا يقف عند إعلان الإيمان باللسان، بل هو ما وقر في القلب وصدقه العمل، فهو إقرار بالجنان، ونطق باللسان وعمل بالأركان.

وفي تفسير الآية السابقة يقول صاحب الظلال: "إن الإيمان ليس كلمة تقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف؛ وأمانة ذات أعباء؛ وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال. فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا، وهم لا يتركون لهذه الدعوى، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم. كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به وهذا هو أصل الكلمة اللغوي وله دلالته وظله وإيحاؤه، وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب" (قطب:١٩٨٦،ج٥، ٢٧٢٠)

إن حياة المؤمن ابتلاء دائم واختبار مستمر؛ ليميز الله الخبيث من الطيب، ويكشف الحجب عن أولئك الذين تستروا بالدين، واخترقوا الصفوف، ويكشف أمام المؤمنين حقيقة الإيمان الصادق القائم على الثبات والالتزام بالمنهج الرباني، يقول تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ (البقرة:٢١٤) إن هذه الآية الكريمة تكشف حجم المحنة الذي تعرضت له الفئة المؤمنة وبين ظهرانيهم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه؛ ليصل بهم الحال والمقام أن يسألوا متى نصر الله؟! إن دخول الجنة يتطلب الكثير من الصبر على الشدائد والمحن والابتلاءات؛ ليحظى المؤمنون بهذه الكرامة والمنة الإلهية،فكل أولئك المنافقين ومن خبثت نفوسهم سيتساقطون، وسيكشف زيفهم وسوء صنيعهم،وهنا لفتة قرآنية وتأكيد قرآني على أن سنة الابتلاء في حياة المؤمنين متتابعة ومطردة في قوله: **(مثل الذين خلوا من قبلكم)** فهذه السنة المتتابعة ستكون فيكم وفيما بعدكم كما كانت فيما قبلكم،وقد أكد هذا الحديث الشريف: "شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا ؟ قال: كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر؛ حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله و الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون" (البخاري:١٩٨٧، ١٣٢٢/٣، ٣٤١٦)

ويقول تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ (آل عمران:١٤٢) وفي سورة التوبة: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾(التوبة:١٦)

وفي الحديث الشريف:"ورد عن عاصم بن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء،ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل من الناس، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة" (ابن حنبل،ب.ت،١٧٢/١،ح١٤٨١)

إن هذه الآيات تفتح الآفاق أمام المؤمنين؛ ليكونوا أكثر إدراكا، ووعيا بحقيقة الابتلاء، وحكمته في مسيرة حياتهم، وتطبيقاته الواقعية.

ب_ الابتلاء من حيث النوع:

ينقسم الابتلاء من حيث النوع إلى قسمين: ابتلاء العقول،وابتلاء النفوس.

١_ ابتلاء العقول:

إن ابتلاء العقول هو من أعظم الابتلاءات التي يصاب بها الإنسان في حياته الدنيا، وأعظم البلاء حين تجمد وتغلق العقول أمام هذه الآيات الربانية، وهذه الرحابة الكونية، يقول تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ (فصلت:٥٣) ويؤكد القرآن الكريم على ابتلاء العقول بقوله تعالى: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾ (الإنسان: ٣) فأعظم مصيبة يعيشها الإنسان حين يغيب عقله، ويفقد القدرة على التمييز بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ (الحج:٤٦) .

لقد أشار القرآن الكريم إلى العديد من النماذج، التي يغيب فيها العقل، حتى يتحول هذا الإنسان إلى إمعة فاقد لحقيقة إنسانيته وغاية وجوده،قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ**﴾ (الزخرف:٢٣) ويقول عز وجل: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾ (البقرة:١٧٠) إن الرسالات السماوية جاءت في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حقيقتها لتطلق هذه العقول من رقها وقيدها؛ لتنطلق مع آيات الله ولتصل إلى الحقيقة المخبوءة خلف الجهل، لقد جاءت الرسالات السماوية لتفتح الآفاق أمام العقول؛ لترتقي بمستواها التفكيري والعقلي.

لقد حدد القرآن الكريم منهجا متكاملا للارتقاء بعقل الإنسان، ودفعه باتجاه الإبداع، ووضع له الضوابط والمعايير التي يمكنه من خلالها أن ينسجم مع حقيقة هذا الكون، وحقيقة خالقه وحقيقة وجوده،وقد أشار ماجد الكيلاني إلى تزكية العقل في المنهج القرآني القائم على أمرين:

الأول:تزكية العقائد وذلك بتفريغ العقل من كل الخرافات والأوهام والمعتقدات التي لم تقم على برهان أو دليل.

الثاني: تزكية أساليب التفكير العقلي ومن أهم تلك الأساليب:

أولاً: التدريب على النقد الذاتي بدل التفكير التبريري.

نعني بالنقد الذاتي ذلك الأسلوب من التفكير الذي يحمل صاحبه المسؤولية في جميع ما يصيبه من مشكلات ونوازل.ونعني بالتفكير التبريري: ذلك التفكير الذي كان شائعا عند العرب ويشيع في كل مجتمع يرتد إلى التخلف، والذي يفترض الكمال بصاحبه ويبرئه من أية مسؤولية في الأخطاء التي تحدث أو النوازل التي تحل.(الكيلاني: ١٩٨٧، ٤٥)

إن هذا المبدأ الراسخ و الثابت في القرآن الكريم يوجه العقول نحو دور أصحابها في ما يصيبها من علل ومصائب، وفي هذا السياق، يقول عز وجل: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ (الشورى:٣٠) فبادئ ذي بدء لابد للإنسان أن يبحث في ذاته وينتقد نفسه وهو ما يعرف بين الناس اليوم بالنفس اللوامة والتي أقسم الله عز وجل بها قائلا: ﴿**وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾ (القيامة:٢) فهذه النفس التي تتعود على مراجعة الذات ونقدها ولا تكتفي بالمنهج التبريري الذي إن دل على شيء إنما يدل على الاستمرار في منهج الخطيئة والمعصية، وقد قال عز وجل على لسان امرأة العزيز وهي تعترف وتقر بارتكابها الخطأ ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (يوسف:٥٣) فهنا كان المقام مقام مدح للاعتراف والإقرار بالخطأ دون اتباع منهج التبرير، الذي يقود إلى مزيد من التمادي في الذنوب والمعاصي.

إن هذا النقد الذاتي في الدنيا يحفظ الإنسان من الندم ونقد الذات يوم لا ينفع مال ولا بنون حين يقف الإنسان أمام الحقيقة عاريا من كل المبررات التي يسوقها في الدنيا وهنا يقول عز وجل: ﴿**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ (الملك:١٠) هذا الندم المذموم يوم الحساب حذر منه القرآن الكريم ليتدرب المؤمن والمسلم على نقد ذاته كقاعدة أصيلة في حياته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا لا يقتصر على الأفراد بل هو جزء من حياة الأمة والمجتمع الإسلامي والجماعة المؤمنة، فعلى الأمة أن تعيش حالة النقد الذاتي بكل تفاصيلها وتربي أفرادها على هذا النقد.

ثانياً: التدريب على التفكير العلمي بدل اتباع الظن والهوى

إن المنهجية السليمة تقتضي من الإنسان أن يلجأ إلى المنهج العلمي والتفكير العلمي القائم على الملاحظة والتجربة والاستنتاج الدقيق، وهذا التفكير العلمي كما يدعو له الغرب اليوم في ظل الحضارة والمدنية الجديدة ليس جديدا على الإسلام بل هو قاعدة أصيلة وثابتة في المنهج القرآني دعا إليه القرآن والسنة النبوية لترسم منهجا علميا دقيقا للمسلم في حياته وتعاطيه مع الموضوعات المختلفة.وفي هذا المقام يقول عز وجل داعيا إلى المنهج العلمي محذرا من إتباع الظن: ﴿**إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ**﴾ (النجم:٢٣) وفي آية أخرى يقول: ﴿**إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً**﴾ (النجم:٢٨) هنا دعوة واضحة وجلية إلى الابتعاد عن الظن والهوى في إصدار الأحكام ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث) (البخاري:١٩٨٧، ١٩٧٦/٥، ٤٨٤٩)

"بل يندد القرآن الكريم بكل من يتبع الهوى دون الحقيقة ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ**) (القصص:٥٠)" (الكيلاني: ١٩٨٧، ٤٦).

هذا التوجيه الإلهي يدعو إلى إتباع المنهج العلمي والحق والتثبت في كل صغير وكبيرة وقد جاء النداء الإلهي مذكرا ومعقبا على كل من يتلفظ ويصدر أحكامه دون علم ومعرفة قائلاً: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ (الإسراء:٣٦) لم يكتف القرآن الكريم بهذه التوجيهات في إتباع المنهج العلمي بل وصل إلى حد تبيان قواعد المنهج العلمي القائم على تقديم الأدلة والبراهين على صحة الادعاء قائلا:﴿**هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ**﴾(الكهف:١٥) كما أكد القرآن الكريم على عدم التسرع في إصدار الأحكام قائلا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ (الحجرات:٦)

وقد أشار أبو سليمان إلى هذا الموضوع بقوله: "فدور العقل هو علم الشهادة بتمحيص صدق الرسل وصحة سند الوحي المبلغ وتوثيقه، ودور العقل هو علم الشهادة بإدراك مقاصد الوحي من وجود الحياة والإنسان في عالم الشهادة، هذا ما يكون عليه العقل المسلم إذا استقام وصلح أداؤه، لا خلط ولا تشويش ولا عماية ولا جهد ضائع ولا طاقة مبددة، ولا تخبط وقلق، وشك دائم لا يزول وعماية لاتنتهي"(أبو سليمان: ١٩٩١، ١٢٠)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: التدريب على سؤال أهل الاختصاص بدل البقاء على حالة الجهل.

إن هذه القاعدة تعتبر من الضروريات والبديهيات في الوصول إلى الحق والحقيقة، فهذا التوجيه الرباني لطلب المعرفة والحقيقة من أصولها السليمة، والابتعاد عن السفهاء وجهلة القوم، وفي هذا السياق يقول القرآن الكريم ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (الأنبياء:٧) فهنا دعوة واضحة وجلية للسؤال والاستفسار من جهتها الطبيعية، فالمختص هو القادر وحده على الإجابة الشافية والكاملة، فيقول عز وجل: ﴿**وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ (النساء:٨٣) إن تناول بعض أفراد المجتمع لبعض القضايا المختلفة والتي قد تشكل على غير المتخصص، تقود إلى نوع من الفوضى والخلل داخل المجتمع الإسلامي، وهذا ما حذر منه القرآن الكريم، فقال تعالى محذراً من المنافقين والمثبطين: ﴿**لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ**﴾ (التوبة:٤٧)

رابعاً: التدريب على التجديد بدل التقليد.

التقليد الذي عناه القرآن الكريم والسنة الشريفة: هو عدم استعمال العقل واللجوء إلى المحاكاة.(الكيلاني: ١٩٨٧، ٤٥)

لقد جاء الإسلام ليفتح الآفاق أمام العقل للتدبر، والتفكر وللحكم بموضوعية على الحياة والمجتمع وفي هذا السياق يستنكر الجمود والتحجر والتعصب بقوله تعالى: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ**) (الزخرف:٢٣) هذا التعصب والتقليد الأعمى دون تمييز وتفكير يندد به القرآن بل يدعو إلى التحرر العقلي من أوهام التقليد فيقول:﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ**﴾ (البقرة:١٧٠) أسلوب الاستفهام جاء الغرض منه التعجب والاستنكار على التقليد الأعمى للجهل والتخلف، بل لم يكتف القرآن بالتعريض بالتقليد وذمه في كثير من مواقع القرآن الكريم، بل بين مدى التدليس والتغرير والتوهم ببعض المقلدين أنهم يتبعون قول الله عز وجل وفي هذا السياق يقول القرآن الكريم: ﴿**وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾ (الأعراف:٢٨)

خامساً: التدرب على التأمل والتحليل بدل السطحية.

لعل هذه القاعدة هي أكثر ما يحتاجه المثقفون اليوم، أن يتدربوا على حالة الصفاء الذهني والتأمل وتحليل الأمور بشكل منطقي للوصول للحق والحقيقة.وفي هذا يقول عز وجل ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾ (فصلت:٥٣) إن كل متأمل سيكتشف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحقيقة والحق، فآيات الله الكثيرة كفيلة بأن تثبت الحق لمن تأمل ونظر في الكون وفي نفسه. ويقول عز وجل ﴿**انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ**﴾ (الأنعام:٦٥)

إن هذه الآيات كافية وحدها للعلم والتفقه والفهم والوعي، فوجود الآيات هي للعلم وللتفقه، فالله يأمر المؤمنين بالتدبر والتأمل فيقول: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ**﴾ (يوسف:١٠٩) ويقول عز وجل: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا**﴾ (النساء:٨٢) ويندد القرآن الكريم بأولئك الذين أغلقوا عقولهم وقلوبهم ولم يتبعوا المنهج القرآني بالتدبر والتأمل فيقول ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ (محمد:٢٤). إن هذا المستوى الراقي من المنهج القرآني الرائع يدعو المسلم ليكون أكثر تألقا ورحابة في هذا الكون ليفهم ما يدور حوله من آيات ودلائل؛ ليرتقي بإيمانه إلى الدرجات العلا، فلا يقف عند حد معين إن هذا التعظيم للعقل بحيث يفتح أمامه الكون ليسرح به ويتأمل في آيات الله عز وجل كفيلة بأن تقود الإنسان نحو الحق والحقيقة. فيقول الله عز وجل:﴿**أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ**﴾ (الغاشية: ١٧_ ٢٠) . وحذر القرآن الكريم من أولئك الذين أغلقوا أفهامهم وقلوبهم عن استيعاب مقاصد القرآن، ودلائله العظيمة ولم يصلوا إلى مرتبة العقلاء والمتفقهين والمتأملين، فيقول عز وجل: ﴿**وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا**﴾ (الأنعام:٢٥) إن الخطر الذي يتهدد أولئك الذين تحجروا وتجمدوا أمام القرآن العظيم، حتى وصل بهم المقام أن يجعل الله على قلوبهم أكنة وحواجز أن يفهموا ويستوعبوا هذه الآيات، فحالة التأمل هي حالة الارتقاء والسياحة الإلهية، هي حالة الانسجام والتواصل مع الله عز وجل؛ لتصل إلى أعلى مقاماتها.

سادساً:التدريب على التفكير الجماعي بدل التفكير الفردي.

إن هذه القاعدة هي من القواعد الأساسية التي لا بد أن تضبط العقل الإنساني، وتخرجه من ظلمة الأنانية وحب الذات والتفكير الفردي المقيت؛ ليتألق ويشمل جماعته فيزداد ارتقاء؛ ليشمل كل البشر، في حالة إنسانية إبداعية في ظلال القرآن الكريم. والله عز وجل يقول: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ (البقرة:١٤٣)

لقد وجه القرآن الكريم تفكير المؤمنين باتجاه الجماعة دون التفكير الفردي؛ إدراكا لخطورة هذه المنهجية من التفكير التي تقود الإنسان.

إن عملية التأثر والتأثير المتبادل هي ظاهرة طبيعية، فالإنسان السلبي سيعكس سلبيته على مجتمعه، ومجتمعه سيعكس سلبيته عليه، فالله عز وجل يقول واصفا حالة الرقي لدى الأنصار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مادحا إياهم: ﴿**يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ (الحشر:٩) بل وتوالت الأحاديث النبوية تشكل منهجا تفكيريا يؤكد على هذه القاعدة القرآنية: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى" (البخاري: ١٩٨٧، ٢٢٣٨/٥، ح٥٦٦٥) وقد جاء القرآن معقبا على حالة التأثر والتأثير موجها العقل باتجاه التفكير الجماعي الذي يضمن مصلحة الجماعة قائلا: ﴿**وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً**﴾ (الأنفال:٢٥) إن الخروج من حالة الشخصنة والتعميمات التي يقع فيها الكثير، قد شكلت جزءاً مهما في أساليب التفكير العقلي القرآني، بحيث أن المصلحة تقتضي ألا يخلط الحابل بالنابل، وتؤثر على الجماعة المؤمنة في ظل التفكير الفردي الذي لا يضع بعين الاعتبار مصلحة الأمة ومصلحة المجتمع.(الكيلاني: ١٩٨٧، ٤٧)

٢_ ابتلاء النفوس:

بعد الفوز بالامتحان العقلي، يجد امتحانا آخر في انتظاره، وهو امتحان النفوس، لأن الإيمان قول وعمل، وتصديق بالجنان، وعمل بالأركان (نصار: ٢٠٠٤، ٥٤٥)

قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾ (البقرة: ١٥٥) ويقول عز وجل في محكم التنزيل: ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ (آل عمران:١٨٦)

"إنها سنة العقائد والدعوات، لا بد من بلاء، ولا بد من أذى في الأموال والأنفس، ولا بد من صبر ومقاومة واعتزام.إنه الطريق إلى الجنة. وقد حفت الجنة بالمكاره. بينما حفت النار بالشهوات... وتختلف وسائل الابتلاء والفتنة باختلاف الزمان، وتختلف وسائل الدعاية ضد الجماعة المسلمة، ووسائل إيذائها في سمعتها وفي مقوّماتها وفي أعراضها وفي أهدافها وأغراضها" (قطب:١٩٨٦، ٥٣٣، ٥٣٤) .

لقد كان التوجيه القرآني الكريم واضحا وجليا في تربية النفوس؛ للاستعداد للابتلاءات المتنوعة، وتوطينها على الصبر عليها، والتي أشار إلى بعض أنواعها وهي:

١_ **الخوف**: الخوف الذي يكون تارة خارجيا، وتارة يكون داخليا، فالخارجي هو ما ينتج عن الصراع مع الأعداء، والتكاليف المترتبة على هذا الصراع من خوف ورعب، وداخلياً ما يكون بتلك التخوفات التي يعيشها الإنسان في حياته اليومية والمستقبلية ضمن قراءته لواقعه.فقد يكون خوفاً على عياله أو ماله أو نفسه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢_ **الجوع**: إن لذة هذه الحياة قائمة على غريزة إشباع البطن؛ لذلك يعتبر الجوع من أشد الابتلاءات التي قد يتعرض لها الإنسان، وعلى مدار التاريخ كان أعداء الرسل والأنبياء يتخذون من سياسة التجويع، والحصار الاقتصادي أسلوبا رئيسا في محاربة دعوة الأنبياء والرسل، وقد تعرض رسولنا صلى لله عليه وآله وسلم إلى ابتلاء الجوع في مكة والمدينة، ويقول الرازي في تفسيره للآية: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾ (البقرة: ١٥٥):"وأما الجوع فقد أصابهم في أول مهاجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة لقلة أموالهم، حتى أنه عليه السلام كان يشد الحجر على بطنه" (الرازي،ب.ت، ج٤، ١٥٠)

٣_ **نقص الأموال**: إن المال هو من أعظم الفتن والابتلاءات في هذه الحياة، وقد وصف القرآن الكريم تفاعل الإنسان مع المال بقوله: ﴿**وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا**﴾ (الفجر:٢٠) وقد قدم القرآن الكريم في مواضع عدة المال على النفس ﴿**وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ (التوبة:٤١) لذلك كان النقص وقلة المال من أعظم دواعي الألم والمرارة في النفس.

٤_ **نقص الثمرات**: قد يكون المقصود هنا الثمرات بمعناها القريب، وهي ما تخرجه الأرض من ثمر نتيجة القحط والجدب التي يصيبها، أو المراد البعيد، وهو نقص الأولاد كما فسره الإمام الرازي على لسان الإمام الشافعي: "وأما نقص الثمرات فقد يكون بالجدب، وقد يكون بترك عمارة الضياع للاشتغال بجهاد الأعداء، وقد يكون ذلك بالإنفاق على من كان يرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوفود، هذا آخر كلام القفال رحمه الله،قال الشافعي رضي الله عنه: الخوف: خوف الله، والجوع: صيام شهر رمضان، والنقص من الأموال: الزكوات والصدقات، ومن الأنفس: الأمراض، ومن الثمرات: موت الأولاد" (الرازي،ب.ت، ج٤، ١٥١) ونحن نميل إلى التفسير الأول الذي ذهب إليه الإمام الرازي رحمه الله، ومن خلال ما ذكر نستطيع أن نفهم وندرك أن الأمر يندرج تحت سياق الحصار الاقتصادي الشامل والمتكامل، والذي نراه اليوم سمة غالبة على الهجمة التي تشن على الإسلام والمسلمين.

٥_ **الحرب الإعلامية**: وهي التي أشار لها القرآن بقوله: ﴿**وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا**﴾ (آل عمران:١٨٦) فهو جزء من حملة الابتلاء التي تستهدف الإنسان المسلم، الذي عليه أن يستعد لها بالصبر على الابتلاء والمشقة في سبيل الدعوة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ج_ الابتلاء من حيث المدى

ينقسم الابتلاء من حيث المدى إلى قسمين: الابتلاء الفردي والابتلاء الجماعي.

١_ الابتلاء الفردي:

"تعني بالابتلاء الفردي هنا أن هذا الابتلاء من الله تبارك وتعالى وحده دون أن يكون أثرا للصراع بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان" (أبوفارس، ب.ت، ٢١) وذلك بما يقع على الإنسان من ابتلاءات لا علاقة للصراع بين الناس أثر فيها، كما أن للصراع بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، أثره في الابتلاءات الواقعة على الصعيد الفردي أيضا.

وجاء في الحديث الشريف:"عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت يا رسول الله: أي الناس أشد بلاء ؟ قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلى على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه" (الترمذي،ب.ت، ٦٠١/٤:ح٢٣٩٨)

فالابتلاء الفردي لم يكن مقصورا على أحد، فقد تعرض له الأنبياء والرسل، والصالحون والمؤمنون، فمنذ آدم عليه السلام وحتى قيام الساعة، يبقى الابتلاء الفردي، بأشكاله وصوره المتنوعة والمتعددة، يتعرض له الإنسان، إما بفقد عزيز وغال، أو بمرض يصيبه، "عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان ابن لأبي طلحة يشتكي فخرج أبو طلحة فقبض الصبي، فلما رجع أبو طلحة، قال: ما فعل ابني قالت أم سليم هو أسكن ما كان، فقربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها، فلما فرغ قالت: وار الصبي. فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: (أعرستم الليلة) . قال: نعم، قال: (اللهم بارك لهما) . فولدت غلاما. قال لي أبو طلحة: احفظه حتى تأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم وأرسلت معه بتمرات فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فقال (أمعه شيء) . قالوا نعم تمرات فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فمضغها، ثم أخذ من فيه فجعلها في في الصبي، وحنكه به وسماه عبد الله" (البخاري:١٩٨٧، ٢٠٨٢/٥،ح ٥١٥٣)

فقد وردت الأحاديث المتتابعة التي تتحدث عن الفتن والابتلاءات على الصعيد الفردي،عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"يقول الله تعالى ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة" (البخاري:١٩٨٧، ٢٣٦١/٥،ح٦٠٦٠) وفي حديث آخر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله سلم يقول: "إن الله قال إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوضته منهما الجنة" (البخاري: ١٩٨٧، ٢١٤٠/٥،ح٥٣٢٩)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد وردت في القرآن الكريم النماذج والأمثلة الحية على الابتلاء الفردي، التي لم يكن للصراع أثر فيها نذكر منها:

١_ ابتلاء سيدنا أيوب عليه السلام:

قال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ،ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ، وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ (ص:٤١_ ٤٤)

إن ابتلاء سيدنا أيوب من أشد وأعظم الابتلاءات التي تعرض لها الأنبياء والرسل، حتى أصبح مثلا يضرب في حياة الأمة، "كان أيوب رجلا كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي المتسعة بأرض البثينة من أرض حوران، وحكى ابن عساكر أنها كلها كانت له، وكان له أولاد وأهلون كثير، فسلب من ذلك جميعه، وابتلي في جسده بأنواع البلاء، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه. يذكر الله عز وجل بهما، وهو في ذلك كله صابر، محتسب ذاكرا لله عز وجل، في ليله ونهاره وصباحه ومسائه.وطال مرضه حتى عافه الجليس وأوحش منه الأنيس، وأخرج من بلده وألقي على مزبلة خارجها، وانقطع عنه الناس، ولم يبق أحد يحنو عليه سوى زوجته، كانت ترعى له حقه، وتعرف قديم إحسانه إليها، وشفقته عليها، فكانت تتردد إليه فتصلح من شأنه، وتعينه على قضاء حاجته وتقوم بمصلحته. وضعف حالها وقل مالها حتى كانت تخدم الناس بالأجر لتطعمه وتقوم بأوده رضي الله عنها وأرضاها وهي صابرة معه على ما حل بهما من فراق المال والولد، وما يختص بها من المصيبة بالزوج وضيق ذات اليد وخدمة الناس بعد السعادة والنعمة والخدمة والحرمة" (ابن كثير:٢٠٠٣، ١٦٨، ١٦٩)

وجاء في الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن نبي الله أيوب صلى الله عليه وسلم لبث به بلاؤه ثمان عشرة سنة، فرفضه القريب و البعيد إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه و يروحان، فقال أحدهما لصاحبه ذات يوم: تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه: و ما ذاك ؟ قال: منذ ثمان عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راحا إلى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقولان غير أن الله تعالى يعلم أني كنت أمر بالرجلين يتنازعان، فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق، قال: و كان يخرج إلى حاجته فإذا قضى حاجته أمسكته امرأته بيده حتى يبلغ، فلما كان ذات يوم أبطأ عليها و أوحي إلى أيوب أن ﴿ **ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ**) (ص:٤٢) فاستبطأته فتلقته تنظر و قد أقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء و

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هو أحسن ما كان فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، والله على ذلك ما رأيت أشبه منك إذ كان صحيحاً، فقال: فإني أنا هو، و كان له أندران (أي بيدران) :أندر للقمح و أندر للشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض و أفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض" (الألباني:١٩٨٥، ٣٥/١، ح١٧)

لم يكن من سيدنا أيوب عليه السلام إلا الصبر والثبات، والرضا بقضاء الله وقدره، حتى مدحه القرآن الكريم على هذا الصبر: ﴿**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ (ص: ٤٤) وكان قمة التأدب مع الله في الدعاء الذي توجه به سيدنا أيوب عليه السلام ليرفع عنه هذا البلاء بقوله: ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤١) ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٤٣) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)** ﴾ (ص:٤٢_٤٤) فقد جاء الرد الإلهي ثمرة هذا الصبر على هذا الابتلاء والمعاناة بأن نجاه الله وعافاه حتى عمت الرحمة أهله ولم تقتصر عليه ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**﴾ (الأنبياء:٨٣، ٨٤).

٢_ابتلاء سيدنا إبراهيم عليه السلام:

قال تعالى: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ(١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ(١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ(١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ(١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ(١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ(١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ(١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ(١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ(١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ(١١٣)** ﴾ (الصافات:١٠٠_١١٣)

لقد جاء الابتلاء الرباني لسيدنا إبراهيم عليه السلام، في أعز ما لديه، في ولده المحبوب، فقد جاء الأمر الإلهي واضحا وجليا في ذبح ولده، في أقسى وأصعب صور الابتلاء والتمحيص، فالابتلاء ليس مقصورا على سيدنا إبراهيم بل على ولده إسماعيل أيضا، بكل المفاهيم والعواطف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأبوية والإنسانية، كيف لا، والأمر متعلق بالولد البار ، الصالح التقي النقي، إنه أمر عسير على النفس البشرية ، كيف يذبح الرجل ولده المؤدب المحبوب، الذي يؤمل فيه في حمل الرسالة من بعده، وكيف يمكن لوالد مثل سيدنا إبراهيم بكل ما يحمله من معاني الرحمة والشفقة التي لا يمكن وصفها، أن يقدم على ذبح ولده.(أبوفارس، ب.ت:٢٧)

لكنه الأمر الرباني والامتثال والطاعة له، هذه هي حقيقة الابتلاء والتمحيص والاختبار، "والله لا يريد أن يعذب عباده بالابتلاء، ولا يريد دماءهم وأجسادهم في شيء، ومتى خلصوا له واستعدوا للأداء بكلياتهم فقد أدوا، وقد حققوا التكليف، وقد جازوا الامتحان بنجاح" (قطب:١٩٨٦،ج٥،٢٩٩٦)

فكان الاستسلام والانقياد والطاعة للأمر الإلهي،وهنا نجد روعة التصوير القرآني في الحوار الدائر بين النبي الأب وولده ذو الأدب الرفيع، ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾ (الصافات:١٠٢) لقد أراد سيدنا إبراهيم عليه السلام قبل أن ينفذ الأمر أن يعلم ولده، "وأن يستقبل إسماعيل الأمر بالطاعة والتسليم، لا قهرا واضطرارا، ليتقاسم الاثنان حلاوة الالتزام والتسليم للإرادة الإلهية" (قطب:١٩٨٦، ج٥، ٢٩٩٥)، فبكل الحب والوعي لطبيعة المهمة الصعبة وأنها صادرة عن رب العزة، ولا مجال للتردد والخوف **(فانظر ماذا ترى)** فجاء الرد المعبر عن حقيقة الإيمان الذي استقر في النفوس والعقول والقلوب، **(يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين)** إنه التسليم للإرادة الإلهية والرضا بقضاء الله، وطلب الاستعانة بالله على الصبر، هذه الروح وهذا الإيمان المتأصل في النفس المؤمنة التي أراد الله أن تكون نموذجا يحتذى، ومثلا في كتابه الكريم يضرب ليسير عليه كل السالكين هذا الطريق وهذا الخط الرسالي. وحين تبدأ تنفيذ المهمة، والالتزام بالأمر الرباني، ﴿**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ**﴾ (الصافات:١٠٣) جاء الفرج الرباني،جائزة على هذا الصبر والنجاح الباهر في هذا الامتحان الصعب والقاسي، ﴿**فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ(١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ(١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ(١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ(١٠٨)** ﴾ (الصافات:١٠٣_١٠٨)

لقد نجى الله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وكوفئ سيدنا إسماعيل بأن صار رسولا نبيا، وصار له ذرية كان من بينها خاتم الأنبياء والرسل، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكوفئ سيدنا إبراهيم عليه السلام بأن بشره الله بولد آخر من زوجته سارة هو إسحاق الذي سيعيش ويكبر ويصبح رسولا. (أبوفارس، ب.ت، ٣٠)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا النموذج النبوي في تحمل الابتلاء والتعاطي معه يحمل في طياته أبعادا تربوية جمة، سنأتي على ذكرها في الفصول القادمة إن شاء الله.

٣_ ابتلاء خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

لقد تعرض رسولنا الكريم للعديد من الابتلاءات على امتداد حياته، منذ نعومة أظفاره وصولا إلى ملاقاته ربه، منها ما لم يتعلق بالصراع ومنها ما تعلق بالصراع بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فقد توفى والده وهو في بطن أمه؛ ليخرج إلى هذه الدنيا وهو يتيم الأب، ثم يفقد أمه وهو في السادسة من عمره، ليواصل حياته يتيم الأب والأم، "ونشأ فقيرا، يرعى الغنم، وتزوج خديجة، رضي الله عنها، وبعد ذلك بخمسة عشر عاما أرسله الله، فوقف الطواغيت في وجهه، يصدون عن دين الله، وكان أبو طالب عمه يقف بجانبه، يحميه، ويدافع عنه، وكانت زوجته خديجة تسري عنه، وتخفف آلامه، وتواسيه" (أبو فارس، ب.ت، ٣٥)

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته: أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ قال: "لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمد، فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا" (البخاري:١٩٨٧، ١١٨٠/٣، ح٣٠٥٩)

إن المقام لا يتسع للحديث عن التفاصيل التي مرت برسولنا الكريم في تاريخ دعوته من ابتلاءات،بدءا بدعوته جهرا وتكالب الظالمين عليه واتهامه بشتى أنواع الاتهامات فتارة بالكذب وتارة بالجنون وتارة بالسحر، فقال تعالى: ﴿**فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ، أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ، قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ**﴾ (الطور: ٢٩، ٣٠، ٣١) والمعارك التي خاضها دفاعا عن الدعوة والرسالة السماوية، من بدر الكبرى إلى غزوة أحد التي كانت ابتلاء ودرسا قاسيا للؤمنين أوذي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى غزوة الخندق، وما تعرض فيها الرسول وصحابته الأجلاء إلى الابتلاء والشدة، قال تعالى:﴿**إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا،هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا**﴾(الأحزاب:١٠،١١) وحتى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفاته وما تحمله من آلام سكرات الموت فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: "إن من نعم الله علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل علي عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحب السواك فقلت آخذه لك ؟ فأشار برأسه (أن نعم) . فتناولته فاشتد عليه وقلت الينه لك ؟ فأشار برأسه (أن نعم) . فلينته فأمره وبين يديه ركوة أو علبة - يشك عمر - فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: "لا إله الإ الله إن للموت سكرات" . ثم نصب يده فجعل يقول: "اللهم في الرفيق الأعلى" حتى قبض ومالت يده" (البخاري:١٩٨٧، ١٦١٦/٤، ح٤١٨٤)

من هنا نجد أن حياة النبي كانت عبارة عن ابتلاءات ممتدة في حياته الخاصة، وفي طريق دعوته ورسالته الإلهية.

٢_الابتلاء الجماعي.

"وهذا النوع من الابتلاء يكون نتيجة الصراع بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، فأولياء الرحمن يقومون بالدعوة إلى الله، ومحاربة الشرك، وأبطال عبادة غير الله، إنهم يعملون ليل نهار لتحكيم شرع الله في واقع الحياة، وتحرير الناس من العبودية لغير الله، وتحرير العقل الإنساني من الخرافات والأوهام، إنهم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويسعون إلى تغيير المجتمع الفاسد وتطهيره من الفسق والفجور وقبائح الأمور" (أبو فارس،ب.ت، ٤١) .

إن الجماعة المؤمنة في ظل صراعها يجب أن تكون مستعدة لمواجهة الابتلاءات المتنوعة والمختلفة، على كافة الصعد العسكرية والسياسية والاقتصادية والفكرية، يقول عز وجل: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ (البقرة:٢١٤).

أنواع الابتلاءات التي تتعرض لها الجماعة المؤمنة:

١_تسلط الكافرين على المؤمنين وصرف قلوب المؤمنين عن مواجهتهم:

يقول عز وجل: ﴿ **حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ** ﴾ (آل عمران:١٥٢)

لقد وردت هذه الآيات في سورة آل عمران، وصفا لحال المؤمنين في غزوة أحد حين عصى المؤمنون أمر نبيهم واختلفوا، كانت النتيجة هزيمتهم وصرف قلوبهم عن مواجهة الكفار؛ ليكون بمثابة عقاب رباني. ونحن اليوم لا يوجد وصف أكثر من هذا الوصف القرآني لحالة التشرذم والخلاف والاختلاف بينها، كان من نتائجها تسلط الظالمين على هذه الأمة، بل أقسى ما في هذا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الابتلاء ليس تسلط الكافرين بل هو صرف قلوب المؤمنين عن مواجهة الكافرين، لقد كان الوصف القرآني دقيقا فقال (**ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ**) لقد انشغل المقاتلون بجمع الغنائم طمعا بالدنيا، واختلفوا وعصوا نبيهم، فاجتمع الكفار عليهم ليوجهوا لهم ضربة صاعقة، هزت أركانهم وفرقت جموعهم وثبت من ثبت وفر من فر من ميدان المعركة حاملا معه خيبته واهتزاز دينه وفقدان دنياه.إن ضياع الأهداف المرجوة في مواجهة الكفار والمشركين، حتى تختلط المفاهيم وتضيع القيم وتصبح التصورات مبهمة ومشتتة، ويكشف الله عن مخبوء تلك النفوس بقوله: ﴿**وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ (آل عمران:١٥٤)

هذه النفوس التي اهتزت بفعل الضغط والابتلاء وإخفائها عما تعتلج به من أوهام وظنون و تصورات بينها الله في تلك الآية الكريمة تكشف أن هذا الابتلاء لم يكن بمحض الصدفة بل جاء من عليم خبير ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ (آل عمران:١٥٤) حتى يتم إعادة صياغة المفاهيم والتصورات التي يجب أن تلتزم بها الجماعة المؤمنة في حملها للأمانة وفي مواجهتها لقوى الظلم والكفر.

"وكان القرآن الكريم يتنزل في إبان الابتلاء أو بعد انقضائه، يصور الأحداث، ويلقي الأضواء على منحنياته وزواياه، فتتكشف المواقف والمشاعر، والنوايا والضمائر، ثم يخاطب القلوب وهي مكشوفة في النور، عارية من كل رداء وستار، ويلمس فيها مواضع التأثر والاستجابة، ويربيها يوماً بعد يوم" (قطب:١٩٨٦، ج٥، ٢٨٣١)

٢_ الخوف والرعب الشديد.

﴿**وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً**﴾ (الأحزاب:١٠، ١١) .

لقد جاء القرآن معبرا بشكل دقيق عن حال المؤمنين، وحالة الخوف التي وصلوا إليها، حين أطبق العدو وحاصر المؤمنين كان التصوير القرآني دقيقا ومعبرا، وهو يصف مشاعر المؤمنين وحالهم، حتى وصلت القلوب الحناجر من شدة خفقانها خوفا، بل وصل الحد إلى اهتزاز الإيمان واليقين بالله، و نحن نعيش نفس الأزمة، تكالب الكفار والظالمين، من كل مكان مستهدفين المؤمنين والموحدين يقول الإمام الرازي في تفسيره: "(زلزلوا) أي أزعجوا وحركوا فمن ثبت منهم كان من الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وبذكر الله تطمئن مرة أخرى، وهم المؤمنون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حقاً"(الرازي،ب.ت، ج٢٥، ١٩٩) لقد جاء الابتلاء الرباني؛ لتتزلزل النفوس من هول ما ترى وتتعرض له لتخرج مخبوء نفوسها، وتدرك الجماعة المؤمنة كيف يمكن لها أن تواجه مثل هذه الابتلاءات والأزمات، ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ (آل عمران:١٤٢) ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ (البقرة:٢١٤)

٣_الخوف والفقر والضعف:

يقول عز وجل:﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ**﴾ (البقرة:١٥٥)

ويقول تعالى: ﴿**لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا**﴾ (آل عمران:١٨٦)

لقد أشار القرآن الكريم بشكل واضح ما ستتعرض له الأمة من خوف وفقر وجوع ونقص في الأموال والثمرات، هذا الابتلاء الذي يأتي في سياق الهجمة التي تتعرض لها الجماعة المؤمنة من قبل الكفار والمشركين، وفي سياق الدعوة لمنهج الله وإقامة شرعه على هذه الأرض، كما أمرها الله سبحانه وتعالى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

الأبعاد العقائدية لسنة الابتلاء

- مدخل

أولاً: الأبعاد العقائدية على الصعيد الفردي

١. تحقيق العبودية لله عز وجل
٢. تزكية النفس والإخلاص لله
٣. التوبة إلى الله والإنابة إليه
٤. التضرع والدعاء إلى الله.
٥. تكفير الذنوب والخطايا ورفع المنزلة عند الله
٦. الثواب العظيم الذي أعده الله للمبتلين
٧. التمييز بين المؤمن والكافر

ثانياً:الأبعاد التربوية العقائدية على صعيد الجماعة

١. تحقيق عقيدة الولاء والبراء
٢. تمحيص المؤمنين
٣. التمييز بين المؤمنين والمنافقين
٤. إظهار المؤمنين على حقيقتهم
٥. إخلاص النفوس وإخلاص الغايات والأهداف
٦. الإعداد التربوي تمكينا للجماعة المؤمنة ونصرتها.
٧. التضرع والدعاء إلى الله
٨. تحقيق الطاعة للأمير (ولي الأمر)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأبعاد العقائدية لسنة الابتلاء

مدخل:

إن الحديث عن الأبعاد التربوية لسنة الابتلاء يشكل منعطفا هاما في مسيرة الدعوة إلى الله، ومسيرة الحركة الإسلامية، وهي تشق طريقها نحو النصر والتمكين، فبدون الوعي الكامل لهذه الأبعاد، قد تعيش الجماعات والأفراد حالة من التخبط والخلل، حين يفقدون القدرة على الاستفادة من سنة الابتلاء كمنهج تربوي رباني إعدادي للمؤمنين جماعات وفرادى.

فقدر الله في سنة الابتلاء كواقع على المؤمنين ليس عبثيا، بقدر ما هو تربوي،مهيء لجيل يمكنه أن يحمل عبء الدعوة الإسلامية للبشر جميعا، ويكون هذا الجيل مؤهلا على جميع المستويات العقائدية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية ليقوم بهذا الدور المنوط به ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ (البقرة: ١٤٣)

إن التفاعل الإيجابي مع الأبعاد التربوية لسنة الابتلاء كما أراد الله أن نتفاعل بها؛ يحصن المؤمنين، ويدفعهم نحو الارتقاء وتحقيق العبودية لله بتنفيذ أوامره ونواهيه، وقيادة البشرية نحو الأمن والأمان.

ومن خلال البحث يمكن تقسيم الأبعاد العقائدية إلى قسمين: الأبعاد التربوية العقائدية على الصعيد الفردي، والأبعاد التربوية العقائدية على صعيد الجماعة.

أولاً: الأبعاد التربوية العقائدية على الصعيد الفردي:

من أهم الأبعاد التربوية التي استطاع الباحث استنباطها من القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يلي:

١_ تحقيق العبودية لله _عز وجل_:

يقول الله عز وجل: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات:٥٦) فغاية هذا الخلق هو عبادة الله عز وجل، وسنة الابتلاء تنسجم مع هذه الغاية ليتم تحقيقها.

"وتحقيق العبودية لله_سبحانه وتعالى- في السراء والضراء، في السراء بالشكر، والضراء بالصبر، وهذا حال المؤمن الذي أخبر عنه النبي_ صلى الله عليه وسلم_ فقال: "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له" (مسلم،ب.ت، ٢٢٩٥/٤، ح٢٩٩٩) (يوسف:١٩٩٦، ٢٤٥) .

وجاء في محكم التنزيل: ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾ (الملك:٢) فهذه الحياة قائمة على الابتلاء والاختبار في تحقيق العبودية لله وطاعته، كما وضح صاحب الظلال في تفسيره لهذه الآية الكريمة: "إنما هو الابتلاء لإظهار المكنون في علم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله من سلوك الأناسي على الأرض، واستحقاقهم للجزاء على العمل...إن الله في الحقيقة التي يصورها الإسلام لتستقر في القلوب، لا يطارد البشر، ولا يعنتهم، ولا يحب أن يعذبهم. إنما يريد لهم أن يتيقظوا لغاية وجودهم؛ وأن يرتفعوا إلى مستوى حقيقتهم؛ وأن يحققوا تكريم الله لهم بنفخة روحه في هذا الكيان وتفضيله على كثير من خلقه. فإذا تم لهم هذا فهناك الرحمة السابغة والعون الكبير والسماحة الواسعة والعفو عن كثير" (قطب:١٩٨٦،ج٦، ٣٦٣٢) فغاية وجود الإنسان هو العبادة لله والقيام بتكاليف هذه العبادة.

وأشار ابن القيم: "استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء وفيما يحبون وما يكرهون، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون فهم عبيده حقاً، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية" (ابن القيم:١٩٨٦،ج٣، ١٩٦) يقول تعالى في سورة الإنسان: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا، إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾ (الإنسان٢، ٣) إن قول الله عز وجل (**فجعلناه سميعاً بصيراً**) إنما هو بمثابة توكيد على ما زوده الله لهذا الإنسان من إمكانيات تمكنه من التفاعل مع الابتلاء بإيجابية، بحيث يكون مستوعبا طبيعة وحقيقة وجوده، ثم يأتي التعقيب الإلهي: ﴿**إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا**﴾ (الإنسان:٣) فمؤهلات وإمكانيات الإنسان التي زوده الله بها بقدرته على التمييز والاختيار، يجعله أمام حقيقة واحدة وهي تحقيق عبادة الله أو التصادم مع هذه العبادة والخسران والنكوص.

فحقيقة الابتلاء تكمن في الاختيار بين طاعة الله وتحقيق عبوديته، وبين الكفر والعصيان، قال تعالى: ﴿**وهديناه النجدين**﴾ (البلد:١٠) " ذهب عامة المفسرين في النجدين وهو أنهما سبيل الخير وسبيل الشر" (الرازي،ب.ت، ج٣١، ١٨٣)

فعلى الإنسان أن يدرك أنه أمام اختبار وابتلاء حقيقي في عملية الاختيار بين طريق الصلاح والهداية، وبين طريق الضلال والغواية،ولعل تحقيق العبودية بما تحمله من مضامين متمثلة في الطاعة والانكسار والإخلاص لله عز وجل، هو المراد الحقيقي للابتلاء.

٢_تزكية النفس والإخلاص لله.

يقول تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ (الشمس:٧_ ١٠) إن حقيقة هذه الحياة تقوم على تزكية النفس وإخلاصها لربها،ويعتبر الابتلاء من أهم وسائل التزكية والتطهير، وفي ذلك يقول صاحب التفسير الكبير: "أن إخلاص الإنسان حالة البلاء ورجوعه إلى باب الله تعالى أكثر من إخلاصه حال إقبال الدنيا عليه، فكانت الحكمة في هذا الابتلاء ذلك" (الرازي،ب.ت، ج٤: ١٥٠) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما ذكر أبو فارس:"إن الله جلت قدرته...قد أرسل الرسل الكرام وأنزل عليهم الكتب لتزكية الناس بتخليصهم من الكفر والشرك وسائر الذنوب والمعاصي والانقياد له بالتوحيد والعبادة والطاعة" (أبو فارس،ب.ت،٣٠) ويقول تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ (الجمعة:٢) "ويزكيهم أي يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان" (القرطبي:١٩٨٨، ج١٨، ٦١) وفسرها الرازي بقوله: "(وَيُزَكِّيهِمْ) أي يطهرهم من خبث الشرك، وخبث ما عداه من الأقوال والأفعال، وعند البعض (يُزَكِّيهِمْ) أي يصلحهم، يعني يدعوهم إلى اتباع ما يصيرون به أزكياء أتقياء" (الرازي،ب.ت،ج٣٠، ٣)

والإخلاص في العبادة من الضروريات التي أمر الله بها لتقبل العبادة فيقول: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ (البينة:٢) الإخلاص هو أن يأتي بالفعل خالصاً لداعية واحدة، ولا يكون لغيرها من الدواعي تأثير في الدعاء إلى ذلك الفعل (الرازي،ب.ت، ج٣٢، ٤٥) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبدا إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمر ولزوم الجماعة" (ابن حنبل،ب.ت، ١٨٣/٥، ح٢١٦٣٠) وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه: لا تهتموا لقلة العمل واهتموا للقبول فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ بن جبل أخلص العمل يجزك منه القليل.(الغزالي،ب.ت، ج٣٧٦/٤)

إن صلاح النية وإخلاص الفؤاد لرب العالمين، يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحت، فيجعلانه عبادة متقبلة.(الغزالي:١٩٨٠، ٦٨)

من هنا يشكل الابتلاء محور تزكية النفس والإخلاص لله عز وجل، بحيث يتجرد الإنسان من أهوائه وملذاته، في خضم المحن والابتلاءات التي يعيشها في تفاصيل حياته، ويصبح قلبه وعقله معلقا بخالقه، لذلك كل الدعاة الذين عاشوا حياة المحنة أدركوا حجم الصفاء الروحي الذي تشكله المحنة والابتلاء في حياتهم، فالارتقاء الروحي وبلوغ أعلى درجات الصفاء والإخلاص تمثل روح وجوهر هذا الدين، فالشعور بالمعية الإلهية في خضم الابتلاء وحالة التواصل قادرة على الخروج من دائرة الغفلة، وتزكية هذه النفس التي تترك الدنيا بزينتها وبهرجها وفتنتها على النفس البشرية الكثير من الأدران التي يصعب التخلص منها، فقال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ (البقرة:١٥٥، ١٥٦) فالرجوع إلى الله يتحقق بتزكية النفس وتطهيرها من أدرانها بالإخلاص والصدق مع الله، وهذا يتحقق بالصبر وخوض غمار الابتلاء والمحنة بإيجابية وفهم بعده التزكوي والتطهيري الذي أراد الله أن يتحقق في حياة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المؤمنين، وكما قال العز بن عبد السلام في رسالته عن فوائد البلوى والمحن: "إذ لا مرجع في دفع الشدائد إلا إليه، ولا معتمد في كشفها إلا عليه" (عبد السلام: ١٩٩٢، ١٠) كما أن الإخلاص لله تعالى لا ينفك عن الإخلاص لجماعة المؤمنين، فبالإخلاص يربى المؤمنون، وتقام جماعة المؤمنين على كتاب الله وسنة رسوله.(ياسين:١٩٩٥، ١٩٤)

٣_ التوبة إلى الله والإنابة إليه.

جاء في محكم التنزيل: ﴿**أولاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ (التوبة:١٢٦) إن الابتلاءات والفتن تتنزل بقدر من الله؛ لتعيد صياغة الإنسان المسلم، وتضبط توجهاته وحركاته وسكناته، فهذا الانحراف الذي قد يأتي ويكون عارضا، الابتلاء والمحن قادرة على إعادته وتصويب مساره، وتعديل مسلكياته، وإنابته لربه، وهو المراد الحقيقي من الابتلاء، وقد يعتقد البعض أن المؤمن طالما أنه مؤمن لا يحتاج للتوبة والإنابة وهو أمر غير سوي، فالمؤمن هو الأكثر حاجة دائماً للابتلاء ليعيش حالة التواصل والتوبة الدائمة فيقول تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ**﴾ (الحديد:١٦) وفي تفسير هذه الآية الكريمة يقول صاحب الظلال: "إنه عتاب مؤثر من المولى الكريم الرحيم، واستبطاء للاستجابة الكاملة من تلك القلوب التي أفاض عليها من فضله، فبعث فيها الرسول يدعوها إلى الإيمان بربها، ونزّل عليه الآيات البينات؛ ليخرجها من الظلمات إلى النور، وأراها من الآيات في الكون والخلق ما يبصّر ويحذّر، عتاب فيه الود، وفيه الحض، وفيه الاستجاشة إلى الشعور بجلال الله، والخشوع لذكره، وتلقي ما نزل من الحق بما يليق بجلال الحق من الروعة والخشية والطاعة والاستسلام، مع رائحة التنديد والاستبطاء في السؤال: ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ**﴾، وإلى جانب التحضيض والاستبطاء تحذير من عاقبة التباطؤ والتقاعس عن الاستجابة، وبيان لما يغشى القلوب من الصدأ حين يمتد بها الزمن بدون جلاء، وما تنتهي إليه من القسوة بعد اللين حين تغفل عن ذكر الله، وحين لا تخشع للحق" (قطب:١٩٨٦، ج٦، ٣٤٨٩) .

إن الخروج من دائرة الغفلة ليس بالأمر اليسير، فقد يحتاج المرء إلى هزات عنيفة تخرجه من دائرة الغفلة، وليس هناك أفضل من الابتلاءات الإلهية التي تأتي بمقدار لاستيقاظه كما ورد في الحديث الشريف:"ورد عن عاصم بن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن أبيه قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال: الأنبياء ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل من الناس، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما يزال البلاء بالعبد، حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة" (ابن حنبل،ب.ت، ١٧٢/١، ح١٤٨١).فالابتلاء الذي يتعرض له المؤمن يدفعه للتوبة إلى ربه والإنابة إليه، وجاء في الحديث الشريف: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له" (ابن ماجة،ب.ت، ١٤١٢/٢، ح٤٢٥٠).

وهنا لابد من الإشارة إلى لفتة قرآنية عظيمة، أن التوبة لا تخص الكافر بل هي للمؤمنين على وجه الخصوص، فقال تعالى: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (النور:٣١) ويقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾ (التحريم:٨)

فالتوبة هي الحالة التي يراد للمؤمن أن يعيشها بشكل دائم ومستمر، ولها ثلاثة شروط كما ذكر الإمام النووي في كتابه رياض الصالحين أحدها: أن يقلع عن المعصية.والثاني: أن يندم على فعلها.والثالث: أن يعزم ألا يعود إليها أبدا، فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته، وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من صاحبها فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه وإن كانت غيبة استحله منها ويجب أن يتوب من جميع الذنوب. (النووي: ١٩٨٥، ١١) وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها. (مسلم، ب.ت،٢١١٣/٤،ح٢٧٥٩)

" عند نزول البلاء وحصول المحن والمصائب لابد لنا من مراجعة الأمور وإصلاح النفوس والقلوب إذ أن عامة البلاء ينزل بكثرة الكفر بالله تعالى وقد ضرب الله تعالى المثل بالأمم السابقة أن منها كانت في رغد من العيش وطمأنينة ورخاء فكفروا بأنعم الله تعالى فأذاقهم الله البأساء والضراء وأنزل فيهم المحن والبلاء وهو معنى الآية:﴿**إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ**﴾ (الرعد:١١) ،واليوم ونحن في خضم هذه المحن والبلايا لابد لنا من التوبة وعمل الخير؛ ليدفع الله عن الأبرياء والمظلومين والمضطهدين البلايا قال الله تعالى: ﴿**فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ ءامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ**﴾ (يونس:٩٨). فالبعد عن المحرمات وعمل الخيرات والتوبة إلى الله سبب لحصول الأمن والرخاء من الله تعالى المدبر للعالم سبحانه وتعالى" (موقع أهل السنة والجماعة)

إن التوبة إلى الله والإنابة إليه تتفاعل مع الابتلاء بشكل قوي، بحيث يعود الإنسان إلى ربه تائباً منيبا إليه، وهذه من فضائل الابتلاء والمحن التي يتعرض لها المؤمن في حياته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤_ التضرع والدعاء إلى الله:

التضرع هو التذلل و التخشع، وهو إظهار ذل النفس(الرازي،ب.ت، ج١٤، ١٣٠) قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ (الأنعام: ٤٢_٤٣)

يقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية: (**لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ**) والمعنى: إنما أرسلنا الرسل إليهم وإنما سلطنا البأساء والضراء عليهم لأجل أن يتضرعوا. ومعنى التضرع التخشع وهو عبارة عن الانقياد وترك التمرد، وأصله من الضراعة وهي الذلة، يقال ضرع الرجل يضرع ضراعة فهو ضارع أي ذليل ضعيف، والمعنى أنه تعالى أعلم نبيه أنه قد أرسل قبله إلى أقوام بلغوا في القسوة إلى أن أخذوا بالشدة في أنفسهم وأموالهم فلم يخضعوا ولم يتضرعوا (الرازي،ب.ت،ج١٢، ٢٢٤) كما أشار صاحب الظلال إلى غاية الابتلاء في التضرع إلى الله بقوله: "قد أخذهم الله بالبأساء والضراء ليرجعوا إلى أنفسهم؛ وينقبوا في ضمائرهم وفي واقعهم، لعلهم تحت وطأة الشدة يتضرعون إلى الله، ويتذللون له، وينزلون عن عنادهم واستكبارهم، ويدعون الله أن يرفع عنهم البلاء بقلوب مخلصة، فيرفع الله عنهم البلاء، ويفتح لهم أبواب الرحمة، ولكنهم لم يفعلوا ما كان حرياً أن يفعلوا. لم يلجأوا إلى الله، ولم يرجعوا عن عنادهم، ولم ترد إليهم الشدة وعيهم، ولم تفتح بصيرتهم، ولم تلين قلوبهم. وكان الشيطان من ورائهم يزين لهم ما هم فيه من الضلال والعناد" (قطب:١٩٨٦، ج٢، ١٠٨٩)

ويقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ**﴾ (المؤمنون: ٧٦) **إن** موقف الكافر هو العناد وعدم التضرع والتذلل لله، وهو يمثل جوهر العبادة وحقيقتها، يشكل إثارة ودعوة للمؤمن لفهم طبيعة الابتلاءات والمحن التي يتعرض لها، أنها تأتي في سياق التقرب والتضرع إلى الله؛ لذلك جاءت الآيات القرآنية تباعاً تدعو إلى التضرع والدعاء إلى الله ومدى الثمار الإيجابية الناتجة عن هذا التضرع والدعاء فقال تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ (الأعراف:٥٥) ، فيقول عز وجل: ﴿**فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**﴾ (يونس:٩٨) روي أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضباً، فلما فقدوه خافوا نزول العقاب، فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة، وكان يونس قال لهم إن أجلكم أربعون ليلة. فقالوا: إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك، فلما مضت خمس وثلاثون ليلة ظهر في السماء غيم أسود شديد السواد، فظهر منه دخان شديد وهبط ذلك الدخان حتى وقع في المدينة وسود سطوحهم فخرجوا إلى الصحراء، وفرقوا بين النساء والصبيان وبين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدواب وأولادها فحن بعضها إلى بعض فعلت الأصوات، وكثرت التضرعات وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا إلى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم، وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء يوم الجمعة(الرازي،ب.ت، ج١٧، ١٦٥)

فنجد ثمرة التضرع والدعاء في قوم يونس، النجاة من العذاب، وفي آية أخرى يقول عز وجل: ﴿**وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ (يونس:١٢) الدعاء والتضرع إلى الله والتقرب إليه هو الكفيل برفع الابتلاء وكشف الضر وفي ذلك يقول عز وجل: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾ (النمل:٦٢) " فالمضطر في لحظات الكربة والضيق لا يجد له ملجأ إلا الله يدعوه ليكشف عنه الضر والسوء ذلك حين تضيق الحلقة، وتشتد الخنقة، وتتخاذل القوى، وتتهاوى الأسناد؛ وينظر الإنسان حواليه فيجد نفسه مجرداً من وسائل النصرة وأسباب الخلاص. لا قوته، ولا قوة في الأرض تنجده. و كل ما كان يعده لساعة الشدة قد زاغ عنه أو تخلى؛ وكل من كان يرجوه للكربة قد تنكر له أو تولى.. في هذه اللحظة تستيقظ الفطرة فتلجأ إلى القوة الوحيدة التي تملك الغوث والنجدة، ويتجه الإنسان إلى الله ولو كان قد نسيه من قبل في ساعات الرخاء. فهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه. هو وحده دون سواه. يجيبه ويكشف عنه السوء، ويرده إلى الأمن والسلامة، وينجيه من الضيقة الآخذة بالخناق.والناس يغفلون عن هذه الحقيقة في ساعات الرخاء، وفترات الغفلة. يغفلون عنها فيلتمسون القوة والنصرة والحماية في قوة من قوى الأرض الهزيلة. فأما حين تلجئهم الشدة، ويضطرهم الكرب، فتزول عن فطرتهم غشاوة الغفلة، ويرجعون إلى ربهم منيبين مهما يكونوا من قبل غافلين أو مكابرين" (قطب:١٩٨٦، ج٥، ٢٦٥٨) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ (غافر:٦٠) (ابن حنبل،ب.ت، ٢٦٧/٤، ح١٨٣٧٨)

وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خرج ثلاثة يمشون فأصابهم المطر، فدخلوا في غار في جبل، فانحطت عليهم صخرة قال: فقال: بعضهم لبعض ادعوا الله بأفضل عمل عملتموه، فقال أحدهم: اللهم إني كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت أخرج فأرعى ثم أجيء فأحلب فأجيء بالحلاب، فآتي أبوي فيشربان ثم أسقي الصبية وأهلي وامرأتي، فاحتبست ليلة فجئت فإذا هما نائمان، قال: فكرهت أن أوقظهما والصبية يتضاغون عند رجلي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتى طلع الفجر، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة نرى منها السماء قال: ففرج عنهم.

وقال الآخر: اللهم إنك كنت تعلم أني أحب امرأة من بنات عمي كأشد ما يحب الرجل النساء فقالت لا تنال ذلك منها حتى تعطيها مائة دينار فسعيت حتى جمعتها، فلما قعدت بين رجليها قالت: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فقمت وتركتها، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة، قال: ففرج عنهم الثلثين.

وقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أني استأجرت أجيرا بفرق من ذرة فأعطيته وأبى ذلك أن يأخذ، فعمدت إلى ذلك الفرق فزرعته؛ حتى اشتريت منه بقراً وراعيها، ثم جاء، فقال: يا عبد الله، أعطني حقي، فقلت: انطلق إلى تلك البقر وراعيها فإنها لك: فقال: أتستهزئ بي ؟ قال فقلت ما أستهزئ بك ولكنها لك، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا فكشف عنهم" (البخاري:١٩٨٧، ٢/٧٧١، ح٢١٠٢)

ويقول تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾ (البقرة:١٨٦) إن الآيات والأحاديث النبوية تبين أن التضرع والدعاء يمثل حقيقة العبادة وجوهرها، بما تمثله من خضوع وتذلل لله عز وجل، فالعبادة لا بد أن تكون مصداقا للتقرب والإخلاص لله، ليس في حال البلاء والاضطرار، بل في السراء والضراء، ومما لا شك فيه أن البلاء يعيد للإنسان فطرته ، وبالتالي لا يجد ملجأ سوى ربه ليخرجه وينقذه من هذا البلاء، ومن خلال هذا المفهوم يتحول البلاء إلى نعمة كبيرة تقرب العبد من ربه، يستشعر من خلاله العبودية الحقيقية بالاستجابة والفرج الذي يأتي من عند الله.

وفي قصة سيدنا أيوب عليه السلام قال تعالى: ﴿**وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ**﴾ (الأنبياء:٨٣،٨٤)

وسيدنا يعقوب عليه السلام: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (يوسف:٨٦)

فالأنبياء كانوا دائمي التوجه والتضرع والدعاء إلى الله، بما يمثله التضرع والدعاء من تجسيد حالة العبودية بكل مفاهيمها المختلفة والمتنوعة.

وجاء في مستدرك الحاكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الدعاء سلاح المؤمن، و عماد الدين و نور السماوات و الأرض" (الحاكم:١٩٩٠، ١/٦٦٩، ١٨١٢)

وفي حديث آخر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يغني حذر من قدر، و الدعاء ينفع مما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نزل و مما لم ينزل، و إن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة" (الحاكم: ١٩٩٠، ٦٦٩/١، ١٨١٣)

كما قال النبي المعلم عليه الصلاة وأفضل السلام: "لا يرد القدر إلا الدعاء، و لا يزيد في العمر إلا البر، و إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه" (الحاكم: ١٩٩٠ ،٦٧٠/١، ١٨١٤)

٥_ تكفير الذنوب والخطايا ورفع المنزلة عند الله:

جاء في الهدي النبوي: "ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه" (البخاري:١٩٨٧، ٢١٣٧/٥، ح٥٢١٨)

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة أو حط عنه خطيئة" (مسلم،ب.ت، ١٩٩١/٤، ح٢٥٧٢)

وفي حديث آخر قال: "ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة" (الترمذي،ب.ت، ٦٠٢/٤، ح٢٣٩٩)

لقد جاءت الأحاديث النبوية تباعا تشير إلى فضل الابتلاء في تكفير الذنوب ورفع المنزلة عند الله في والحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة" (ابن ماجة،ب.ت، ١٣٣٤/٢، ح٤٠٢٣)

هذه المفاهيم تجعل المؤمن إيجابيا في تفاعله مع الابتلاء دون الخوف والنكوص، بل ارتقاء وصعود نحو وجه الله، فالمؤمن بحاجة دائمة إلى تذكر ذنوبه ومعاصيه حتى يدرك أنه بحاجة إلى العمل للتكفير عنها، وهذه الابتلاءات هي بمثابة منحة إلهية ليكفر الله بها الذنوب عن المبتلى،وعن أبي سعيد الخدري قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك، فوضعت يدي عليه. فوجدت حرة بين يدي فوق اللحاف. فقلت: يا رسول الله ما أشدها عليك؟! قال:إنا كذلك. يضعف لنا البلاء ويضعف لنا الأجر قلت: يا رسول الله أيُّ الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء، قلت: يا رسول الله ثم من ؟ قال ثم الصالحون. إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر؛ حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يحويها. وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء" (ابن ماجة،ب.ت، ١٣٣٤/٢، ح٤٠٢٤)

وقد قيل حبذا المكروهان: الموت والفقر(الأصبهاني:١٤٠٥هـ،١٣٢/١) وكما قيل "إنما فرحوا بها إذ لا وقع لشدتها ومرارتها بالنسبة إلى ثمرتها وفائدتها، كما يفرح من عظمت أدواؤه بشرب الأدوية الحاسمة لها مع تجرعه لمرارتها"(عبد السلام:١٩٩٢، ١٣)

إن من نعمة الابتلاء على المؤمن أن يقابل ربه وقد حطت عنه خطاياه وذنوبه ومعاصيه، فتحول البلاء والابتلاء إلى نعمة لا يشعر بها إلا من فتح الله قلبه وبصيرته، بأن ما أصابه من محن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وابتلاءات على الصعيد الفردي هي بمثابة منحة إلهية؛ ليكفر الله بها عن ذنوبه ومعاصيه؛ ليلقى ربه طاهراً نقياً.

٦_ الثواب العظيم الذي أعده الله للمبتلين:

قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ (البقرة: ١٥٥_ ١٥٧) إن الصبر على الابتلاءات والمحن موجب لمحبة الله تعالى وكثرة ثوابه (عبد السلام:١٩٩٢، ١٢).

قال الرسول المعلم: "يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطى أهل البلاء الثواب لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض" (الترمذي،ب.ت، ٦٠٣/٤، ح٢٤٠٢)

إن الثواب الذي أعده الله للمبتلين هو الثواب العظيم في الآخرة، ففي الحديث الشريف: "يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمن عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة" (البخاري:١٩٨٧، ٢٣٦١/٥، ح٦٠٦٠) .

وفي حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام: "يقول الله عز وجل من أذهبت حبيبته فصبر ثم احتسب لم أرض له ثوابا دون الجنة" (الترمذي،ب.ت، ٦٠٣/٤، ح٢٤٠١)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان ابن لأبي طلحة يشتكي فخرج أبو طلحة فقبض الصبي فلما رجع أبو طلحة قال ما فعل ابني قالت أم سليم هو أسكن ما كان فقربت إليه العشاء فتعشى ثم أصاب منها فلما فرغ قالت وار الصبي. فلما أصبح أبو طلحة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال: (أعرستم الليلة) . قال: نعم قال: (اللهم بارك لهما) . فولدت غلاما. قال لي أبو طلحة احفظه حتى تأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم وأرسلت معه بتمرات فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (أمعه شيء) . قالوا: نعم تمرات، فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم فمضغها ثم أخذ من فيه فجعلها في فيّ الصبي، وحنكه به وسماه عبد الله .(البخاري:١٩٨٧، ٢٠٨٢/٥، ح٥١٥٣)

إن المؤمن وهو يعيش واقع الابتلاء والمحن يشعر بالاطمئنان بما أعده الله له من الثواب العظيم، فلا ييأس ولا يكفر، بل يدرك أن هذه الدنيا مصيرها إلى الزوال، وأن حياته حتما ستنتهي، ويبقى ما وعده الله من الثواب والرضوان، ونحن نرى أولئك الشهداء الذين يصبرون على الألم والوجع ويسيرون في درب الجهاد والتضحيات والآلام، يبتغون رضوان الله والثواب العظيم من الله، فلم يكن ينتظرهم إلا عظم الثواب والفضل والرضا وقد جاء في الحديث الشريف فيما روي عن فضل الشهداء ومكانتهم العظيمة: "ما من عبد يموت له عند الله خير يسره أن يرجع إلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدنيا وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة فإنه يسره أن يرجع إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى" (البخاري:١٩٨٧، ١٠٢٩/٣، ح٢٦٤٢) ، بل إن الأمر تجاوز الفداء والتضحية بالنفس إلا الأمراض والابتلاءات التي ينزلها الله على المؤمن ففي حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فقال: "كان عذابا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله رحمة للمؤمنين ما من عبد يكون في بلد يكون فيه ويمكث فيه لا يخرج من البلد صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد" (البخاري:١٩٨٧، ٢٤٤١/٦، ح٦٢٤٥)

ومن الثواب العظيم الذي أعده الله للمؤمنين هو اصطفاء الشهداء، فجاء في محكم التنزيل: ﴿**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ (آل عمران:١٤٠)

إنه الاصطفاء الرباني والانتخاب الإلهي لمن وصل إلى درجة يمنحه الله هذا الوسام وهذه المنزلة العظيمة التي تعتبر من أعظم المنازل بعد منزلة النبوة، فيقول تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾ (النساء:٦٩) منزلة لا يستحقها إلا أولئك الذين قدموا مهجهم وأرواحهم من أجل هذا الإسلام العظيم، لا يبتغون عرض هذه الدنيا وزينتها وحطامها، باعوا نفوسهم رخيصة لله وفي تفسير هذه الآية يقول صاحب الظلال: "هم شهداء يتخذهم الله ويستشهدهم على هذا الحق الذي بعث به للناس، يستشهدهم فيؤدون الشهادة، يؤدونها أداء لا شبهة فيه ولا مطعن عليه ولا جدال حوله، يؤدونها بجهادهم حتى الموت في سبيل إحقاق هذا الحق وتقريره في دنيا الناس، يطلب الله - سبحانه - منهم أداء هذه الشهادة، على أن ما جاءهم من عنده الحق، وعلى أنهم آمنوا به وتجردوا له وأعزوه حتى أرخصوا كل شيء دونه، وعلى أن حياة الناس لا تصلح ولا تستقيم إلا بهذا الحق، وعلى أنهم هم استيقنوا هذا فلم يألوا جهداً في كفاح الباطل وطرده من حياة الناس وإقرار هذا الحق في عالمهم وتحقيق منهج الله في حكم الناس، يستشهدهم الله على هذا كله فيشهدون، وتكون شهادتهم هي هذا الجهاد حتى الموت، وهي شهادة لا تقبل الجدال والمحال"(قطب:١٩٨٦، ج١، ٤٧٥)

وقد تحدثت الآيات القرآنية عن منزلة الشهداء فقال تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ،فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (آل عمران: ١٦٩، ١٧٠، ١٧١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: "لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي: يا جابر ما لي أراك منكسرا ؟

قلت: يا رسول الله استشهد أبي قتل يوم أحد وترك عيالا ودينا

قال: أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟

قال: قلت: بلى يا رسول الله.

قال: ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وأحيا أباك فكلمه كفاحا فقال يا عبدي تمن علي أعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية.

قال الرب عز وجل: إنه قد سبق مني(أنهم إليها لا يرجعون) قال وأنزلت هذه الآية: ﴿**ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا**﴾ الآية" (الترمذي،ب.ت، ٢٣٠/٥، ح٣٠١٠)

عن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه سئل عن قوله: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ (آل عمران:١٦٩) فقال أما إنا قد سألنا عن ذلك فأخبرنا أن أرواحهم في طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش فاطلع إليهم ربك اطلاعة فقال: هل تستزيدون شيئا فأزيدكم ؟ قالوا: ربنا وما نستزيد ونحن في الجنة نسرح حيث شئنا ؟ ثم أطلع إليهم ثانية فقال هل تستزيدون شيئا فأزيدكم؟ فلما رأوا أنهم لم يتركوا، قالوا: تعيد أرواحنا في أجسادنا حتى نرجع إلى الدنيا فنقتل في سبيلك مرة أخرى.(الترمذي،ب.ت، ٢٣١/٥، ح٣٠١١)

ومن كرامات الشهداء أيضا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن للشهيد عند الله عز وجل ست خصال: أن يغفر له في أول دفعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر يوم الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه.(ابن حنبل،ب.ت، ١٣١/٤، ح١٧٢٢١) وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته" (أبو داود،ب.ت، ١٩/٢، ح٢٥٢٢).

وقد ذكر ابن القيم _رحمه الله_: "أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء تراق دماؤهم في محبته ومرضاته ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو"(ابن القيم:١٩٨٦،ج٣، ١٩٦)

إن هذه المنزلة والمرتبة لا يستحقها إلا من خلصت نفوسهم من رواسب الآثام والمعاصي،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأخلصوا نواياهم وصدقوا الله فصدقهم، فاصطفاهم ربهم شهداء، منزلة عظيمة يغبطهم عليها الناس جميعا يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

فهذه المحن والابتلاءات تأتي؛ لتنقي المؤمنين؛ وليصطفي الله عباده الأخيار الأطهار؛ ليمن عليهم بمنه العظيم وفضله الكبير، فيستحقوا جائزة المولى بالاصطفاء والاختيار.

٧_ التمييز بين المؤمن والكافر:

قال تعالى: ﴿**مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ (آل عمران:١٧٩) والتمييز بين المؤمن والكافر يكون بإلقاء المحن والمصائب والقتل والهزيمة، فمن كان مؤمنا ثبت على إيمانه وعلى تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن كان منافقا ظهر نفاقه وكفره (الرازي،ب.ت، ج٩، ١١١)

فهناك من النفوس الضعيفة ما تفجر وتتبرم إذا أصابها شيء من هذا، وهناك من النفوس المؤمنة القوية في إيمانها من تتحمل هذه الآلام؛ لأنها من الله تبارك وتعالى وترضى بقضائه وقدره، ومن هنا كان هذا الابتلاء لتمييز أصحاب الهمم العالية، والنفوس القويمة والعزائم الفتية المؤمنة، والقلوب الواعية المخلصة، من أصحاب الهمم الضعيفة، والنفوس الساقطة، والعزائم الخائرة، والقلوب المريضة.(أبو فارس،ب.ت، ٣٩)

ويقول تعالى: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ (العنكبوت: ٢، ٣)

إن الإيمان ليس كلمة تقال إنما هو حقيقة ذات تكاليف؛ وأمانة ذات أعباء؛ وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال. فلا يكفي أن يقول الناس: آمنا. وهم لا يتركون لهذه الدعوى، حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها، ويخرجوا منها صافية عناصرهم خالصة قلوبهم، كما تفتن النار الذهب لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به، وهذا هو أصل الكلمة اللغوي وله دلالته وظله وإيحاؤه وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب.(قطب: ١٩٨٦، ج٥، ٢٧٢٠)

ويقول تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ، وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ**﴾ (العنكبوت:١٠، ١١) وقد عقب صاحب الظلال على هذه الآية بالقول: فليست الغلطة أن صبرهم قد ضعف عن احتمال العذاب، فمثل هذا يقع للمؤمنين الصادقين في بعض اللحظات وللطاقة البشرية حدود ولكنهم يظلون يفرقون تفرقة واضحة في تصورهم وشعورهم بين كل ما يملكه البشر لهم من أذى وتنكيل، وبين عذاب الله

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العظيم؛ فلا يختلط في حسهم أبداً عالم الفناء الصغير وعالم الخلود الكبير، حتى في اللحظة التي يتجاوز عذاب الناس لهم مدى الطاقة وجهد الاحتمال، إن الله في حس المؤمن لا يقوم له شيء، مهما تجاوز الأذى طاقته واحتماله، وهذا هو مفرق الطريق بين الإيمان في القلوب والنفاق.(قطب:١٩٨٦، ج٥، ٢٧٢٤)

وفي حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يبغض الفحش والتفحش، والذي نفس محمد بيده، لا تقوم الساعة حتى يخون الأمين ويؤتمن الخائن، حتى يظهر الفحش والتفحش وقطيعة الأرحام وسوء الجوار، والذي نفس محمد بيده إن مثل المؤمن لكمثل القطعة من الذهب نفخ عليها صاحبها فلم تغير، ولم تنقص والذي نفس محمد بيده إن مثل المؤمن لكمثل النحلة أكلت طيبا ووضعت طيبا، ووقعت فلم تكسر ولم تفسد" (ابن حنبل،ب.ت، ١٩٩/٢، ح٦٨٧٢)

إن الابتلاءات والمحن تكشف حقيقة المؤمن وتميزه عن المنافق، فالابتلاءات تكشف عن مخبوء النفوس، وما تكنه الصدور،ومهما عظمت الابتلاءات وضعفت عزيمة المؤمنين في لحظة ما فقد يعود إلى رشده وإلى تمسكه بالعروة الوثقى، فيما يبقى المنافق يقف على قاعدة الكفر كما وصفهم الله عز وجل: ﴿**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ (البقرة:١٠) وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ**﴾ (محمد:٢٩) فحقيقة هؤلاء المنافقين حتما ستظهر بتلك المحن والابتلاءات التي جعلها الله سنة في خلقه ليقيم عليهم الحجة يوم الحساب.

الأبعاد التربوية العقائدية على صعيد الجماعة:

من الأبعاد التربوية التي استطاع الباحث استنباطها من خلال القرآن والسنة ما يلي:

١_ تحقيق عقيدة الولاء والبراء.

إن الولاء والبراء ركن من أركان العقيدة، وشرط من شروط الإيمان، تغافل عنه كثير من الناس وأهمله البعض فاختلطت الأمور وكثر المفرطون.

ومعنى الولاء: هو حُب الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الموحدين ونصرتهم.

والبراء: هو بُغض من خالف الله ورسوله والصحابة والمؤمنين الموحدين، من الكافرين والمشركين والمنافقين والمبتدعين والفساق. (القاسم: موقع صيد الفوائد)

وقد أشار القرآن الكريم إلى عقيدة الولاءوالبراء فقال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (التوبة: ٧١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالمؤمنون والمؤمنات، وهم المصدقون بالله ورسوله وآيات كتابه، فإن صفتهم: أن بعضهم أنصارُ بعض وأعوانهم.(الطبري: ٢٠٠٠، ج١٤، ٣٧٤)

وفي موضع آخر قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**﴾ (الممتحنة:١)

كان سبب نزول هذه الآية قصة حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين، وكان من أهل بدر أيضاً، وكان له بمكة أولاداً ومالاً، ولم يكن من قريش أنفسهم بل كان حليفاً لعثمان، فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة لما نقض أهلها العهد فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال: اللهم عم عليهم خبرنا، فعمد حاطب هذا فكتب كتابا وبعثه مع قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوهم؛ ليتخذ بذلك عندهم يداً، فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم استجابة لدعائه فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها.(ابن كثير:٢٠٠٢،ج٤، ٥٠٢)

ويأتي الابتلاء ليعمق الهوة بين المؤمنين والكافرين، فلا يعود اللقاء ممكنا، لأن ممارسات الكافرين في إيقاع الأذى بالمؤمنين، وحرص الكافرين على استئصال الإيمان وجنده، كل هذا يجعل المعركة دائمة مستمرة لا تنتهي إلا بخضوع الكفار لأحكام الإسلام، ولو ظهر لين الكفار مع المؤمنين، وسمح الكفار للمؤمنين بأن يدعوا للإسلام كما يشاؤون لقال ضعاف الإيمان: إن الكفر ليس تلك الصفة البالغة في السوء.ومن هنا جاء البيان الإلهي لهذا الموقف المبدأي الدائم: ﴿**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ (البقرة: ١٠٥)

وقال سبحانه: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ (البقرة: ٢١٧) (سعيد: ٢٠٠٠، ٥٣)

إن آفة الآفات وعلة العلل في واقعنا المعاصر هو الابتعاد عن عقيدة الولاء والبراء في إقامة العلاقات، بما يتضمن ذلك من تشتيت الأمة والتغرير باجتماع كلمتها، وإن معالجة هذا الخلل، يتطلب موقفا واضحا، ووعيا كاملا بعقيدة الولاء والبراء.(الصاوي، ب.ت، ١٩٦)

ويقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ (المائدة:٥١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يربي القرآن وعي المسلم بحقيقة أعدائه، وحقيقة المعركة التي يخوضها معهم ويخوضونها معه إنها معركة العقيدة، فالعقيدة هي القضية القائمة بين المسلم وكل أعدائه،وهم يعادونه لعقيدته ودينه، قبل أي شيء آخر، وهم يعادونه هذا العداء الذي لا يهدأ لأنهم هم فاسقون عن دين الله، ومن ثم يكرهون كل من يستقيم على دين الله: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ**﴾ (المائدة:٥٩) فهذه هي العقدة،وهذه هي الدوافع الأصيلة.وقيمة هذا المنهج، وقيمة هذه التوجيهات الأساسية فيه، عظيمة، فإخلاص الولاء لله ورسوله ودينه وللجماعة المسلمة القائمة على هذا الأساس، ومعرفة طبيعة المعركة وطبيعة الأعداء فيها، أمران مهمان سواء في تحقيق شرائط الإيمان، أو في التربية الشخصية للمسلم، أو في التنظيم الحركي للجماعة المسلمة، فالذين يحملون راية هذه العقيدة لا يكونون مؤمنين بها أصلاً، ولا يكونون في ذواتهم شيئاً، ولا يحققون في واقع الأرض أمراً ما لم تتم في نفوسهم المفاصلة الكاملة بينهم وبين سائر المعسكرات التي لا ترفع رايتهم، وما لم يتمحض ولاؤهم لله ورسوله ولقيادتهم الخاصة المؤمنة به، وما لم يعرفوا طبيعة أعدائهم وبواعثهم وطبيعة المعركة التي يخوضونها معهم، وما لم يستيقنوا أنهم جميعاً إلب عليهم، وأن بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة والعقيدة الإسلامية على السواء.(قطب: ١٩٨٦، ج٢، ٩٠٨)

إن المحن والابتلاءات هي القادرة على تحقيق هذه المفاصلة، وتحقيق الولاء للصف المسلم والبراء من الصف الكافر بما يرتكبه أعداء الإسلام من جرائم وقهر وتعذيب ومؤامرات بحق المسلمين الموحدين، وهنا تكمن أهمية الابتلاء والمحن والشدائد في حياة الجماعة المؤمنة.

والإسلام لا يمنع أن يعامل المسلم بالحسنى من لا يحاربه في دينه، ولو كان على غير دينه،ولكن الولاء شيء آخر غير المعاملة بالحسنى، الولاء ارتباط وتناصر وتواد. وهذا لا يكون - في قلب يؤمن بالله حقاً - إلا للمؤمنين الذين يرتبطون معه في الله، ويخضعون معه لمنهجه في الحياة؛ ويتحاكمون إلى كتابه في طاعة واتباع واستسلام.(قطب: ١٩٨٦، ج١، ٣٨١)فقال تعالى في محكم التنزيل: (**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**)(الممتحنة:٨)

٢_ تمحيص المؤمنين.

يقول الله في محكم التنزيل: ﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**﴾ (آل عمران:١٤١) وليُمَحِّصَ اللّه الذين آمنوا أَي يَبْتَليهم قال ومعنى التَّمْحِيص النَّقْص، يقال مَحَّصَ اللّه عنك ذنوبَك أَي نقصها فسمى اللّه ما أَصابَ المسلمين من بَلاءٍ تَمْحِيصاً لأَنه يَنْقُص به ذنوبَهم وسَمّاه اللّه من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكافرين محقّا(ابن منظور:١٩٩٩،ج١٣، ٣٧) ومَحَصَ الذهب بالنار أخلصه مما يشوبه وبابه قطع و التَّمْحِيصُ الابتلاء والاختبار(الرازي،ب.ت، ١٩٩٥، ٦٤٢)

وقد أشار البخاري في صحيحه إلى أن التمحيص هو التصفية والتنقية من كل دنس (البخاري:١٩٨٧، ج٤/١٤٨٤)

(وليمحص الله الذين آمنوا) أي ليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم، والمحص: في اللغة التنقية، والمحق في اللغة النقصان، وقال المفضل: هو أن يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه شيء، ومنه قوله تعالى: **(يمحق الله الربا)** (البقرة: ٢٧٦) أي يستأصله. قال الزجاج: معنى الآية أن الله تعالى جعل الأيام مداولة بين المسلمين والكافرين، فان حصلت الغلبة للكافرين على المؤمنين كان المراد تمحيص ذنوب المؤمنين، وإن كانت الغلبة للمؤمنين على هؤلاء الكافرين كان المراد محق آثار الكافرين ومحوهم، فقابل تمحيص المؤمنين بمحق الكافرين، لأن تمحيص هؤلاء بإهلاك ذنوبهم نظير محق أولئك بإهلاك أنفسهم، وهذه مقابلة لطيفة في المعنى.(الرازي،ب.ت،ج٩، ١٨)

التمحيص درجة بعد الفرز والتمييز، التمحيص عملية تتم في داخل النفس، وفي مكنون الضمير، إنها عملية كشف لمكنونات الشخصية وتسليط الضوء على هذه المكنونات. تمهيداً لإخراج الدخل والدغل والأوشاب وتركها نقية واضحة مستقرة على الحق بلا غبش ولا ضباب،وكثيراً ما يجهل الإنسان نفسه ومخابئها ودروبها ومنحنياتها. وكثيراً ما يجهل حقيقة ضعفها وقوتها وحقيقة ما استكن فيها من رواسب لا تظهر إلا بمثير،وفي هذا التمحيص الذي يتولاه الله - سبحانه - بمداولة الأيام بين الناس بين الشدة والرخاء، يعلم المؤمنون من أنفسهم ما لم يكونوا يعلمونه قبل هذا المحك المرير: محك الأحداث والتجارب والمواقف العملية الواقعية.(قطب:١٩٨٦، ج١، ٤٧٦)

كما قال عز وجل: ﴿**وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ (آل عمران:١٥٤) وتمحيص القلوب فيها وجهان أحدها: تمحص قلوبكم عن الوساوس والشبهات، والثاني: أنها تصير كفارة لذنوبكم فتمحصكم عن تبعات المعاصي والسيئات، وذكر في الابتلاء الصدور، وفي التمحيص القلوب،فالابتلاء والتمحيص هو للإصلاح والتنقية.(الرازي،ب.ت، ج٩ ،٥٠)

"فليس كالمحنة محك يكشف ما في الصدور، ويصهر ما في القلوب فينفي عنها الزيف والرياء، ويكشفها على حقيقتها بلا طلاء، فهو الابتلاء والاختبار لما في الصدور؛ ليظهر على حقيقته وهو التطهير والتصفية للقلوب فلا يبقى فيها دخل ولا زيف، وهو التصحيح والتجلية للتصور،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلا يبقى فيه غبش ولا خلل" (قطب:١٩٨٦، ج١، ٤٩١) .

إن الجماعة المؤمنة وهي تسير في دعوتها لله عز وجل، بحاجة إلى أن تكون القلوب نقية طاهرة من كل الشوائب والذنوب،فقد جاء في الحديث الشريف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودا عودا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء؛ حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادا كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من مراه) ، قال أبو خالد: فقلت لسعد: يا أبا مالك ما أسود مربادا ؟ قال: شدة البياض في سواد قال: قلت فما الكوز مجخيا ؟ قال منكوسا " (مسلم،ب.ت،١٢٨/١، ١٤٤)

كما جاء في الحديث الشريف: "إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ (المطففين:١٤)" (الترمذي،ب.ت، ٤٣٤/٥، ح٣٣٣٤)

"إن ابتلاء المؤمن كالدواء له يستخرج منه الأدواء التي لو بقيت لأهلكته، أو نقصت ثوابه، وأنزلت درجته، فيستخرج الابتلاء والامتحان منه تلك الأدواء ويستعد لتمام الأجر، وعلو المنزلة، ومعلوم أن وجود هذا خير للمؤمن من عدمه" (ابن القيم:١٩٨٤، ٤٠)

فالتمحيص الرباني هو بمثابة المنحة الإلهية التي تنقي وتطهر، تلك القلوب التي اختلطت بالمعاصي والذنوب، وحتى لا تصل إلى مرحلة اللاعودة، كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ (الشعراء:٨٨، ٨٩) وقد قسم ابن القيم رحمه الله القلوب إلى ثلاثة أقسام: القلب السليم،والقلب السقيم، والقلب الميت .(ابن القيم:١٩٧٥، ج١، ٧)

وقد جاء في الحديث الشريف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه، قد تعلق نعليه في يده الشمال فلما كان الغد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى فلما كان اليوم الثالث، قال النبي صلى الله عليه وسلم: مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى، فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم، تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال: إني لاحيت أبي، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت، قال: نعم، قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئاً غير أنه إذا تعار وتقلب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث ليال، وكدت أن احتقر عمله قلت: يا عبد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الله، إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثم ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرار: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فطلعت أنت الثلاث مرار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فاقتدى به فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فقال: ما هو إلا ما رأيت قال: فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك وهى التي لا نطيق" (ابن حنبل،ب.ت، ١٦٦/٣، ح١٢٧٢٠)

إن سلامة القلوب هي التي تلقي بظلالها على مسيرة الجماعة المؤمنة، فأولئك المؤمنون الذين اختلطت قلوبهم بالمعاصي وحب الدنيا سيشكلون تراجعاً هاماً ومؤثراً؛ لذلك كان لابد من الابتلاء؛ ليمحص تلك القلوب، ويكشفها أمام أصحابها ليكون بمقدورهم تنقية قلوبهم وتطهيرها من درك الآثام والخطايا، ويرتقوا بأرواحهم وقلوبهم إلى ربهم بصدقها وإخلاصها وصفائها.

٣_ التمييز بين المؤمنين والمنافقين:

يقول تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ (آل عمران:١٤٠) وإنما كانت هذه المداولة ليرى المؤمن من المنافق فيميز بعضهم من بعض(القرطبي:١٩٨٨، ج٤/٢، ١٤٠)

إن الشدة بعد الرخاء والرخاء بعد الشدة هما اللذان يكشفان عن معادن النفوس، وطبائع القلوب ودرجة الغبش فيها والصفاء ودرجة الهلع فيها والصبر ودرجة الثقة فيها بالله أو القنوط ودرجة الاستسلام فيها لقدر الله أو البرم به والجموح!عندئذ يتميز الصف ويتكشف عن: مؤمنين ومنافقين ويظهر هؤلاء وهؤلاء على حقيقتهم وتتكشف في دنيا الناس دخائل نفوسهم، ويزول عن الصف ذلك الدخل وتلك الخلخلة التي تنشأ من قلة التناسق بين أعضائه وأفراده وهم مختلطون مبهمون،والله سبحانه يعلم المؤمنين والمنافقين. والله سبحانه يعلم ما تنطوي عليه الصدور، ولكن الأحداث ومداولة الأيام بين الناس تكشف المخبوء وتجعله واقعاً في حياة الناس وتحول الإيمان إلى عمل ظاهر، وتحول النفاق كذلك إلى تصرف ظاهر، ومن ثم يتعلق به الحساب والجزاء. فالله سبحانه لا يحاسب الناس على ما يعلمه من أمرهم ولكن يحاسبهم على وقوعه منهم،ومداولة الأيام وتعاقب الشدة والرخاء، محك لا يخطىء وميزان لا يظلم، والرخاء في هذا كالشدة، وكم من نفوس تصبر للشدة وتتماسك ولكنها تتراخى بالرخاء وتنحل، والنفس المؤمنة هي التي تصبر للضراء ولا تستخفها السراء وتتجه إلى الله في الحالين وتوقن أن ما أصابها من الخير والشر فبإذن الله.(قطب:١٩٨٦، ج١، ٤٧٥)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول تعالى: ﴿**وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا**﴾ (آل عمران: ١٦٦_١٦٧) وقوله تعالى: ﴿**مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّـى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ (آل عمران:١٧٩)

القرآن الكريم حذر مراراً وتكراراً من المنافقين؛ لخطورتهم على الصف الإسلامي،"وقد هتك الله سبحانه أستار المنافقين وكشف أسرارهم في القرآن وجلى لعباده أمورهم؛ ليكونوا منها ومن أهلها على حذر وذكر طوائف العالم الثلاثة فى أول سورة البقرة: المؤمنين والكفار والمنافقين فذكر في المؤمنين أربع آيات وفي الكفار آيتين وفي المنافقين ثلاث عشرة آية لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم وشدة فتنتهم على الإسلام وأهله فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدا لأنهم منسوبون إليه وإلى نصرته وموالاته وهم أعداؤه في الحقيقة" (ابن القيم:١٩٧٣، ج١، ٣٤٧)

كما حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فقال: "إن أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان" (ابن حنبل،ب.ت،٢٢/١، ح١٤٣)

ويشير ابن قيم الجوزية إلى أنّ: "طبقة الزنادقة وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله وهؤلاء المنافقون وهم في الدرك الأسفل من النار قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا**) (النساء:١٤٥) ولن تجد لهم نصيرا فالكفار والمجاهرون بكفرهم أخف وهم فوقهم في دركات النار، لأن الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعاداة الله ورسله، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق، وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين ولهذا قال تعالى في حقهم ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ (المنافقون:٤) ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر، أي لا عدو إلا هم، ولكن لم يرد ها هنا من إثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف، وأنه لا يتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهرا وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم، بل هم أحق بالعداوة ممن باينهم في الدار ونصب لهم العداوة، وجاهرهم بها فإن ضرر هؤلاء المخالطين لهم المعاشرين لهم وهم في الباطن على خلاف دينهم، أشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم، لأن الحرب مع أولئك ساعة أو أياماً ثم ينقضي، ويعقبه النصر والظفر، وهؤلاء معهم في الديار والمنازل صباحاً ومساءً يدلون العدو على عوراتهم ويتربصون بهم الدوائر ولا يمكنهم مناجزتهم فهم أحق بالعداوة من المباين المجاهر فلهذا قيل هم العدو فاحذرهم لا على معنى أنه لا عدو لكم سواهم بل على معنى أنهم أحق بأن يكونوا لكم عدوا من الكفار المجاهرين" (ابن القيم: ١٩٩٤، ٥٩٦)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد خشي الصحابة والسلف الصالح على أنفسهم من النفاق، فيقول ابن حجر العسقلاني: "والصحابة الذين أدركهم ابن أبي مليكة من أجلهم عائشة وأختها أسماء وأم سلمة والعبادلة الأربعة وأبو هريرة وعقبة بن الحارث والمسور بن هخرمة فهؤلاء ممن سمع منهم، وقد أدرك بالسن جماعة أجل من هؤلاء كعلى بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال ولم ينقل عن غيرهم خلاف ذلك فكأنه إجماع، وذلك لأن المؤمن قد يعرض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعه منهم بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى رضي الله عنهم" (ابن حجر: ١٩٦٠، ج١، ١١٠، ١١١) "وسئل الإمام أحمد ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق؟ قال ومن يأمن على نفسه النفاق" (ابن رجب: ١٩٨٨، ٤٣٤)

"وبحسب إيمان العبد ومعرفته يكون خوفه أن يكون من أهل هذه الطبقة ولهذا اشتد خوف سادة الأمة وسابقوها على أنفسهم أن يكونوا منهم فكان عمر بن الخطاب يقول يا حذيفة ناشدتك الله هل سماني رسول الله مع القوم فيقول لا ولا أزكي بعد أحدا يعني لا أفتح علي هذا الباب في تزكية الناس وليس معناه أنه لم يبرأ من النفاق غيرك" (ابن القيم:١٩٩٤، ٦٠٤)

"إنما تقوم الدعوات وتنهض الأمم بتطهير صفوفها من المنافقين والمخادعين، ولا يثبت للشدة إلا كل صادق العزيمة، مخلص النية، وكثيرا ما عوق الضعاف والمخادعون سير دعوات الإصلاح في الأمة، وحالوا بينها وبين النصر أو أخروها إلى حين" (السباعي: ١٩٨٨، ١٤٩)

إن الجماعة المسلمة بحاجة إلى الابتلاءات المتكررة لتتميز الصفوف وينكشف المنافقون؛ لتستطيع الأمة أن تواصل دورها بمنأى عن هؤلاء الذين يفسدون عليها أمرها ودينها، وبدون مرور الجماعة بواقع وسنة الابتلاء لا يمكن أن يحصل التمييز، فهذا الابتلاء الذي يصهر الرجال ويكشف عن معادنهم هو القادر وحده أن يخرج مخبوء النفوس التي تتوارى في أوقات الرخاء،فالجماعة المؤمنة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم حافلة بالابتلاءات، التي كان من أهم حكمها تمييز الصفوف وتمحيصها، وكشف ما تكنه القلوب والصدور، وستبقى حكمة سنة الابتلاء في التمييز بين المؤمنين والمنافقين ملازمة للجماعة المؤمنة وهي تواصل طريقها في الدعوة إلى الله، وقبل التمكين لها في الأرض وقيادة البشرية.

٤_ إظهار المؤمنين على حقيقتهم.

يقول تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ،وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾ (آل عمران: ١٤٢، ١٤٣)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الابتلاء لا يقف عند حد التمييز بين المؤمنين والمنافقين، بل يصل إلى حد إظهار المؤمنين على حقيقتهم؛ ليبين مدى صدقهم في توجههم واعتقادهم، ومدى صبرهم على ما يحملونه من منهج أصيل، عليهم تبليغه للناس كافة، وليكونوا حجة على الناس، كما قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ (البقرة: ١٤٣)

فليس كل من جاهد يمتلك حقيقة الصبر، فالجهاد في مفهومه الأشمل يحتاج إلى الصبر، فليس ميدان المعركة وحده بل ميدان النفس أيضا،"إن صيغة السؤال الاستنكارية يقصد بها إلى التنبيه بشدة إلى خطأ هذا التصور: تصور أنه يكفي الإنسان أن يقولها كلمة باللسان: أسلمت وأنا على استعداد للموت. فيبلغ بهذه الكلمة أن يؤدي تكاليف الإيمان وأن ينتهي إلى الجنة والرضوان!

إنما هي التجربة الواقعية والامتحان العملي. وإنما هو الجهاد وملاقاة البلاء ثم الصبر على تكاليف الجهاد وعلى معاناة البلاء.وفي النص القرآني لفتة ذات مغزى: ﴿**وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ (آل عمران:١٤٢) فلا يكفي أن يجاهد المؤمنون، إنما هو الصبر على تكاليف هذه الدعوة أيضاً. التكاليف المستمرة المتنوعة التي لا تقف عند الجهاد في الميدان، فربما كان الجهاد في الميدان أخف تكاليف هذه الدعوة التي يُطلب لها الصبر ويختبر بها الإيمان، إنما هنالك المعاناة اليومية التي لا تنتهي: معاناة الاستقامة على أفق الإيمان. والاستقرار على مقتضياته في الشعور والسلوك والصبر في أثناء ذلك على الضعف الإنساني: في النفس وفي الغير ممن يتعامل معهم المؤمن في حياته اليومية، والصبر على الفترات التي يستعلي فيها الباطل وينتفش ويبدو كالمنتصر! والصبر على طول الطريق وبعد الشقة وكثرة العقبات. والصبر على وسوسة الراحة وهفوة النفس لها في زحمة الجهد والكرب والنضال والصبر على أشياء كثيرة ليس الجهاد في الميدان إلا واحداً منها في الطريق المحفوف بالمكاره. طريق الجنة التي لا تنال بالأمانيّ وبكلمات اللسان"(قطب:١٩٨٦،ج١، ٤٧٧)

"إن الجنة لها ثمن، ولها تكاليف، فمن دفع ثمنها استحقها، وإلا فلا، فلا يدخل أحد بالأماني والرغبات، فما من إنسان إلا ويحب أن يدخل الجنة، وينأى بنفسه عن النار، وليس كل محب لها يدخلها، بل لابد من بذل الأسباب المؤدية إلى ذلك، إن الذي يعمل ويجاهد بنفسه وماله يمن الله عليه برحمته فيدخلها" (أبو فارس،ب.ت، ١٨٨)

وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾ (آل عمران:١٤٣)

يعلق صاحب الظلال على هذه الآية الكريمة بقوله: "هكذا يقفهم السياق وجهاً لوجه مرة أخرى أمام الموت الذي واجهوه في المعركة وقد كانوا من قبل يتمنون لقاءه، ليوازنوا في حسهم بين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وزن الكلمة يقولها اللسان ووزن الحقيقة يواجهها في العيان، فيعلمهم بهذا أن يحسبوا حساباً لكل كلمة تطلقها ألسنتهم، ويزنوا حقيقة رصيدها الواقعي في نفوسهم على ضوء ما واجهوه من حقيقتها حين واجهتهم! وبذلك يقدرون قيمة الكلمة وقيمة الأمنية وقيمة الوعد في ضوء الواقع الثقيل! ثم يعلمهم أن ليست الكلمات الطائرة والأماني المرفرفة هي التي تبلغهم الجنة إنما هو تحقيق الكلمة وتجسيم الأمنية والجهاد الحقيقي والصبر على المعاناة، حتى يعلم الله منهم ذلك كله واقعا كائنا في دنيا الناس" (قطب:١٩٨٦، ج١، ٤٧٧، ٤٧٨)

وجاء في الهدي النبوي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان" (مسلم،ب.ت، ٢٠٥٢/٤، ٢٦٦٤)

وجاء في شرح هذا الحديث: "المؤمن القوي خير" المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد، وأسرع خروجاً إليه، وذهاباً في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلباً لها ومحافظة عليها ونحو ذلك (وفي كل خير) معناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات (احرص على ما ينفعك) معناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة) (مسلم،ب.ت، ٢٠٥٢/٤)

"إن بابتلاء الجماعة المسلمة بالشدائد تعرف الجماعة وزن قوتها الحقيقية؛ لأن الشدائد كما قلنا تمييز وتمحيص، فبانكشاف حال المنافقين المندسين في صفوفها وانكشاف حال القادمين إليها للغنيمة والجاه أو التجسس أوغير ذلك من الأغراض الدنيوية الخسيسة سيكون وزن قوة الجماعة قدر وزن الذين ظهر صدقهم وإخلاصهم وثباتهم، كما أن بالشدائد ينكشف حال أعضائها المؤمنين الضعفاء، فتعرف الجماعة أن هؤلاء كانوا يزيدون في عدد أعضائها فقط، ولا يزيدون في وقتها، والمنظور إليه في قوة الجماعة هو قوتها الحقيقية وليس مجرد عدد أعضائها، وفي امتحان الجماعة وابتلائها بالمحن سيعرف كل عضو مؤمن مخلص صادق في إيمانه مقدار إيمانه الحقيقي ومقدار ثباته عليه، ومثل هذه المعرفة مهمة جدا للعضو نفسه وللجماعة نفسها" (زيدان: ١٩٩٣، ٩٩)

فالابتلاء يعمل على اصطفاء العناصر القوية الصالحة، فلا يدخل العمل من يكون عبئا على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العاملين، وإنما يأتي إلى الدعوة ويثبت عليها من تمكن الإيمان في قلبه، ومن يبتغي وجه الله والدار الآخرة، لأن المرء إذا علم أن المغارم أكثر من المغانم فإنه لا يختار المغارم إلا إذا رضي بالآجلة عوضا عن العاجلة.(سعيد: ٢٠٠٠، ٥٢)

إن أهمية الابتلاءات في المؤمنين أنها تظهر حقيقة أنفسهم بكل واقعية، بعيداً عن الأماني والأحلام، بل يقف أمام حقيقة نفسه بكل ضعفها وخورها، ومواطن الخلل، ليقوم بإصلاحها، فحين يدرك المؤمن طبيعة نفسه وحقيقتها سيبحث عن الخلل الذي أوصله إلى هذا الحال، ومن هنا يصبح الابتلاء مدرسة لاستقامة النفوس وتقويمها بعد أن يكشف مخبوء النفوس ويظهرها على حقيقتها أمام أصحابها.

٥_ إخلاص النفوس وإخلاص الغايات والأهداف.

يقول عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (آل عمران:١٥٢)

إن إخلاص النفوس لله، وإخلاص الغايات والأهداف التي تنطلق بها الجماعة المؤمنة هي من أعظم القضايا التي يتوقف عليها النصر، ولا يتأتى هذا الإخلاص إلا بالابتلاء للجماعة المؤمنة لتخلص نفوسهم وأهدافهم، فكانت التربية الربانية للجماعة المؤمنة في كل سكناتها وحركاتها، وما وقع في غزوة أحد والتي تتحدث عنه الآية الكريمة، يعرض القرآن الكريم تلك النفوس وأهدافها وغاياتها حتى جاء الوصف القرآني: **(منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة)**

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ما كنت أرى أن أحداً من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد الدنيا، حتى نزل فينا يوم أحد: **(منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة)** (قطب:١٩٨٦، ج١، ٤٨٨)

فقد كان المسلمون في المعركة فريقين: "فريقاً يريد غنيمة الدنيا وفريقاً يريد ثواب الآخرة، وتوزعت القلوب فلم يعد الصف وحدة ولم يعد الهدف واحداً، وشابت المطامع جلاء الإخلاص والتجرد الذي لا بد منه في معركة العقيدة، فمعركة العقيدة ليست ككل معركة، إنها معركة في الميدان ومعركة في الضمير، ولا انتصار في معركة الميدان دون الانتصار في معركة الضمير، إنها معركة لله فلا ينصر الله فيها إلا من خلصت نفوسهم له.وما داموا يرفعون راية الله وينتسبون إليها فإن الله لا يمنحهم النصر إلا إذا محصهم ومحضهم للراية التي رفعوها ؛ كي لا يكون هناك غش ولا دخل ولا تمويه بالراية، ولقد يغلب المبطلون الذين يرفعون راية الباطل صريحة في بعض المعارك - لحكمة يعلمها الله - أما الذين يرفعون راية العقيدة ولا يخلصون

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لها إخلاص التجرد فلا يمنحهم الله النصر أبداً حتى يبتليهم فيتمحصوا ويتمحضوا، وهذا ما يريد القرآن أن يجلوه للجماعة المسلمة بهذه الإشارة إلى موقفهم في المعركة وهذا ما أراد الله - سبحانه - أن يعلمه للجماعة المسلمة وهي تتلقى الهزيمة المريرة والقرح الأليم ثمرة لهذا الموقف المضطرب المتأرجح" (قطب:١٩٨٦، ج١، ٤٨٧، ٤٨٨)

وقد ورد في الحديث الشريف: "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله: ما القتال في سبيل الله ؟ فإن أحدنا يقاتل غضبا، ويقاتل حمية، فرفع إليه رأسه، قال: وما رفع إليه رأسه إلا أنه كان قائماً، فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله عز وجل" (البخاري: ١٩٨٧، ٥٨/١، ح١٢٣)

إن النبي صلوات الله وسلامه عليه يربي المؤمنين على ضرورة الإخلاص على جميع الصعد، وأن تكون غاياتهم وأهدافهم هي مرضاة الله عز وجل، وقد جاء في حديث آخر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل يقتتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملت فيما علمت ؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال إن فلانا قارئ فقد قيل ذاك، ويؤتى بصاحب المال، فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟ قال: بلى يا رب قال: فماذا عملت فيما آتيتك ؟ قال كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذاك، ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له في ماذا قتلت ؟ فيقول أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت، فيقول الله تعالى: له كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذاك، ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي، فقال: يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة" (الترمذي،ب.ت ٥٩١/٤، ح٢٣٨٢)

إن الجماعة المسلمة قامت على أساس المعاني الإسلامية وللدعوة إليها، فمن التناقض أن يكون الدافع لعملها هو ما حرمه الله: الرياء وطلب السمعة عند الناس، إنها تسعى لإعلاء كلمة الله بتطبيق شرعه ونصرة دينه ابتغاء مرضاة الله وطاعته فيجب أن تنأى عن الرياء بأي شكل كان، وعليها أن تعلم أن خطر الرياء عظيم وتأثيره في النفس كبير.(زيدان: ١٩٩٣، ١٠٥)

إن الصدق والإخلاص لله هو من العوامل الأساسية التي يجب أن تتمثل في الجماعة المؤمنة؛ لتقوم بدروها الريادي والقيادي للبشرية، فكل عمل مهما صغر أو كبر يجب أن يكون لله وفي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سبيل الله، فإذا اختلطت النفوس والأهداف والغايات حينها تكون الجماعة قد سارت في طريق الانحراف عن منهج الله وإرادته، فكان لابد من الابتلاءات حتى تحافظ الجماعة على إخلاص أهدافها وغاياتها لله، وإخلاص أفرادها وصدقهم مع الله.

٦_ الإعداد التربوي تمكينا للجماعة المؤمنة ونصرتها.

يقول تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (النور:٥٥)

"الابتلاء مرتبط بالتمكين ارتباطا وثيقا، فلقد جرت سنة الله _تعالى_ ألا يمكن لأمة إلا بعد أن تمر بمراحل الاختبار المختلفة، و إلا بعد أن ينصهر معدنها في بوتقة الأحداث، فيميز الله الخبيث من الطيب، وهي سنة جارية على الأمة الإسلامية لا تتخلف، فقد شاء الله_ تعالى_ أن يبتلي المؤمنين ويختبرهم، ليمحص إيمانهم، ثم يكون لهم التمكين في الأرض بعد ذلك" (يوسف:١٩٩٦، ٢٣٤، ٢٣٥)

وفي تعليق لصاحب الظلال على الآيات التي تحدثت عن الدرس والعبر المستوحاة من ابتلاء المسلمين في غزوة احد يقول:"لقد كان الله - سبحانه - قادراً على أن يمنح النصر لنبيه ولدعوته ولدينه ولمنهجه منذ اللحظة الأولى وبلا كد من المؤمنين ولا عناء، وكان قادراً أن ينزل الملائكة تقاتل معهم - أو بدونهم - وتدمر على المشركين كما دمرت على عاد وثمود وقوم لوط،ولكن المسألة ليست هي النصر، إنما هي تربية الجماعة المسلمة التي تعد لتتسلم قيادة البشرية، البشرية بكل ضعفها ونقصها، وبكل شهواتها ونزواتها ؛ وبكل جاهليتها وانحرافها، وقيادتها قيادة راشدة تقتضي استعداداً عالياً من القادة، وأول ما تقتضيه صلابة في الخلق وثبات على الحق وصبر على المعاناة ومعرفة بمواطن الضعف ومواطن القوة في النفس البشرية وخبرة بمواطن الزلل ودواعي الانحراف ووسائل العلاج، ثم صبر على الرخاء كالصبر على الشدة، وصبر على الشدة بعد الرخاء. وطعمها يومئذ لاذع مرير" (قطب:١٩٨٦، ج١، ٤٧٨)

إن الجيل الإيماني الذي يحمل عبء الدعوة وقيادة البشرية يجب أن يكون ذا مواصفات خاصة، من الصدق والإخلاص والنقاء والطهارة، جيل يعد على عين الله وبتوجيه الله، لذلك فإن هذه الابتلاءات هي بقدر من الله لتشكل الجماعة المؤمنة، وترسم ملامح الطريق لها، فلا تضل ولا تنحرف، وتعرف الصراط المستقيم الذي يجب أن تسلكه.

لذلك نرى أن حجم وشكل هذه الابتلاءات مختلفة عما يصيب أي جماعة أخرى، فهي لا تصل إلى حد التدمير والزوال، بل تأتي بقدر لتشد من عضد الجماعة المؤمنة وتشد من أزرها وتقوى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على مواجهة الصعاب والمحن، وقد جاء في حديث النبي: "مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الريح تميله ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد" (مسلم،ب.ت، ٢١٦٣/٤، ح٢٨٠٩) هذا الحديث يكشف عن وظيفة الابتلاء البنائية بالنسبة للجماعة المسلمة، فإن تعرض الزرع للحركة الدائمة يكسبه قدرة الثبات أمام الأعاصير، في حين أن الأرزة التي لا تحركها الرياح العادية فإنها لا تقف أمام الأعاصير والرياح الشديدة، ولذلك فإنها تتحطم، وكذلك الدعاة فإن لديهم قوة احتمال على مواجهة الصعاب لكثرة إجراء الابتلاء عليه.(سعيد:٢٠٠٠، ٥١) فهذه الابتلاءات تربوية توجيهية للاستعداد للمواجهة وتحمل الصعاب، و بدونها لا يمكن أن تخوض الجماعة غمار المواجهة وتقوم بعبء الدعوة المناط بها.

٧_ التضرع والدعاء إلى الله.

إن التضرع والدعاء إلى الله يمثل حقيقة العبادة الله في أرقى صورها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الدعاء هو العبادة ثم قرأ (**ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي**) (غافر:٦٠) (ابن حنبل،ب.ت، ٢٦٧/٤، ح١٨٣٧٨)

كما قال تعالى: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ**﴾ (النمل:٦٢) فالابتلاءات هي التي تعيد الإنسان إلى فطرته كما ورد في القرآن الكريم: ﴿**وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِداً أَوْ قَآئِماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ (يونس:١٢) .

فغاية الابتلاءات هي التضرع والدعاء والتوجه إلى الله كما قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ (الأنعام: ٤٢_٤٣) الشكوى إلى الله تعبد، والضراعة له والتذلل على بابه تقرب وطاعة، وللمحن والمصائب حكم، من أهمها أنها تسوق صاحبها إلى باب الله وتلبسه جلباب العبودية له... بل الواقع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمنا في حياته كلا الأمرين، فكان بصبره الشديد على المحن يعلمنا أن هذه وظيفة المسلمين عامة والدعاة إلى الله خاصة، وكان بطول ضراعته والتجائه إلى الله تعالى يعلمنا وظيفة العبودية ومقتضياتها. (البوطي:١٩٩٤، ١٠٢) وقد سبق الحديث عن هذا الموضوع في الأبعاد العقائدية على المستوى الفردي، وهو لا يختلف في مضمونه أيضا على الصعيد الجماعي.

٨_ تحقيق الطاعة للأمير (ولي الأمر) .

يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُم**﴾ (النساء:٥٩)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد أمر الله بطاعته وطاعة نبيه وطاعة أولي الأمر، "والمراد بأولي الأمر منكم: أمراء الحق؛ لأن أمراء الجور الله ورسوله بريئان منهم، فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم، وإنما يجمع بين الله ورسوله والأمراء الموافقين لهما في إيثار العدل واختيار الحق والأمر بهما والنهي عن أضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان. وكان الخلفاء يقولون: أطيعوني ما عدلت فيكم، فإن خالفت فلا طاعة لي عليكم" (الزمخشري،ب.ت، ج١، ٢٧٥) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني" (مسلم،ب.ت، ١٤٦٦/٣، ح١٨٣٥) إن الطاعة تمثل منهجا أخلاقيا قد يدفع الجماعة المؤمنة نحو الابتلاء في حال عدم الالتزام به، لقد كانت التوجيهات القرآنية والنبوية قاطعة وحازمة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة" (البخاري: ١٩٨٧، ٢٦١٦/٦، ح٦٧٢٣) إن هذه النفس البشرية التي جبلت على التمرد وعدم الطاعة، جاء الإسلام ليؤهلها ويربيها على الطاعة، وكان ثمن العصيان هو الغضب الإلهي، والابتلاء الذي قد تتعرض له الجماعة المؤمنة.

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع و الطاعة في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا لا نخاف في الله لومة لائم.(البخاري: ١٩٨٧، ٢٦٣٣/٦، ح٦٧٧٤)

طاعة الأمير في الإسلام واجبة يحرم على الجندي أن يخالف أمر الأمير...وعصيان الأمير يستوجب العقوبة في الدنيا والآخرة، وفي وقعة أحد كانت العقوبة الدنيوية الحرمان من النصر، وفي الآخرة استحقاق الوزر فإن شاء غفر وإن شاء عفا، وهو عفو كريم يحب العفو، ويعفو عن المؤمنين إن هم تابوا وأنابوا إليه بقلوب مخلصة.(أبو فارس:١٩٨٧، ٨٠، ٨١)

لقد كان درس أحد من أعظم الدروس وأقساها في هذا السياق، وفي تربية الجماعة المؤمنة على الطاعة وعدم مخالفة الأمر، فقد ابتلي المؤمنون في هذه المعركة ابتلاءً شديداً، واهتزت الصفوف بسبب مخالفة الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول ابن هشام في سيرته عن أمر الرسول لهم بعد أن أمر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف وهو معلم يومئذ بثياب بيض والرماة خمسون رجلا فقال: "انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك" (ابن هشام: ٢٠٠٤، ج٣، ٢٠)

وعن البراء بن عازب قال: جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة يوم أحد وكانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير، قال: ووضعهم موضعا، وقال: إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تبرحوا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا ظهرنا على العدو و أوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم، قال: فهزموهم، قال: فأنا والله رأيت النساء يشتددن على الجبل وقد بدت أسوقهن وخلاخلهن رافعات ثيابهن، فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنظرون، قال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: إنا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما أتوهم صرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخراهم، فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فأصابوا.(ابن كثير،ب. ت، ج٤، ٢٥)

إن الثمن صعب ومرير ومؤلم، دفع المسلمون فيه من خيرة الصحابة شهداء، وحرموا من النصر في هذه المعركة، وابتلاهم الله لتكون درسا ربانيا في الالتزام بالطاعة، وثمرة الالتزام يعود بالنفع على الجماعة ككل، وثمن المخالفة حتى لو كان من مجموعة قليلة تدفعه الجماعة كلها.

"والدعاة اليوم لابد أن يدركوا أهمية الطاعة في هذا الدين، وفي التنظيم والحركة والجماعة، وأن ينضبطوا تمام الانضباط في تصرفاتهم، ويتقيدوا بكل ما يوجه إليهم من أمر وينفذوه على وجهه السليم...ولو فقد عنصر الطاعة لفقدت مقومات الجماعة أو التنظيم وأصبح أفرادا لا رابطة لهم تربطهم كالعقد إذا انقطع سلكه، فإن حياته تتناثر هنا وهناك، ومن ثم فلا يمكن أن يتحقق هذا الدين كما أراده الله تبارك وتعالى...إن كثيرا من الأزمات في الحركات الإسلامية في العصر الحديث وكثيرا من الضربات القاتلة وجهت للعمل الإسلامي، والحركة الإسلامية في بعض بلاد المسلمين ترجع إلى ضعف عنصر الطاعة عند بعض أفرادها" (أبو فارس،ب.ت، ١٩٧، ١٩٨)

إن الجماعة المؤمنة تستطيع أن تقطع شوطاً كبيراً، وتوفر على نفسها محن وابتلاءات هائلة من خلال التزامها بعنصر الطاعة والالتزام بأوامر ولي الأمر وقيادة الجماعة، بحيث تكون هذه الطاعة طاعة لله وابتغاء مرضاته والتي حتما ستكون عاملا أساسيا في التمكين والنصر لهذه الجماعة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

الأبعاد الأخلاقية لسنة الابتلاء

- مدخل

أولاً: الأبعاد الأخلاقية على الصعيد الفردي:

١. التحلي بالصبر على الابتلاء والمحن

٢. التحلي بخلق الصدق قولا وعملا

٣. التحلي بخلق التواضع

٤. التحلي بخلق الحلم والعفو والصفح

٥. التحلي بخلق الوفاء بالوعد والعهد

٦. التحلي بخلق الجود والبذل والإيثار والكرم

٧. التحلي بالشجاعة في المعارك

ثانياً: الأبعاد الأخلاقية على صعيد الجماعة:

١. تحقيق الاستقامة على صعيد الجماعة

٢. تحقيق القدوة الحسنة والنموذج الصادق

٣. نصرة المظلومين والمستضعفين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأبعاد الأخلاقية لسنة الابتلاء

مدخل:

لقد جاء الإسلام العظيم ليرتقي بهذا الإنسان ويرتقي به نحو العلا، جاء بمنهج متكامل على الصعيد العقائدي والاجتماعي والأخلاقي والنفسي، ليفعل تلك الإمكانيات التي زودها الله لهذا الإنسان، فيحسن استغلالها في مسيرة حياته وإعماره لهذه الأرض.

وأهم ما يميز هذا الدين هو التركيز على الجانب الأخلاقي، لما فيه سعادة البشرية، حتى قال رسولنا الكريم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (البيهقي: ١٩٩٤، ١٩١/١٠، ح٢٠٥٧١) فقد قصر رسولنا الكريم بعثته ورسالته على إتمام مكارم الأخلاق، وهذا يعكس المنهج الأخلاقي الذي يقوم عليه الإسلام، فقد مدح القرآن الكريم نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه قائلا: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ (القلم: ٤) ، في إشارة إلى التميز الأخلاقي في شخص النبي وما يجب أن يكون عليه المؤمن في حياته الدنيا، وفي هذا السياق جاء حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "أقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا" (الترمذي،ب.ت، ٣٧٠/٤، ح٢٠١٨)

وقد جاءت التربية الربانية للمؤمنين لتصيغ شخصيتهم على هذا الأساس البنائي الأخلاقي، فتأتي سنة الابتلاء كقدر رباني على المؤمنين في سياق تشكيل القيم الأخلاقية التي أراد الله أن يحققها في حياة المؤمنين وسلوكهم.

إن النفس الإنسانية، على الرغم من وجود استعدادها الكامل، تظل دائما قابلة للترقي والتردي، للازدهار والذبول، بتأثير إرادتها الخاصة ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ (الشمس: ٩، ١٠) (دراز،ب.ت،١٨٠، ٥٨٦)

وتكمن قيمة الأخلاق كما ذكر يالجن: في أنها هي الرابطة بين أعضاء الجسم إذا شبهنا المجتمع بالجسم والأفراد بالأعضاء،أو أنها هي الرابطة بين لبنات البناء إذا شبهنا المجتمع بالبناء والأفراد باللبنات، فإذا زالت الأخلاق انفصمت هذه الرابطة وانقطعت الصلات، ومن ثم أدى إلى شلل الجسم وانهدام البناء الاجتماعي.(يالجن: ١٩٧٧، ١٣٦)

ليس من شك في أن للأخلاق أثرا قويا في بناء المجتمعات وفي كسب المعارك الكبار، فما تغني أحدث الأسلحة وأقواها شيئا عن الأخلاق إذ أن أثر الأخلاق في تعبئة الروح المعنوية يعرفه كل إنسان به إثارة من ضمير، ويشهد به قادة الحروب في القديم والحديث(البقري:١٤٠٣ه، ٩)

من هنا ندرك أن الحكم الإلهية في سنة الابتلاء حتما ستحمل معها الأبعاد الأخلاقية التي ينبغي أن تصاغ في الشخصية الإسلامية وفي سلوك الجماعة الإسلامية

وعلى هذا النحو وجد الباحث أنه من الضروري أن تقسم الأبعاد الأخلاقية إلى قسمين، منها ما

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هو متعلق بالفرد ومنها ما هو متعلق بالجماعة.

أولاً: الأبعاد الأخلاقية لسنة الابتلاء على الصعيد الفردي:

من أهم الأبعاد الأخلاقية التي تم استنباطها من القرآن والسنة النبوية ما يلي:

١_ التحلي بالصبر على الابتلاء و المحن.

إن الصبر على الابتلاء هو أمر إلهي جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدعو إليه، ومن الآيات التي جاءت تدعو إلا الصبر قال تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ**﴾ (النحل:١٢٧) وقوله: ﴿**وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**﴾ (الطور:٤٨) وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ (آل عمران:٢٠٠) وفي تفسير هذه الآية يقول الرازي: "أما الصبر فيندرج تحته أنواع: أولها: أن يصبر على مشقة النظر والاستدلال في معرفة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد، وعلى مشقة استنباط الجواب عن شبهات المخالفين. وثانيها: أن يصبر على مشقة أداء الواجبات والمندوبات. وثالثها: أن يصبر على مشقة الاحتراز عن المنهيات. ورابعها: الصبر على شدائد الدنيا وآفاتها من المرض والفقر والقحط والخوف، فقوله: (اصبروا) يدخل تحته هذه الأقسام، وتحت كل واحد من هذه الأقسام الثلاثة أنواع لا نهاية لها، وأما المصابرة فهي عبارة عن تحمل المكاره الواقعة بينه وبين الغير، ويدخل فيه تحمل الأخلاق الردية من أهل البيت والجيران والأقارب، ويدخل فيه ترك الانتقام ممن أساء إليك" (الرازي،ب.ت، ج٩، ١٥٥)

وجاء في الحديث الشريف: "من يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاء هو خير وأوسع من الصبر" (مالك،ب.ت، ٩٩٧/٢، ح١٨١٢)

فالصبر هو الثبات مع الله وتلقي بلائه بالرحب والدعة، ومعنى هذا أنه يتلقى البلاء بصدر واسع لا ينغلق بالضيق والسخط.(ابن قيم:٢٠٠٢، ١٧، ١٨) وقال أبو حامد الغزالي في الصبر: "اعلم أن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين أحدهما هو الذي يوافق هواه والآخر هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج إلى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن احد هذين النوعين او عن كليهما فهو إذن لا يستغنى قط عن الصبر، النوع الأول ما يوافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشيرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك في ملاذها المباحة منها أخرجه ذلك إلى البطر والطغيان فإن الإنسان ليطغى إن رآه استغنى حتى قال بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها إلا صديق، وقال سهل: الصبر على العافية أشد من الصبر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على البلاء ولما فتحت أبواب الدنيا على الصحابة رضي الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر" (الغزالي،ب.ت، ٤، ٦٩)

وجاء قول سيدنا يعقوب عليه السلام: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ (يوسف:٨٣) وقوله تعالى: ﴿**ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة**﴾ (البلد:١٧) وفي الحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المسلم إذا كان مخالطا الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم" (الترمذي،ب.ت، ٦٦٢/٤، ح٢٥٠٧) وهو حث على الصبر على بلاء الناس وأذاهم.

يقول تعالى:﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**﴾ (السجدة:٢٤) إن الابتلاءات هي التي تصقل الرجال الأشداء القادرين على حمل الأمانة الموكلة إليهم بهداية الناس، وهذه المرتبة لا يمكن أن يصل إليها إلا من تجاوز الاختبارات الإلهية والامتحانات باقتدار﴿**وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ (فصلت:٣٥) وقد بين الله تعالى ملامح جيل الدعوة القادر على تحمل المسؤولية فقال: ﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** ﴾ (آل عمران:١٤٦) " كم من نبي قاتلت معه جماعات كثيرة، فما ضعفت نفوسهم لما أصابهم من البلاء والكرب والشدة والجراح، وما ضعفت قواهم عن الاستمرار في الكفاح، وما استسلموا للجزع ولا للأعداء، فهذا هو شأن المؤمنين المنافحين عن عقيدة ودين،**(والله يحب الصابرين)** الذين لا تضعف نفوسهم ولا تتضعضع قواهم ولا تلين عزائمهم ولا يستكينون أو يستسلمون، والتعبير بالحب من الله للصابرين، له وقعه، وله إيحاؤه، فهو الحب الذي يأسو الجراح ويمسح على القرح ويعوض ويربو عن الضر والقرح والكفاح المرير!" (قطب: ١٩٨٦،ج١، ٤٨٢)

فالمحنة من أهم عوامل التكوين والاختبار في الإسلام، وقد لا يكون للتكوين النظري قيمة ما لم تشترك فيه عوامل الشدة والبلاء، وتفضيل النفس البشرية السلامة وعزوفها عن الخطر يستلزم في كثير من الأحيان تعريضها للصعاب والمكاره، حتى تكتسب مناعة وقوة، تمكنها من الصمود في وجه العوادي والنائبات.(يكن: ١٩٧٤، ١٨)

وابتلاء المؤمنين قبل التمكين أمر حتمي؛ من أجل التمحيص ليقوم بنيانهم بعد ذلك على تمكن ورسوخ، وهذا الابتلاء للمؤمنين ابتلاء الرحمة لا ابتلاء الغضب، وابتلاء الاختيار لا مجرد الاختبار.فلو أن قائداً أراد إعداد جنوده للفوز في معركة ضارية، أيكون من الرحمة أن يخفف لهم التدريب ويهون عليهم الإعداد؟ أم تكون الرحمة الحقيقية أن يشدد عليهم في التدريب على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قدر ما تقتضيه المعركة الضارية التي يعدهم من أجلها؟(يوسف: ١٩٩٦، ٢٣٥)

وجاء على لسان الإمام الشافعي _ رضي الله عنه_ حين سأله رجل: أيهما أفضل للمرء، أن يمكن أو يبتلى؟ فقال الشافعي لا يمكن حتى يبتلي فإن الله ابتلي نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة(ابن القيم:١٩٧٣، ٢٠٨)

وقد علم الله تعالى أن الابتلاء هو وسيلة الإعداد لهذه المهمة العظيمة وفي قصة طالوت شاهد على ذلك(يوسف: ١٩٩٦، ٢٣٥) فطالوت كان مقدماً على معركة، ومعه جيش من أمة مغلوبة، عرفت الهزيمة والذل في تاريخها مرة بعد مرة، وهو يواجه جيش أمة غالبة فلا بد إذن من قوة كامنة في ضمير الجيش تقف به أمام القوة الظاهرة الغالبة، هذه القوة الكامنة لا تكون إلا في الإرادة، الإرداة التي تضبط الشهوات والنزوات، وتصمد للحرمان والمشاق، وتستعلي على الضرورات والحاجات، وتؤثر الطاعة وتحتمل تكاليفها، فتجتاز الابتلاء بعد الابتلاء، فلا بد للقائد المختار إذن أن يبلو إرادة جيشه، وصموده وصبره: صموده أولاً للرغبات والشهوات ، وصبره ثانياً على الحرمان والمتاعب، واختار هذه التجربة وهم كما تقول الروايات عطاش؛ ليعلم من يصبر معه ممن ينقلب على عقبيه. (قطب:١٩٨٦، ج١، ٢٦٢)

وفي الحديث الشريف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمن كمثل الزرع، لا تزال الريح تميله، ولا يزال المؤمن يصيبه البلاء، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهتز حتى تستحصد" (مسلم،ب.ت، ٢١٦٣/٤، ح٢٨٠٩)

فالمؤمن يعيش واقع الابتلاء حتى يقوى عوده وتقوى لديه إمكانيات الصمود والمواجهة، وهذا ما أشار له الحديث الشريف، في حين أن المنافق لا يهتز حتى يسقط ويتهاوى مع أول ابتلاء وتمحيص كالزرع الذي يبس.

إن الإيمان أمانة الله في الأرض، لا يحملها إلا من هم لها أهل، وفيهم على حملها قدرة، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص، وإلا الذين يؤثرونها على الراحة والدعة، وعلى الأمن والسلامة ، وعلى المتاع والإغراء. وإنها لأمانة الخلافة في الأرض، وقيادة الناس إلى طريق الله، وتحقيق كلمته في عالم الحياة. فهي أمانة كريمة؛ وهي أمانة ثقيلة؛ وهي من أمر الله يضطلع بها الناس؛ ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على الابتلاء.(قطب:١٩٨٦، ج٥، ٢٧٢٠)

٢_ التحلي بخلق الصدق قولا وعملا.

إن الصدق يمثل ذروة الأخلاق، وأعلى مراتبها، لذلك كانت التربية القرآنية للمؤمنين تحث دائما على هذا الخلق، فجاءت الابتلاءات والمحن والفتن في سياق تكريس الصدق كمنهج تقوم عليه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حياة المؤمن في سكناته وحركاته، في أقواله وأفعاله، فالصدق أساس الدين، وعمود فسطاط اليقين،ودرجته تالية لدرجة النبوة التي هي أرفع درجات العالمين، ومن مساكنهم في الجنان تجري العيون والأنهار إلى مساكن الصديقين، وبالصدق يميز أهل النفاق من أهل الإيمان (قرعوش:١٩٩٩، ٦٦) . وجاء في قوله: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ** ﴾ (العنكبوت:٢، ٣) والمعنى أحسب الناس أن يتركوا بأن يقولوا آمنا ولأن يقولوا آمنا أي أحسبوا أن يقنع منهم بأن يقولوا إنا مؤمنون فقط ولا يمتحنون بما يبين حقيقة إيمانهم وهم لا يفتنون أي لا يختبرون بما يعلم به صدق إيمانهم من كذبه وللمفسرين فيه قولان: أحدهما: لا يفتنون في أنفسهم بالقتل والتعذيب قاله مجاهد والثاني: لا يبتلون بالأوامر والنواهي (ابن الجوزي:١٩٨٤، ج٦، ٢٥٥)

ويقول عز وجل في محكم التنزيل: ﴿**طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ**﴾ (محمد:٢١) "طاعة تستسلم لأمر الله عن طمأنينة، وتنهض بأمره عن ثقة، وقول معروف يشي بنظافة الحس واستقامة القلب، وطهارة الضمير، وأولى لهم إذا عزم الأمر، وجد الجد، وواجهوا الجهاد أن يصدقوا الله. يصدقوه عزيمة، ويصدقوه شعوراً. فيربط على قلوبهم، ويشد من عزائمهم، ويثبت أقدامهم، وييسر المشقة عليهم، ويهون الخطر الذي يتمثلونه غولاً تفغر فاها لتلتهمهم! ويكتب لهم إحدى الحسنيين: النجاة والنصر، أو الاستشهاد والجنة،هذا هو الأولى، وهذا هو الزاد الذي يقدمه الإيمان فيقوي العزائم ويشد القوائم، ويذهب بالفزع، ويحل محله الثبات والاطمئنان" (قطب:١٩٨٦،ج٦، ٣٢٩٦)

إن هذا الخلق الرفيع الذي يرتقي بالإنسان ويسمو به، الشدائد والمحن وحدها هي التي تظهره وتكشفه أمام النفوس التي ادعت الإيمان، فإذا لم يتمثل به هذا الخلق وصل إلى أدنى المستويات الخلقية، فماذا بعد الصدق إلا الكذب. والكذب من أبشع الخصال وأرذلها وهو مدخل إلى كثير من المزالق الشيطانية، والتحوط من لمم الكذب يكسب النفس مناعة تقيها من وسوسات الشيطان وإلقاءاته وتبقي على صفائها ونقائها وسموها، فالكذب يحطم النفس ويستذل شخصية الإنسان.(يكن، ب ت، ٣٤) وقد مدح الله الصادقين في أكثر من موضع واصفا أهل الصدق بأنهم الرجال الذين يستحقون هذا الوصف القرآني بما تحمله من أبعاد خلقية واجتماعية فقال تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا، لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ (الأحزاب:٢٣، ٢٤) وقد نزلت هذه الآية الكريمة بحق الصحابي الجليل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنس بن النضر فقد جاء في الحديث الشريف: عن ثابت قال: قال أنس عمي قال هاشم أنس بن النضر: لم يشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر قال: فشق عليه، وقال: في أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه، لئن أراني الله مشهدا فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع قال: فهاب أن يقول غيرها قال: فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، قال: فاستقبل سعد بن معاذ قال: فقال له أنس: يا أبا عمرو، أين واها لريح الجنة أجده دون أحد، قال: فقاتلهم حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون من ضربة وطعنة ورمية قال: فقالت أخته عمتي الربيع بنت النضر: فما عرفت أخي إلا ببنانه ونزلت هذه الآية: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾ (الأحزاب: ٢٣) قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه. (ابن حنبل، ب ت،١٩٤/٣، ح١٣٠٣٨)

وفي موضع آخر يقول: ﴿**وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾ (البقرة:١٧٧).

إن عملية الصبر على المحن والابتلاءات لا تتحقق إلا في أولئك الذين صدقوا في إيمانهم، فكان الصبر على المحن مصداقا لهذا الإيمان الذي استقر في القلوب،وتربت عليه النفوس.

وتأتي التوجيهات القرآنية للمؤمنين ليلتزموا بمنهج الصدق في حياتهم وأخلاقهم ومسلكياتهم فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ (التوبة:١١٩) وقد نزلت هذه الآية بحق الذين تخلفوا عن رسول الله في موقعة تبوك حيث جاء في البخاري عن كعب بن مالك رضي الله عنه وهو يتحدث عن تخلفه عن رسول الله قائلا: لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت في بدر، ولم يعاتب أحدا تخلف عنها، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحب أن لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس منها كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير، وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت أغدو؛ لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقضى شيئا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فأقول في نفسي أنا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد فأصبح رسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه، ولم أقض من جهازي شيئا فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت ولم أقض شيئا ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك (ما فعل كعب) . فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه ونظره في عطفيه. فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا. فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني همي وطفقت أتذكر الكذب، وأقول بماذا أخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عني الباطل وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال: (تعال) . فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: (ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟) . فقلت: بلى إني والله - يا رسول الله - لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلا، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك) . فقمت وثار رجال من بني سلمة، فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم بما اعتذر إليه المتخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك، فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم هل لقي هذا معي أحد ؟ قالوا: نعم رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت من هما ؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما أسوة، فمضيت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حين ذكروهما لي، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض، فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة...فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته: يا كعب بن مالك، أبشر، قال: فخررت ساجدا، وعرفت أن قد جاء فرج، وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا، حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قبل صاحبي مبشرون، وركض إلي رجل فرسا، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما يومئذ، واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيتلقاني الناس فوجا فوجا، يهونني بالتوبة يقولون لتهنك توبة الله عليك، قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني، وهنأني، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور: (أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك) . قال، قلت: أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال: (لا بل من عند الله) . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه؛ حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه، فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك) . قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر، فقلت: يا رسول الله، إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا مالقيت، فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا كذبا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت. وأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿**لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ، وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ، يَا أَيُّهَا**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٧_ ١١٩) . (البخاري:١٩٨٧، ١٦٠٣/٤، ح٤١٥٦)

إن أجمل ما قيل في هذا الحديث هو قول الصحابي الجليل كعب بن مالك رضي الله عنه، الذي أدرك قيمة الصدق من خلال الابتلاء الذي تعرض له بقوله: "فقلت: يا رسول الله، إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا مالقيت، فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا كذبا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت"

كما قال تعالى: ﴿**قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (المائدة:١١٩) إن ثمرة هذا الصدق هو يوم القيامة بالجنة والرضا من الله عز وجل، وذلك هو الفوز العظيم، وقد جاء في الحديث الشريف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا.(مسلم،ب،ت، ٢٠١٢/٤، ح٢٦٠٧)

ولفظ الصدق يستعمل في ستة معان: صدق في القول، وصدق في النية والإرادة، وصدق في العزم، وصدق في الوفاء بالعزم، وصدق في العمل، وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها، فمن اتصف بالصدق في جميع ذلك فهو صديق؛ لأنه مبالغة في الصدق(الغزالي،ب.ت، ج٤، ٣٨٨)

وقد قسم الإمام ابن القيم رحمه الله الصدق إلى ثلاثة أقسام هي: الصدق في الأقوال، والصدق في الأعمال، والصدق في الأحوال.

"فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال، كاستواء السنبلة على ساقها، والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد، والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع، وبذل الطاقة فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صديقيته" (ابن القيم:١٩٧٣، ج٢، ٢٧٠)

أما ابن قدامة فقد قسم الصدق إلى خمسة أقسام: الصدق في القول، والصدق في النية والإرادة، والصدق في العزم والوفاء به، والصدق في مقامات الدين.(ابن قدامة:١٩٩٩، ٣٩٨)

إن الصدق هو الذي يشكل المسلم الحقيقي بأخلاقه وأفعاله وسلوكه، فتأتي الابتلاءات؛ لتظهر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حقيقة هذا الصدق في قلوب المؤمنين، فهذه القلوب يكشف مخبوءها الابتلاء والمحن، وترسخ الصدق قولا وعملا، فهذه التربية القرآنية هي التي توجه وتربي وتزرع القيم والمفاهيم في القلوب.

٣_ التحلي بخلق التواضع.

إن التحلي بخلق التواضع ليس بالأمر الهين، وإن بدا للوهلة الأولى أنه خلق يمكن التحلي به، غير أن النفس البشرية جبلت على الكبر نقيض خلق التواضع، فكان الكفر ودخول النار هو ثمرة الكبر، وقد جاءت الآيات تباعا تحذر من الكبر وتذمه، وأن هذا الخلق هو الذي دفع إبليس عليه لعنة الله، أن يعصي أمر ربه بالسجود لآدم، حين قال تعالى: ﴿**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾ (الأعراف:١٢) هذا الكبر أيضا الذي يدفع بصاحبه لرفض الحق والاستمرار في مسيرة الغي والظلم، فقال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾ (البقرة:٢٠٦) .

لقد رغب الإسلام في التواضع وحث عليه وأثنى على المتواضعين وحذر من الكبر لأنه من أقبح الانحرافات الخلقية وأسوئها وأنه قد يدفع صاحبه إلى جحود الخالق عز وجل، والاستكبار على طاعته، ولذا فقد شدد الإسلام على تحريم الكبر ونحى باللائمة على المستكبرين و أوعدهم بالعقاب الشديد.(قرعوش: ١٩٩٩، ٢٠٦)

فقال تعالى: ﴿**سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ (الأعراف:١٤٦) معنى يتكبرون: أنهم يرون أنهم أفضل الخلق وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم وهذه الصفة أعني التكبر لا تكون إلا لله تعالى، لأنه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لأحد فلا جرم يستحق كونه متكبراً، وقال بعضهم: التكبر: إظهار كبر النفس على غيرها. وصفة التكبر صفة ذم في جميع العباد، وصفة مدح في الله جل جلاله، لأنه يستحق إظهار ذلك على من سواه لأن ذلك في حقه حق. وفي حق غيره باطل.(الرازي،ب.ت، ج١٥، ٣) وقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا**﴾ (الفرقان:٢١)

لقد عظم شأنهم في نظر أنفسهم، فاستكبروا وطغوا طغياناً كبيراً، لقد تضخم شعورهم بأنفسهم حتى شغلهم عن تقدير القيم الحقيقية ووزنها وزناً صحيحاً، لقد عادوا ما يحسون إلا أنفسهم وقد كبرت في أعينهم وتضخمت وعظمت، حتى ليحسبونهم شيئاً عظيماً في هذا الكون يستحق أن يظهر لهم الله جل جلاله ليؤمنوا ويصدقوا!(قطب:١٩٨٦، ج٥، ٢٥٥٨)

وفي السنة النبوية المطهرة وردت أحاديث كثيرة للتنفير والترهيب من الكبر فقال رسول الله

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة من في قلبه ذرة كبر" (مسلم،ب.ت، ٩٣/١، ح٩١)
كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام: قال الله عز وجل: "الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قذفته في النار" (أبو داود،ب.ت، ٤٥٦/٢، ح ٤٠٩٠) وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أخبركم بأهل الجنة ؟ كل ضعيف متضاعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر" (البخاري:١٩٨٧، ٢٢٥٥/٥، ح٥٧٢٣)
وقد أشار (قرعوش) إلى أن الكبر يدور على ثمانية أسباب وهي: العلم، العمل والعبادة، الحسب والنسب، الجمال، المال، القوة وشدة البطش، كثرة الأنصار والأتباع والولد والعشيرة، الغرور والوهم.(قرعوش: ١٩٩٩، ٢١١_٢١٦)
وكثير من العلماء أشار إلى كيفية الخلاص من داء الكبر واكتساب خلق التواضع وأفرد أبوابا عديدة له من بينهم الإمام الغزالي رحمه الله الذي أشار إلى مقامين للعلاج من داء الكبر: "اعلم أن الكبر من المهلكات ولا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه وإزالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجة واستعمال الأدوية القامعة له، وفي معالجته مقامان: أحدهما: استئصال أصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب. الثاني: دفع العارض منه بالأسباب الخاصة التي بها يتكبر الإنسان على غيره" (الغزالي،ب.ت، ج٣، ٣٥٨) وقد فصل في كل مقام من تلك المقامات.
وما نجده من خلال المتابعة لحكم الله في الابتلاء أنها تأتي على قدر من الله ورحمة بالمؤمنين، لتكسبهم خلق التواضع، فالمحن والابتلاءات التي يعيشها المؤمن يدرك من خلالها حقيقة وجوده وضعفه وانكساره وذله إلا بالله فمن حكمة الله في سنة الابتلاء والمحن: "معرفة ذلة العبودية وكسرها، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ (البقرة:١٥٦) ، اعترفوا بأنهم ملكه وعبيده، وأنهم راجعون إلى حكمه وتدبيره، وقضائه وتقديره، لا مفر لهم منه، ولا محيد لهم عنه" (ابن عبد السلام: ١٩٩٢، ٩) هذا الانكسار والذل والضعف في خضم المحن يولد خلق التواضع، فمن عاش لحظات الابتلاء، وعانى ما عانى، وتحمل ما تحمل، يدرك أن كل هذه الدنيا لا تساوي شيئا، وان ما عند الله خير وأبقى، من لامس حقيقة الدنيا،أنها لا تدوم لأحد تخلص نفسه من الأدواء وعلى رأسها الكبر والتكبر، من ذاق كبر المستكبرين وجبروت الظالمين يدرك حقيقة التواضع وقيمته الأخلاقية والإنسانية. يقول تعالى: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ**﴾ (التوبة: ٢٥)
عن العباس رضي الله عنه قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم نفارقه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء أهداه له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال عباس وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي عباس ناد أصحاب السمرة فقال عباس: وكان رجلا صيتاً فقلت بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر ، على أولادها فقالوا: يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا ،والكفار والدعوة في الأنصار يقولون يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار قال ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج يا بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول: الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس قال ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال انهزموا ورب محمد، قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا.(مسلم،ب.ت، ١٣٩٨/٣، ح١٧٧٥)

لقد اغتر المسلمون بقوتهم وقالوا: لن نغلب من قلة، إن هذه هي المعركة التي اجتمع فيها للمسلمين_ للمرة الأولى_ جيش عدته اثنا عشر ألفا فأعجبتهم كثرتهم، وغفلوا بها عن سبب النصر الأول، فردهم الله بالهزيمة في أول المعركة إليه، ثم نصرهم بالقلة المؤمنة التي ثبتت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصقت به.(قطب: ١٩٨٦، ج٣، ١٦١٧)

إن هذا العجب والكبر الذي خالط قلوب البعض؛ حتى أوصلهم إلى الشعور أنهم لن يهزموا بعد اليوم، هو الذي أوقعهم في هذا الابتلاء والهزيمة واضطراب الصفوف في بداية المعركة، ليعيد للمؤمنين توازنهم النفسي بأن النصر من الله، وأن الغرور والكبر نتائجه الهزيمة والخزي في الدنيا والآخرة، فبالصدق والإخلاص والتواضع لله مهما بلغت قوة المسلمين وامتد صعودهم، عليهم أن يعيشوا حالة التواضع والسكون والصدق مع الله.

فالتواضع من أعظم ما يتخلق به المرء فهو جامع الأخلاق وأساسها، بل ما من خلق في الإسلام إلا وللتواضع منه نصيب، فبه يزول الكبر، وينشرح الصدر، ويعم الإيثار، وتزول القسوة والأنانية والتشفي وحب الذات.

يقول تعالى:﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ (الفرقان:٦٣)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهاهم أولاًء عباد الرحمن، الذين يعرفون الرحمن، ويستحقون أن ينسبوا إليه، وأن يكونوا عباده. ها هم أولاًء بصفاتهم المميزة ومقومات نفوسهم وسلوكهم وحياتهم. ها هم أولاًء مثلاً حية واقعية للجماعة التي يريدها الإسلام، وللنفوس التي ينشئها بمنهجه التربوي القويم، وهؤلاء هم الذين يستحقون أن يعبأ بهم الله في الأرض، ويوجه إليهم عنايته؛ فالبشر كلهم أهون على الله من أن يعبأ بهم، لولا أن هؤلاء فيهم، ولولا أن هؤلاء يتوجهون إليه بالتضرع والدعاء. (قطب:١٩٨٦، ج٥، ٢٥٧٧)

فأول الصفات التي أشار لها القرآن في صفات عباد الرحمن الذين استحقوا هذا الوصف هو التواضع في حياتهم وفي معاملاتهم، وصولا إلى مشيتهم التي تعبر عن طبيعة نفوسهم التي صقلت وربيت على التواضع، هؤلاء هم الذين يستحقون هذا الوصف القرآني العظيم.

وقال تعالى: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (الشعراء:٢١٥)

إنه الأمر الإلهي بالتواضع والرفق واللين مع المؤمنين، فهذا الجانب الأخلاقي الذي يفتح القلوب لاستقبال الرسالة السماوية، واستقبال التوجيهات النبوية، لذلك وجب على كل داعية إلى الله أن يتصف بهذه الصفة كي يستطيع أن يخترق القلوب والعقول فتستجيب الناس للدعوة بذلك الخلق العظيم، وقد قال الله لنبيه: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ (آل عمران:١٥٩) "تضمنت الآية تنويها بخلق من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الحياء والصبر على ما يؤذي نفسه من أصحابه، وتجنبه كسر قلوبهم، وجرح عواطفهم، وهذا من أعظم الأخلاق وأكرمها وخاصة عند الدعاة الهداة" (دروزة: ١٩٦٥، ٦٠)

فمفتاح القلوب هو تلك الأخلاق الكريمة من التواضع والرحمة والرفق واللين،وقد جاء في الحديث الشريف عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت. (البخاري: ١٩٨٧، ٢٢٥٥/٥، ح٥٧٢٤) والأمة هي: المرأة المملوكة،وعن أبي مسعود قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل. فكلمه. فجعل ترعد فرائصه. فقال له: هون عليك. فإني لست بملك. إنما أنا ابن امرأة تأكل القديد.(ابن ماجة،ب.ت، ١١٠١/٢، ح٣٣١٢)

وقال الله تعالى لموسى عليه السلام: "هل تعرف لم كلمتك من بين الناس؟ قال لا، قال: لأني رأيتك تتمرغ بين يدي في التراب تواضعا لي" .(الأبشيهي،ب.ت، ١٤٦)

والداعي إلى الله أحوج من غيره إلى خلق التواضع، فهو يخالط الناس ويدعوهم إلى الحق وإلى أخلاق الإسلام فكيف يكون عاريا من التواضع، وهو من ركائز الإسلام؟ ثم إن من طبيعة الناس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي جبلهم الله عليها أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبر عليهم، وإن كان ما يقوله حقا وصدقا، هكذا جبلت طبائع الناس فإنهم ينفرون عن المتكبر ويغلقون قلوبهم دون كلامه ووعظه وإرشاده.(زيدان: ١٩٧٥، ٣٤٩،٣٥٠)

إن خلق التواضع يمثل الحالة الصحية الحقيقية ومصداقا لمن استقر الإيمان في قلبه ووعى بحقيقة الدنيا وحقيقة وجوده في هذه الدنيا أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة، فهذا الخلق الرائع يمثل ارتقاء نفسيا وروحيا وعقليا لمن تمثل به قولاً وعملاً.

٤_ التحلي بخلق الحلم والعفو و الصفح.

الحلم هو ضبط النفس عند ثورة الغضب حال وجود ما يدعو إليه وتملك عنانها حذار الاسترسال في هيجانها فيحدث ما لا تحمد عقباه.والحلم سيد الأخلاق، وهو يكمل صاحبه بجميل الخصال وقد عد الله تعالى الصبر على تحمل الأذى والمغفرة للمسيء من الأمور التي يندر فاعلها إذ هي من خصال الرسل الكرام، قال تعالى: ﴿**وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ (الشورى:٤٣) وقد أمر الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أن يجعل العفو له منهاجا وشعارا فقال: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ (الأعراف:١٩٩)

والجزع وعدم تحمل الأذى من صفات الحمقى، وأهل الطيش، ودليل عدم الرزانة وفقدان الاتزان، وصفة الحلم علامة مميزة بين إنسان ذي عقيدة راسخة، وإيمان قويم، وآخر تنقصه هذه المزايا.(قرعوش: ١٩٩٩، ١٥٥)

تأتي الابتلاءات في سياق صياغة الشخصية الإسلامية التي تمتثل لأوامر الله، ومنهج الله القائم على الأخلاق، والتي يمثل الحلم والعفو والصفح من أهم مقوماتها، ويمثل أرقى قيم الإنسانية.

ونرى التوجيهات القرآنية الالتزام والتحلي بخلق الحلم والعفو، وليس هناك أدل من حادثة الإفك وما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرضه وشرفه بزوجته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها،فعن عائشة رضي الله عنها قالت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس ووقر في أنفسكم وصدقتم به ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني بريئة لتصدقني والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال: ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾ (يوسف:٨٣) . ثم تحولت إلى فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحيا ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنزل عليه الوحي فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات فلما سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي (يا عائشة احمدي الله فقد برأك الله) . فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله فأنزل الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ (النور:١١) . فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد ما قال لعائشة. فأنزل الله تعالى: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (النور:٢٢) . فقال أبو بكر بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه. (البخاري:١٩٨٧، ٩٤٢/٢، ح٢٥١٨)

لقد كان تعامل النبي وصاحبه أبي بكر رضي الله عنه قمة العفو والحلم حتى عفوا عمن تكلم بعرضهما وشرفهما، وهذا ما يعجز الإنسان أن يصل إليه، فقد عفا رسول الله عن رأس النفاق عبد الله بن أبي.

واقتضى تمام الامتحان والابتلاء أن حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي شهرا لا يوحى إليه في ذلك شيء، لتتم كلمته التي قدرها وقضاها وتظهر على كل الوجوه، ويزداد المؤمنون الصادقون إيمانا وثباتا على العدل والصدق وحسن الظن بالله ورسوله وأهل بيته والصديقين والصالحين من عباده، ويزداد المنافقون إنكارا ونفاقا، ويظهر لرسول الله سرائرهم.(يكن: ١٩٧٧، ٢٧)

وليس هناك أعظم من الموقف التاريخي الإنساني في فتح مكة وبعدما فعلته قريش وارتكبته بحق المؤمنين يقف الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه قائلا: ما ترون أني صانع بكم قالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.(البيهقي:١٩٩٤، ١١٨/٩، ح ١٨٠٥٥)

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته: أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ قال (لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا.(البخاري:١٩٨٧، ١١٨٠/٣، ح٣٠٥٩)

هذا هو خلق النبي وحلمه ورحمته بأمته وبالناس. وفي قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي وصفه رب العزة بقوله: ﴿**إن إبراهيم لأواه حليم**﴾ (التوبة:١١٤) هذا الوصف القرآني جاء يصف أعلى مراتب الأخلاق في مواجهة المحن والابتلاءات التي تعرض لها سيدنا إبراهيم عليه السلام، كما جاء الوصف لابنه سيدنا إسماعيل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿**فبشرناه بغلام حليم**﴾ (الصافات:١٠١) وقد جاء هذا الوصف القرآني لابنه إسماعيل عليه السلام في سياق الابتلاء الإلهي بالأمر بذبح الوالد إبراهيم عليه السلام لولده إسماعيل فقال تعالى: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ(١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ(١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ(١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ(١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ(١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ(١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ(١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١١٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ(١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ(١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ(١١٣)**﴾ (الصافات: ١٠٠_١١٣)

يقول صاحب التفسير الكبير رحمه الله معلقا على دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿**رب هب لي من الصالحين**﴾ (الصافات:١٠٠) :"واعلم أن هذا الدعاء اشتمل على ثلاثة أشياء: على أن الولد غلام ذكر، وأنه يبلغ الحلم، وأنه يكون حليماً، وأي حلم يكون أعظم من ولد حين عرض عليه أبوه الذبح ﴿**قَالَ سَتَجِدُنِى إِن شَاء الله مّنَ الصابرين**﴾ (الصافات: ١٠٢) ثم استسلم لذلك"(الرازي،ب.ت،ج١٥١،٢٦)

وفي قصة سيدنا يوسف عليه السلام الذي تعرض للمحن والابتلاءات منذ نعومة أظفاره والتي كانت على يد إخوته الحاسدين فقال تعالى: ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ، اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ، قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**﴾ (يوسف: ٨، ٩، ١٠)

لقد ألقي في البئر من قبل إخوته وهو صغير السن، "ولا شك أن هذا له وقعه في النفس:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هما محنتان: محنة ظلم الأخوة، ومحنة الحياة في البئر، والواحدة منهما مؤذية، فكيف إذا اجتمعتا؟ إنهما تجعلان الولدان شيبا إلا ما رحم ربي، إن رحمة الله قريب من المحسنين الصابرين، فتداركت رحمة الله يوسف عليه السلام المبتلى، فسكنت نفسه وهدأ روعه، وخففت من روعه، وسكبت الأمن والأمان، والطمأنينة والسلام" (أبو فارس،ب.ت، ١٤٣)

فكيف كان رد فعل سيدنا يوسف عليه السلام بعد أن أصبح يمتلك القدرة على الانتقام، فقد جاء التعبير القرآني يصف الموقف الإنساني والأخلاقي لسيدنا يوسف عليه السلام، فقال تعالى: ﴿**قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ، قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ، قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ (يوسف:٨٩_ ٩٢)

لقد كانت مفاجأة يعلنها لهم يوسف ويذكرهم في إجمال بما فعلوه بيوسف وأخيه في دفعة الجهالة،ولا يزيد، سوى أن يذكر منة الله عليه وعلى أخيه، معللاً هذه المنة بالتقوى والصبر وعدل الله في الجزاء.أما هم فتتمثل لعيونهم وقلوبهم صورة ما فعلوا بيوسف، ويجللهم الخزي والخجل وهم يواجهونه محسناً إليهم وقد أساءوا، حليماً بهم وقد جهلوا، كريماً معهم وقد وقفوا منه موقفاً غير كريم: ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ**﴾ (يوسف:٩١) اعتراف بالخطيئة، وإقرار بالذنب، وتقرير لما يرونه من إيثار الله له عليهم بالمكانة والحلم والتقوى والإحسان. يقابله يوسف بالصفح والعفو وإنهاء الموقف المخجل. شيمة الرجل الكريم. وينجح يوسف في الابتلاء بالنعمة كما نجح من قبل في الابتلاء بالشدة. إنه كان من المحسنين. ﴿**قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ (يوسف:٩٢) ،لا مؤاخذة لكم ولا تأنيب اليوم. فقد انتهى الأمر من نفسي ولم تعد له جذور. والله يتولاكم بالمغفرة وهو أرحم الراحمين.(قطب: ١٩٨٦، ج٤، ٢٠٢٧)

لقد شكل هذا الموقف قمة الإنسانية في الحلم والصفح والتجاوز عن المسيء، لقد كانت هذه الابتلاءات والمحن ترسم قاعدة في التصور لما يجب أن يكون عليه المؤمن، وما سيؤول إليه في تفاعله مع الظلم والاضطهاد حتى لو كان من أقرب المقربين، فالعاقبة حتما للمتقين، في الدنيا وفي الآخرة كما قال تعالى: ﴿**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ (المجادلة:٢١) فمهما بلغ حجم الابتلاء والمحن فلابد أن يكون الطمأنينة واليقين بنصر الله، وهذا كفيل بأن يجعل المؤمن صابراً محتسباً حليماً.

وكذلك حلم سيدنا هود على قومه فقال تعالى واصفا حلم هود عليه السلام وصبره على أذى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قومه فقال: ﴿**قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ، أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ**﴾ (الأعراف: ٦٦، ٦٧، ٦٨)

إن شتائم هؤلاء الجهال لم يطش لها حلم هود، لأن الشقة بعيدة بين رجل اصطفاه الله رسولا فهو الذؤابة من الخير والبر، وبين قوم سفهوا أنفسهم وتهاووا على عبادة الأحجار يحسبونها _ لغبائهم_ تضر وتنفع! كيف يضيق المعلم الكبير بهرف هذه القطعان. (الغزالي: ١٩٨٠، ١٠٧)

وجاء في الحديث الشريف: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله" (مسلم،ب.ت،٢٠٠١/٤، ح٢٥٨٨)

كما قال أيضا: "يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا و أهل الآخرة ؟ تصل من قطعك و تعطي من حرمك و تعفو عمن ظلمك" (الطبراني: ١٩٨٣، ٢٦٩/١٧، ح٧٣٩)

ولقي رجل علي بن الحسين رضي الله عنهما فسبه، فثارت إليه العبيد، فقال: مهلا، ثم أقبل على الرجل فقال: ما ستر عنك أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحى الرجل، فألقى عليه خميصة _ كساء أسودمربع له علمان_وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنه من أولاد الرسول.(ابن قدامة: ١٩٩٩، ١٩٩، ٢٠٠)

قال تعالى: ﴿**وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (آل عمران: ١٣٣، ١٣٤) يقول صاحب الظلال في تفسير هذه الآية الكريمة: كذلك تعمل التقوى في هذا الحقل، بنفس البواعث ونفس المؤثرات، فالغيظ انفعال بشري تصاحبه أو تلاحقه فورة في الدم، فهو إحدى دفعات التكوين البشري وإحدى ضروراته، وما يغلبه الإنسان إلا بتلك الشفافية اللطيفة المنبعثة من إشراق التقوى، وإلا بتلك القوة الروحية المنبثقة من التطلع إلى أفق أعلى وأوسع من آفاق الذات والضرورات،وكظم الغيظ هو المرحلة الأولى، وهي وحدها لا تكفي، فقد يكظم الإنسان غيظه ليحقد ويضغن، فيتحول الغيظ الفائر إلى إحنة غائرة، ويتحول الغضب الظاهر إلى حقد دفين، وإن الغيظ والغضب لأنظف وأطهر من الحقد والضغن، لذلك يستمر النص ليقرر النهاية الطليقة لذلك الغيظ الكظيم في نفوس المتقين،إنها العفو والسماحة والانطلاق.(قطب:١٩٨٦، ج١، ٤٦٩)

من خصائص هذا الدين الذي أكرمنا الله تعالى به وشرفنا به، أنه دين التسامح والصفح، ينادي أتباعه أن يعيشوا حياتهم صادقين، مخلصين صافين أنقياء أصفياء محبين ورعاء يتغاضى بعضهم عن هفوات الآخر، ويسامح أحدهم أخاه، وهو حين يقابل هفوة أخيه بالتسامح، وحين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقابل عداوته بالإحسان يعالج نفسية أخيه من جهة ومن جهة أخرى يستجيب لدعوة القرآن، ﴿**ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾ (فصلت: ٣٤، ٣٥) (هاشم،ب.ت،٢٣٢)

إن التحلي بهذا الخلق الرفيع من الحلم والسماحة والعفو في حياة المؤمن، في يومياته وأدق تفاصيل حياته، ليس بالأمر الهين والسهل، بل يحتاج إلى تربية وإعداد، ووعي بعظم الثواب المترتب على الالتزام بهذا الخلق، والابتلاءات والمحن مهما كان حجمها في حياة المؤمن، تمثل منهجا تربويا إعداديا لتأصيل هذا الخلق في حياة المؤمنين وسلوكهم.

٥_ التحلي بخلق الوفاء بالوعد والعهد.

الوفاء بالوعد والعهد من صفات المؤمنين الصادقين إذ إن الوفاء بالعهد هو أن يصدق المسلم، مما وعد به غيره، بحيث يأتي ذلك مطابقا له مطابقة تامة، وزمانا، ومكانا، وإن لم يأت الموعود به مطابقا لأوصافه دون زيادة أو نقصان، كان الواعد أو المعاهد كاذبا، أو محرفا للكلم عن مواضعه. والصدق بالوعد، والعهد من الفضائل الخلقية، والكذب فيهما من الرذائل الخلقية(**قرعوش: ١٩٩٩، ١٠٤، ١٠٥**)

وقد جاءت التوجيهات القرآنية لتكرس هذا الخلق في قلب وعقل المؤمن فيقول عز وجل: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾ (النحل:٩١، ٩٢) وفي ذلك يقول صاحب الظلال: (وقد تشدد الإسلام في مسألة الوفاء بالعهود فلم يتسامح فيها أبداً، لأنها قاعدة الثقة التي ينفرط بدونها عقد الجماعة ويتهدم، والنصوص القرآنية هنا لا تقف عند حد الأمر بالوفاء والنهي عن النقض إنما تستطرد لضرب الأمثال، وتقبيح نكث العهد، ونفي الأسباب التي قد يتخذها بعضهم مبررات،﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾ (النحل:٩٢) . فمثل من ينقض العهد مثل امرأة حمقاء ملتاثة ضعيفة العزم والرأي، تفتل غزلها ثم تنقضه وتتركه مرة أخرى قطعاً منكوثة ومحلولة! وكل جزئية من جزيئات التشبيه تشي بالتحقير والترذيل والتعجب. وتشوه الأمر في النفوس وتقبحه في القلوب. وهو المقصود. وما يرضى إنسان كريم لنفسه أن يكون مثله كمثل هذه المرأة الضعيفة الإرادة الملتاثة العقل، التي تقضي حياتها فيما لا غناء فيه!

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان بعضهم يبرر لنفسه نقض عهده مع الرسول صلى الله عليه وسلم بأن محمداً ومن معه قلة ضعيفة، بينما قريش كثرة قوية. فنبههم إلى أن هذا ليس مبرراً لأن يتخذوا أقسامهم غشاً وخديعة فيتخلوا عنها... فالإسلام لا يقر مثل هذا المبرر، ويجزم بالوفاء بالعهد، وعدم اتخاذ الأيمان ذريعة للغش والدخل... هو ابتلاء من الله لهم ليمتحن إرادتهم ووفاءهم وكرامتهم على أنفسهم وتحرجهم من نقض العهد الذي أشهدوا الله عليه.(قطب: ١٩٨٦، ج٤،٢١٩١، ٢١٩٢)

فالابتلاء يأتي في سياق التربية القرآنية لخلق الوفاء بالوعد والعهد، وترسيخه في نفوس المؤمنين، ليشكل واقعا وسلوكا يعيشه المؤمن في حياته، وقد كانت معركة أحد من تلك الدروس التي ربت المؤمنين على هذا الخلق ونزل فيها قرآنا يتلى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾ (الأحزاب:٢٣) .

فعن أنس بن مالك قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين. ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه. قال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾ (الأحزاب:٢٣) .(البخاري: ١٠٣٢/١٩٨٧،٣، ح٢٦٥١)

وفي خطاب قرآني يقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ**﴾ (الصف:٢، ٣)

كما قال تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آَتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ، فَلَمَّا آَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ، فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ (التوبة: ٧٥_ ٧٧) إن خطورة إخلاف الوعد هو النفاق وكما ذكر رسول الله: "آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان" (البخاري: ١٩٨٧، ٢١/٢، ح٣٣)

ويقول تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا**﴾ (الإسراء:٣٤) فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والأخلاق الحميدة، يعظم صاحبه في العيون وتصدق فيه خطرات الظنون، ويقال: الوعد سحابة والإنجاز مطره.(الأبشيهي:٢١٩)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (التوبة:١١١)

إن الدخول في الإسلام صفقة بين متبايعين.. الله - سبحانه - فيها هو المشتري والمؤمن فيها هو البائع. فهي بيعة مع الله لا يبقى بعدها للمؤمن شيء في نفسه ولا في ماله يحتجزه دون الله - سبحانه - ودون الجهاد في سبيله لتكون كلمة الله العليا، وليكون الدين كله لله. فقد باع المؤمن لله في تلك الصفقة نفسه وماله مقابل ثمن محدد معلوم، هو الجنة: وهو ثمن لا تعدله السلعة، ولكنه فضل الله ومَنَّه

والذين باعوا هذه البيعة، وعقدوا هذه الصفقة هم صفوة مختارة، ذات صفات مميزة، منها ما يختص بذوات أنفسهم في تعاملها المباشر مع الله في الشعور والشعائر؛ ومنها ما يختص بتكاليف هذه البيعة في أعناقهم من العمل خارج ذواتهم لتحقيق دين الله في الأرض من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام على حدود الله في أنفسهم وفي سواهم.(قطب:١٩٨٦، ج١٧١٤،١٧١٣،٣) .

والوفاء بالوعد والعهد يكون مع الله ومع الناس.فعلى المؤمن أن يستوعب حقيقة الابتلاء في حقيقتها القائمة على تكريس الأخلاق السامية والقيم الإنسانية، فالوفاء بالوعد والعهد هو قيمة أخلاقية لها أبعادها الإنسانية والدينية على المؤمن وعلى المجتمع، فكان الابتلاء تكريسا لهذا المفهوم قولا وعملا، ليدرك المؤمنون أهمية الالتزام والتحلي بخلق الوفاء بالوعد والعهد، والابتعاد عن الإخلاف بالوعد والعهد، فهذه القيمة الأخلاقية ثمرة الالتزام بها هو الجنة والفوز العظيم، والتخلي عنها ثمرته النار والعياذ بالله، ﴿**وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (التوبة: ١١١)

٦_ التحلي بخلق الجود والبذل والإيثار والكرم.

إن هذا الجود والبذل والإيثار كلها معاني لخلق وقيمة إنسانية واحدة، يقابلها الشح والبخل، وقيل: "إن الجود والسخاء والإيثار بمعنى واحد" (الأبشيهي،ب.ت،١٧٧) ، والإيثار كما فسره القرطبي رحمه الله هو: (هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنيوية رغبة في الحظوظ الدينية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبة والصبر على المشقة قال: آثرته بكذا أي خصصته به وفضلته) (القرطبي:١٩٨٨، ج١٨، ١٨)

قال ابن قدامة رحمه الله: الإيثار هو أن تجود بالمال مع الحاجة إليه.(ابن قدامة:١٩٩٩، ٢٢٦)

قال تعالى: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (الحشر:٩)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن أبي هريرة: أن رجلا من الأنصار بات به ضيف فلم يكن عنده إلا قوته وقوت صبيانه، فقال لامرأته: نومي الصبية، واطفئي السراج، وقربي للضيف ما عندك، فنزلت هذه الآية: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ (الترمذي ،ب.ت، ٤٠٩/٥، ح٣٣٠٤)

لقد جاءت التوجيهات القرآنية والنبوية للتحلي بالإيثار والجود والكرم كمنهج حياتي، لما فيه من صلاح الدنيا والآخرة، بنفس القدر كان التحذير الرباني والنبوي من البخل والشح بما يحمله من آثار مدمرة للمجتمع.

فقال تعالى: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ (آل عمران: ٩٢) ويقول عز وجل: (**هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ (محمد:٣٨)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه من الخيلاء" (الطبراني:١٩٩٥، ٣٢٨/٥، ح٥٤٥٢) كما قال أيضا: "لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدا" (البخاري: ١٩٨٧، ١٣/٦،ح٣١١٠)

ويظهر الإيثار والجود في مظاهر شتى من سلوك المسلم، فهو حين يلبي داعي الجهاد ويفارق الأهل والزوجة والديار والأولاد، ناشدا مرضاة الله في طلب الاستشهاد باذلا دمه رخيصا لرد عاديه عن أرض المسلمين أو الذود عن أموالهم، وأعراضهم فإنه يطبق معنى جليلا من معاني الإيثار...كذلك يبدو الإيثار في مجال الجود والكرم بالمال الذي هو صنو الروح، والذي قرنه الله تعالى مع الولد في أنه زينة الحياة الدنيا، فعندما يبذله المسلم ليقري ضيفا، ويؤويه فإنه بذلك يحقق مجالا من مجالات الإيثار.(قرعوش:١٩٩٩، ١٨٦، ١٨٧)

وتأتي الابتلاءات والمحن لتكشف عن هذا الخلق العظيم، وترتقي به إلى أعلى المراتب وتسمو بصاحبه إلى أعلى الدرجات وقد قال رسولنا الكريم: "السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار ولجاهل سخي أحب إلى الله عز وجل من عابد بخيل" (الترمذي،ب.ت، ٣٤٢/٤،ح١٩٦١) فالسخي هو الجواد والكريم الذي يبذل روحه وماله ونفسه وأعز ما يملك ابتغاء مرضات الله عز وجل، فكل ما لديه يهون ويسهل أمام مرضاة الله.

والابتلاءات هي القادرة على الكشف عن هذا الخلق النبيل والرفيع، هذا من جانب، ومن جانب آخر لتعزيز وتربية المؤمنين على هذا الخلق بإعدادهم الدائم له من خلال الابتلاءات والمحن والفتن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد امتلأ القرآن العظيم بقصص السابقين الذين آثروا مرضاة الله كقيمة دينية وأخلاقية على الدنيا وزخارفها كما قال تعالى: ﴿**فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى**﴾ (النازعات: ٣٧_ ٤١)

قوله:(وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) يقول: وآثر متاع الحياة الدنيا على كرامة الآخرة، وما أعدّ الله فيها لأوليائه، فعمل للدنيا، وسعى لها، وترك العمل للآخرة(**فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى**) يقول: فإن نار الله التي اسمها الجحيم، هي منزله ومأواه، ومصيره الذي يصير إليه يوم القيامة.(الطبري:٢٠٠٠، ج٢٤، ٢١٢)

وكل من آثر الحياة الدنيا، واختارها على الآخرة. فعمل لها وحدها، غير حاسب للآخرة حساباً. واعتبار الآخرة هو الذي يقيم الموازين في يد الإنسان وضميره. فإذا أهمل حساب الآخرة أو آثر عليها الدنيا اختلت كل الموازين في يده، واختلت كل القيم في تقديره، واختلت كل قواعد الشعور والسلوك في حياته، وعد طاغياً وباغياً ومتجاوزاً للمدى.(قطب: ١٩٨٦، ج٦،٣٨١٨) .

إن الإيثار بمفهومه العام والأشمل يعني إيثار الآخرة على الدنيا، والتي يندرج تحتها كل معاني الإيثار والجود في الحياة الدنيا، بدءا بالجود بالنفس من أجل مرضاة الله، وانتهاء بالجود بالمال وإنفاق المال والكرم مع الخلق والناس ابتغاء مرضاته تعالى.

يقابل هذا الإيثار بأرقى مفاهيمه إيثار الدنيا على الآخرة، بحيث يكون العمل من أجل الدنيا وحطامها وزينتها، ويندرج تحت هذا المفهوم، كل الشح والبخل بدءا بالتخلف عن التضحية والجهاد بالنفس من أجل الله، انتهاء بالبخل والشح مع الناس، فالحرص على الدنيا وحطامها هو المعيار الذي يحكم حياة أولئك الذين آثروا الحياة الدنيا على الآخرة.

ونرى مفهوم الإيثار بمفهومه الأعم والأشمل في قصة سحرة فرعون الذين تعرضوا لابتلاء عظيم خيروا فيه بين الدنيا والآخرة فآثروا الآخرة ورضوان الله فيقول تعالى: ﴿**فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧١) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧٣)** ﴾ (طه:٧٠_٧٣)

لقد أعلن السحرة الإيمان أمام الآية الواضحة التي رأوها أمامهم على يدي موسى عليه السلام، فكان التهديد والوعيد بالقتل بأعنف الوسائل والطرق، ابتلاء ما بعده ابتلاء، فإما أن يتراجع هؤلاء عن إيمانهم ويستسلموا أمام هذا القتل والظلم، وإما أن يواجهوا هذا الظلم والاستكبار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد جاء الخيار واضحا لا لبس فيه ولا غموض، جاء الانتصار العقائدي والروحي على كل هـذا الخوف والاستكبار والتهويل والترهيب، فقد تجلت قيمة الإيثار بمفهومها الأعلى على كل جواذب الدنيا وزينتها وحطامها و "هزأت القلوب المؤمنة بتهديد الطغيان الجائر، وواجهته بكلمة الإيمـان القوية. وباستعلاء الإيمان الواثق. وبتحذير الإيمان الناصع. وبرجاء الإيمان العميق... ومـضى هذا المشهد في تاريخ البشرية إعلاناً لحرية القلب البشري باستعلائه على قيود الأرض وسلطان الأرض، وعلى الطمع، في المثوبة والخوف من السلطان. وما يملك القلب البشري أن يجهر بهذا الإعلان القوي إلا في ظلال الإيمان... إنه مشهد انتصار الحق والإيمـان فـي واقـع الحيـاة المشهود، بعد انتصارهما في عالم الفكرة والعقيدة" (قطب: ١٩٨٦،ج٤، ٢٣٤٣، ٢٣٤٤)

ولقد تمثل الإيثار في أبهى صوره في الأنصار الذين مدحهم الله عز وجل في قرآنه العظيم قائلا: **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِـدُونَ فِـي صُـدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** (الحشر:٩)

وجاء في مسند أحمد: قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلا في كثير لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنا حتى لقد حسبنا أن يـذهبوا بالأجر كله قال: لا ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله عز وجل.(ابن حنبل،ب.ت، ٢٠٠/٣، ح١٣٠٩٧)

لقد أدرك الصحابة رضوان الله عليهم عظم ثواب هذا الإيثار حتى خافوا أن يـستحوذ الأنـصار على الأجر والثواب من خلال هذا الخلق العظيم وما تميزوا به من أثرة مدحها الله، حتى باتـت قرآنا يتلى في فضل الأنصار حتى قيام الساعة.

"و استشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وجماعة مـن بني المغيرة، فأتوا بماء وهم صرعى، فتدافعوه حتى ماتوا ولم يذوقوه، أتى عكرمة بالماء فنظـر إلى سهيل بن عمروينظر إليه، فقال: ابدأ بهذا ونظر سهيل إلى الحارث ينظر إليه، فقـال: ابـدأ بهذا، وكل منهم يؤثراللآخر على نفسه بالشربة، فماتوا كلهم قبل أن يشربوا، فمر خالد بن الوليـد فقال: بنفسي أنتم"(ابن قدامة: ١٩٩٩، ٢٢٦،٢٢٧)

هل هناك أعظم من هؤلاء المجاهدين الصادقين وهم يؤثرون على أنفسهم شربة ماء وأرواحهـم تصعد إلى بارئها!!! إنه الخلق العظيم وإيثار مرضاة الله على ما سواه.

وإذا كان الإيثار والجود بالنفس والروح، فهناك الجود بالمال الذي تتعلق به النفوس البشرية، قال تعالى: **﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد مـنكم جزاء ولا شكورا﴾** (الإنسان:٨، ٩)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله:(**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا**) يقول تعالى ذكره: كان هؤلاء الأبـــرار يطعمـــون الطعام على حبهم إياه، وشهوتهم له.(الطبري:٢٠٠٠، ج٢٤، ٩٦)

وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم:أن مسكينا سألها وهي صائمة وليس في بيتهـــا إلا رغيف فقالت لمولاة لها: أعطيه إياه فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه، فقالت: أعطيه إياه قالـــت: ففعلت، قالت: فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يهدي لنا شاة، فـــدعتني عائـــشة أم المؤمنين فقالت كلي من هذا، هذا خير من قرصك.(مالك،ب.ت، ٩٩٧/٢، ح١٨١٠)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشـــترى، إذا اقتـــضى، جوادا متساهلا يوافق على ما طلب منه" (البخاري: ١٩٨٧، ٧٣٠/٢، ح١٩٧٠)

وجاء في سنن البيهقي الكبرى: "مرض ابن عمر رضي الله عنه فاشتهى عنبـــا أول مـــا جـــاء العنب، فأرسلت صفية بدرهم، فاشترت عنقودا بدرهم، فاتبع الرسول السائل فلما أتى الباب دخل قال السائل: السائل، قال ابن عمر: أعطوه إياه فأعطوه إياه ثم أرسلت بدرهم آخر فاشـــترت بـــه عنقودا فاتبع الرسول السائل، فلما انتهى إلى الباب ودخل قال السائل: السائل، قال ابـــن عمـــر: أعطوه إياه فأعطوه إياه، وأرسلت صفية إلى السائل، فقالت: والله لئن عدت لا تصيبن مني خيرا أبدا، ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به" (البيهقي: ١٩٩٤ ،١٨٥/٤،ح٧٥٩٢)

إن هذه القيمة الأخلاقية لابد أن يتم التدرب والمران عليها، وكما قال الغزالي رحمه الله: الإنسان مجبول على حب المال والحرص على اقتنائه، يضرب في مناكب الأرض وللأثرة(الأنانية) في نفسه إيحاء شديد، أكثر تفكيره في نفسه وأقله في الآخرين.لو أنه أوتي ما في الأرض جميعا، بل لو أنه امتلك خزائن الرحمة العيا لما طوعت له نفسه أن تنفق منها بسعة، ولقامت له من طبيعته الضيقة عل شتى تضع في يديه الأغلال. ﴿**قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربـــي إذا لأمـــسكتم خشية الإنفاق، وكان الإنسان قتورا**﴾ (التغابن:١٦) .(الغزالي:١٩٨٠، ١١٨)

فالمحن والابتلاءات هي التي تكرس هذا المفهوم وهذه القيمة الإنسانية السامية، من خلال اليقـــين بالثواب العظيم الذي أعده الله للمؤمنين، وأن هذه الدنيا لا تساوي شيئا، وأنها إلى زوال ونهايـــة حتما، فيبقى الإيثار والجود والسخاء والكرم، أخلاقا ملازمة للمؤمنين الصادقين مهمـــا عظمـــت الابتلاءات، ومهما بلغت بهم المحن من فقر وضيق، و يبقى المؤمنون يمتثلون لأمر الله بالإيثـــار على أنفسهم طمعا في رضوان الله.

٧_ التحلي بالشجاعة في ميدان المعركة.

إن الإسلام العظيم جاء ليرفع كرامة الإنسان ويعلي من قيمته، فهـــذا الـــدين لا يقـــوم إلا علـــى الرجال الصادقين المخلصين الأقوياء، فقد حث الإسلام على أهمية أن يكون المؤمن قويا، ذا همة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عالية لا يخاف في الله لومة لائم، فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ**﴾ (الأنفال:٤٥) ويقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ (الأنفال:١٥_ ١٦)

إنه نداء وتوجيه رباني للمؤمنين بالقوة والشجاعة والعزيمة،وفي تفسير الآية الكريمة يقول صاحب الظلال: "يا أيها الذين آمنوا إذا واجهتم الذين كفروا **(زحفاً)** أي متدانين متقاربين متواجهين؛ فلا تفروا عنهم، إلا أن يكون ذلك مكيدة حرب، حيث تختارون موقعاً أحسن، أو تدبرون خطة أحكم؛ أو أن يكون ذلك انضماماً إلى فئة أخرى من المسلمين، أو إلى قواعد المسلمين، لتعاودوا القتال، وأن من تولى، وأعطى العدو دبره يوم الزحف فقد استحق ذلك العقاب: غضباً من الله ومأوى في جهنم" (قطب: ١٩٨٦، ج٣، ١٤٨٧)

وليس هناك أفضل من الابتلاءات والمحن التي تربي المؤمنين على الشجاعة والهمة العالية فقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ، الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**﴾ (آل عمران: ١٧٢، ١٧٣)

إنهم أولئك الذين دعاهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى الخروج معه كرة أخرى غداة المعركة المريرة. وهم مثخنون بالجراح، وهم ناجون بشق الأنفس من الموت أمس في المعركة، وهم لم ينسوا بعد هول الدعكة ومرارة الهزيمة وشدة الكرب، وقد فقدوا من أعزائهم من فقدوا فقل عددهم فوق ما هم مثخنون بالجراح!ولكن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – دعاهم، ودعاهم وحدهم، ولم يأذن لأحد تخلف عن الغزوة أن يخرج معهم - ليقويهم ويكثر عددهم كما كان يمكن أن يقال! - فاستجابوا، استجابوا لدعوة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهي دعوة الله - كما يقرر السياق وكما هي في حقيقتها وفي مفهومهم كذلك - فاستجابوا بهذا لله والرسول (من بعد ما أصابهم القرح) ونزل بهم الضر وأثخنتهم الجراح. لقد دعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ودعاهم وحدهم. وكانت هذه الدعوة وما تلاها من استجابة تحمل إيحاءات شتى، وتومىء إلى حقائق كبرى نشير إلى شيء منها:فلعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شاء ألا يكون آخر ما تنضم عليه جوانح المسلمين ومشاعرهم هو شعور الهزيمة وآلام البرح والقرح، فاستنهضهم لمتابعة قريش وتعقبها كي يقر في أخلادهم أنها تجربة وابتلاء وليست نهاية المطاف، وأنهم بعد ذلك أقوياء وأن خصومهم المنتصرين ضعفاء إنما هي واحدة وتمضي ولهم الكرة عليهم متى نفضوا عنهم الضعف والفشل واستجابوا لدعوة الله والرسول.(قطب:١٩٨٦، ج١، ٥١٣)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلقد جاء الإسلام ليدفع المؤمن ليكون قويا صاحب همة عالية، تلك الهمة العالية التي تحمل صاحبها على تناسي الآلام، والهدف الأسمى الذي يجعل صاحبه يتجشم الصعاب والمخاطر، فلا يتهيب صعود الجبال.(أبو فارس:١٩٨٧، ١٤٨)

وجاء في الحديث الشريف جاء: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفا يوم أحد فقال من يأخذ هذا السيف فأخذه قوم فجعلوا ينظرون إليه فقال من يأخذه بحقه فأحجم القوم فقال أبو دجانة سماك انا آخذ بحقه فأخذه ففلق هام المشركين.(ابن حنبل، ب.ت، ١٢٣/٣، ح١٢٢٥٧)

وفي هذا الحديث دلالة واضحة أنه يجوز للمسلم المقاتل أن يظهر قوته وشجاعته في ساحة المعركة أمام عدوه لإرهابه والتأثير على نفسيته القتالية، كما فعل أبو دجانة رضي الله عنه وأقره النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك.(أبو فارس: ١٩٨٧، ٦٦)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان.(مسلم،ب.ت، ٢٠٥٢/٤، ح٢٦٦٤)

وجاء في الحديث الشريف: فأما الخيلاء التي يحب الله فاختيال الرجل نفسه عند القتال. (أبو داود، ٥٧/٢، ح٢٦٥٩)

عن أنس رضي الله عنه قال:كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، قال: وقد فزع أهل المدينة ليلة سمعوا صوتاً قال: فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم على فرس لأبي طلحة عري وهو متلقد سيفه فقال: (لم تراعوا لم تراعوا) .(البخاري: ١٩٨٧، ١١٠٦/٣، ح٢٨٧٥)

وقصة أصحاب الأخدود خير شاهد على أثر الابتلاءات في النفس، فهذه الفئة المؤمنة التي آمنت بربها وصدقت في إيمانها لم ترهب من حفر الأخاديد، وهي تلقى في النار، وكما عبر عن ذلك المفكر سيد قطب رحمه الله: "لقد تحررت هذه القلوب من عبوديتها للحياة، فلم يستذلها حب البقاء، وهي تعاين الموت بهذه الطريقة البشعة، وانطلقت من قيود الأرض وجواذبها جميعا، وارتفعت على ذواتها بانتصار العقيدة على الحياة فيها" (قطب: ١٩٨٢، ١٨٩)

إن الابتلاءات هي بمثابة المران والإعداد التربوي للشجاعة والقوة، وشحذ الهمم العالية لترتقي بفعلها نحو مرضات الله، فتستعلي على الآلام والأحزان، وترتقي على الشهوات وجواذب الدنيا وحطامها الزائل، تلك النفوس التي تصقلها المحنة والابتلاءات هي القادرة على قيادة الأمة وتحقيق النصر، وهي التي يمكن أن تحفظ هذه الأمة من كيد المعتدين وظلم الظالمين وعلو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المستكبرين، وهي التي يمكن الله لها في الارض، بصدق إخلاصها وقوة عزائم رجالها الذين يبذلون أرواحهم ومهجهم ولا يخافون في الله لومة لائم.

ثانياً: الأبعاد الأخلاقية لسنة الابتلاء على صعيد الجماعة.

كما أن لسنة الابتلاء أبعادا أخلاقية على الصعيد الفردي، فهناك أيضا أبعاد على الصعيد الجماعي ومن أهم تلك الأبعاد:

١_ تحقيق الاستقامة على صعيد الجماعة.

إن الاستقامة هي الواقع الذي يريده الله للجماعة المؤمنة في حياتها الدنيا، لتحمل عبء الدعوة، وتمثل النموذج للأمم، وتكون حجة الله على الناس، كما قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾ (البقرة:١٤٣) الاستقامة في القول والممارسة.

يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ (فصلت:٣٠)

قوله تعالى: (**إِنَّ الذين قَالُواْ رَبُّنَا الله ثُمَّ استقاموا**) ليس المراد منه القول باللسان فقط لأن ذلك لا يفيد الاستقامة، فلما ذكر عقيب ذلك القول الاستقامة علمنا أن ذلك القول كان مقروناً باليقين التام والمعرفة الحقيقية، إذ عرفت هذا فنقول: في الاستقامة قولان أحدهما: أن المراد منه الاستقامة في الدين والتوحيد والمعرفة الثاني: أن المراد منه الاستقامة في الأعمال الصالحة أما على القول الأول ففيه عبارات: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ثم استقاموا أي لم يتلفتوا إلى إله غيره، قال ابن عباس في بعض الروايات هذه الآية نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، وذلك أن أبا بكر رضي الله عنه وقع في أنواع شديدة من البلاء والمحنة ولم يتغير ألبتة عن دينه، فكان هو الذي قال: (**رَبُّنَا الله**) وبقي مستقيماً عليه لم يتغير بسبب من الأسباب.(الرازي،ب.ت ج٢٧، ١٢١) الاستقامة عليها بحقها وحقيقتها. الاستقامة عليها شعوراً في الضمير، وسلوكاً في الحياة. الاستقامة عليها والصبر على تكاليفها. أمر ولا شك كبير. وعسير. ومن ثم يستحق عند الله هذا الإنعام الكبير. صحبة الملائكة، وولاءهم، ومودتهم. هذه التي تبدو فيما حكاه الله عنهم. وهم يقولون لأوليائهم المؤمنين: لا تخافوا، لا تحزنوا، أبشروا بالجنة التي كنتم توعدون، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ثم يصورون لهم الجنة التي يوعدون تصوير الصديق لصديقه ما يعلم أنه يسره علمه ورؤيته من حظه المرتقب: لكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ويزيدونها لهم جمالاً وكرامة: نزلاً من غفور رحيم. فهي من عند الله أنزلكم إياها بمغفرته ورحمته. فأي نعيم بعد هذا النعيم؟.(قطب: ١٩٨٦، ج٥، ٣١٢١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ (الأحقاف:١٣)

إن القيمة الحقيقية للاستقامة حين تترجم إلى أفعال وإلى واقع وسلوك في حياة المؤمنين فلا يكفي أن يدعيها أهل الإسلام كما قال تعالى: ﴿**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ (الحجرات:١٤)

قال تعالى في سورة هود:﴿ **فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ (هود:١١٢) وجاء في الحديث الشريف: "شيبتني هود" (الترمذي،ب.ت، ٤٠٢/٥، ح٣٢٩٧)

وروي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال سمعت أبا علي السري يقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت: يا رسول الله ! روي عنك أنك قلت: شيبتني هود فقال نعم فقلت له: ما الذي شيبك منها ؟ قصص الأنبياء وهلاك الأمم ! فقال: لا ولكن قوله: فاستقم كما أمرت. (القرطبي: ١٩٨٨، ج٩، ٧١)

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا أبدا. قال: قل آمنت ثم استقم. (مسلم،ب.ت، ٦٥/١، ح٣٨) .

ويقول تعالى: ﴿**وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا، لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا**﴾ (الجن: ١٦، ١٧)

فهناك ارتباط بين الاستقامة والنعمة والإغداق الإلهي على الأمم،وبين الانحراف والابتلاء، وقد ذكر صاحب الظلال في هذه الآية الكريمة: "والحقيقة الأولى هي: الارتباط بين استقامة الأمم والجماعات على الطريقة الواحدة الواصلة إلى الله، وبين إغداق الرخاء وأسبابه؛ وأول أسبابه توافر الماء واغدوداقه. وما تزال الحياة تجري على خطوات الماء في كل بقعة. وما يزال الرخاء يتبع هذه الخطوات المباركة حتى هذا العصر الذي انتشرت فيه الصناعة، ولم تعد الزراعة هي المصدر الوحيد للرزق والرخاء. ولكن الماء هو الماء في أهميته العمرانية، وهذا الارتباط بين الاستقامة على الطريقة وبين الرخاء والتمكين في الأرض حقيقة قائمة، وقد كان العرب في جوف الصحراء يعيشون في شظف، حتى استقاموا على الطريقة، ففتحت لهم الأرض التي يغدودق فيها الماء، وتتدفق فيها الأرزاق. ثم حادوا عن الطريقة فاستلبت منهم خيراتهم استلاباً. وما يزالون في نكد وشظف، حتى يفيئوا إلى الطريقة، فيتحقق فيهم وعد الله... فالإعراض عن ذكر الله، الذي قد تنتهي إليه فتنة الابتلاء بالرخاء، مؤد إلى عذاب الله" (قطب: ١٩٨٦، ج٦، ٣٧٣٤، ٣٧٣٥)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالاستقامة في هذه الحياة على جميع الصعد، وخاصة الأخلاقي، هو الكفيل بإغداق الله نعمه ورحماته على المؤمنين، وأي انحراف عن هذا المنهج يعرض الجماعة للابتلاء والفتن والمحن.

وقد يكون الدافع للجماعة المسلمة في سعيها لجلب المحن هو رياؤها وطلبها السمعة لنفسها عند الناس، وهذا الدافع للعمل_ الرياء وطلب السمعة_ داء قديم في الجماعات والأفراد ولكن ضرورة بالأفراد وبالجماعات الدنيوية.

إن الجماعة الإسلامية قامت على أساس المعاني الإسلامية وللدعوة إليها، فمن التناقض أن يكون الدافع لعملها هو ما حرمه الله، الرياء وطلب السمعة عند الناس، إنها تسعى لإعلاء كلمة الله بتطبيق شرعه ونصرة دينه، ابتغاء مرضاة الله وطاعته فيجب أن تنأى عن الرياء بأي شكل كان، وعليها أن تعلم أن خطر الرياء عظيم، وتأثيره في النفس كبير، فقد يحمل الرياء المرائي على أن يعرض نفسه للقتل حتى يقول الناس ولو بعد قتله: ما أشجعه وما أجرأه!.(زيدان:١٩٩٣، ١٠٥)

قال تعالى: ﴿ **وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا** ﴾ (الفرقان:٦٣) فوصفهم بالاستقامة في لفظاتهم وخطواتهم كما جمع بين اللحظات والخطرات فى قوله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.(ابن القيم،ب.ت، ١١٣)

فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء بالعهد، والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات فالاستقامة فيها: وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله. قال بعض العارفين: كن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطالبك بالاستقامة.(ابن القيم: ١٩٧٣، ج٢، ١٠٥)

إن طريق الجنة مليء بالأشواك والآلام والأحزان والدموع والابتلاءات، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة، فقال: انظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فجاءها ونظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، قال: فرجع إليه، قال: فوعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بها فحفت بالمكاره، فقال: ارجع إليها فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، قال: فرجع إليها فإذا هي قد حفت بالمكاره فرجع إليه، فقال: وعزتك لقد خفت أن لا يدخلها أحد ! قال: إذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضا، فرجع إليه، فقال: وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فحفت بالشهوات، فقال: ارجع إليها فرجع إليها، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها) (الترمذي،ب.ت،٦٩٣/٤، ح٢٥٦٠) فثمن هذه الجنة هي الاستقامة، ونحن نعيش هذا الواقع وهذه الحياة علينا أن ندرك أن ما تحتاجه الجماعة المؤمنة هو الاستقامة لكي تتغشانا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رحمة الله، ويأتينا التأييد الإلهي كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ (فصلت:٣٠) فالتأييد والدعم والمدد الإلهي لا يأتي إلا بالاستقامة على منهج الله، الذي جاء لسعادة البشرية بما يحمله من مخزون أخلاقي عظيم، يسمو بهذه الإنسانية ويرفعها من مستوى الحيوانية، وطالما أن هذه الحياة قائمة على الابتلاء كما قال تعالى: ﴿**الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾ (الملك:٢) فعلى الجماعة أن تستقيم لربها بأخلاقها ومعاملاتها وصدقها ووفائها لله رب العالمين.

٢_ تحقيق القدوة الحسنة والنموذج الصادق.

قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (آل عمران:١١٠)هذا ما ينبغي أن تدركه الأمة المسلمة، لتعرف حقيقتها وقيمتها، وتعرف أنها أخرجت لتكون طليعة، ولتكون لها القيادة، بما أنها خير أمة، والله يريد أن تكون القيادة للخير لا للشر في هذه الأرض، ومن ثم لا ينبغي لها أن تتلقى من غيرها من أمم الجاهلية، إنما ينبغي دائما أن تعطي هذه الأمم مما لديها، وأن يكون لديها دائما ما تعطيه، ما تعطيه من التصور الصحيح، والنظام الصحيح، والخلق الصحيح، والمعرفة الصحيحة، والعلم الصحيح، هذا واجبها الذي يحتمه عليها مكانها.(قطب: ١٩٨٦، ج١، ٤٤١).

إن هذه الأمة يجب عليها أن تكون نموذجا صادقا وخالصا للأمم في أخلاقها وفكرها ومنهجها المستمد من الله عز وجل، بحيث تمثل بأخلاقها ومنهجها قدوة وأسوة حسنة تقتدي بها الأمم، والأمة الإسلامية في هذا الزمن فقدت أهليتها لتكون النموذج الذي يحتذى به من خلال ذلك الضعف والابتعاد عن منهج الله القائم على الأخلاق.

وعلى الصعيد الأخلاقي لم يكن هناك أعظم من رسولنا الكريم الذي مثل أرقى النماذج الإنسانية والأخلاقية؛ ليكون الأسوة والقدوة الحسنة وفيه قال رب العزة: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا**﴾ (الأحزاب:٢١)

لقد كان لكم به اقتداء لو اقتديتم به في الصبر معه كما صبر يوم أحد حتى كسرت رباعيته وشج جبينه وقتل عمه وآساكم مع ذلك بنفسه.(ابن الجوزي: ١٩٨٤، ج٦، ٣٦٧)

لقد جاءت هذه الآية العظيمة في سورة الأحزاب في سياق الحديث عن معركة الأحزاب والابتلاء الذي تعرض له المؤمنون في تلك المعركة، فقال عز وجل: ﴿**إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ (الأحزاب: ١٠، ١١).

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم النموذج الذي يحتذى به في صبره، وجلده، وتحمله للمشاق، فكان يبعث الطمأنينة في قلوب المؤمنين في خضم المحنة والابتلاء، وهذا ما يجب أن يكون عليه المؤمن، وما يجب أن تكون عليه الجماعة المؤمنة، في التحمل والصبر على الآلام والجراح وهي تخوض غمار المحن والابتلاءات، لا تتراجع ولا تذل ولا تنكسر أمام هول الخطوب والأحداث، إنما تبقى ثابتة ثبوت الجبال لا تتزعزع ثقتها ويقينها وتوكلها على الله، وهي بذلك تقدم النموذج الحي على إيمانها بربها وصدق فكرها وسمو أخلاقها.

وعن تلك المعركة يتحدث صاحب الظلال معلقا على بعض مواقف النبي بقوله: "ولنا أن نتصور أية طاقة يطلقها هذا الجو في أرواحهم، وأي ينبوع يتفجر في كيانهم بالرضى والحماسة والثقة والاعتزاز.وكان زيد بن ثابت فيمن ينقل التراب. فقال صلى الله عليه وسلم: أما إنه نعم الغلام، وغلبته عيناه فنام في الخندق، وكان القر شديداً. فأخذ عمارة بن حزم سلاحه، وهو لا يشعر. فلما قام فزع. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أبا رقاد، نمت حتى ذهب سلاحك، ثم قال: من له علم بسلاح هذا الغلام؟ فقال عمارة: يا رسول الله هو عندي، فقال: فرده عليه . ونهى أن يروع المسلم ويؤخذ متاعه لاعباً! وهو حادث كذلك يصور يقظة العين والقلب، لكل من في الصف، صغيراً أو كبيراً. كما يصور روح الدعابة الحلوة الحانية الكريمة: يا أبا رقاد! نمت حتى ذهب سلاحك! ويصور في النهاية ذلك الجو الذي كان المسلمون يعيشون فيه في كنف نبيهم، في أحرج الظروف"(قطب:١٩٨٦، ج٥، ٢٨٤٢)

وقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية القدوة الحسنة في أكثر من موضع؛ لتحتذو الجماعة المؤمنة حذوها، ومن ثم تكون هي قدوة للأمم الأخرى، ومن اللافت أن هذه القدوة تأتي دائما في سياق الصراع بين الحق والباطل، وفي سياق المحن والابتلاءات؛ لتكرس مفهوم القدوة الحسنة، لكل الأمم، أن من يحمل هذا المنهج لديه من الإمكانات والطاقات والمؤهلات الأخلاقية والفكرية أن يكون بحق نموذجا يحتذى به، وبالتالي يصبح محط عيون الأمم، فيقول تعالى: ﴿**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**﴾ (الممتحنة:٤) ويقول في ذات السورة: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**) (الممتحنة: ٦) كما قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ**﴾ (الأنعام:٩٠)

هذه التوجيهات القرآنية تعكس أهمية القدوة والأسوة الحسنة في الدعوة لمنهج الله وأخلاق

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإسلام العظيم.وقد جاء في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم:"من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء" (مسلم،ب.ت ٢٠٥٨/٤، ح١٠١٧)

وتكمن أهمية وجود القدوة الحسنة في عدة أمور منها:

١_إن من طبيعة البشر وفطرتهم التي فطرهم الله عليها: أن يتأثروا بالمحاكاة والقدوة، أكثر مما يتأثرون بالقراءة والسماع، ولا سيما في الأمور العملية، ومواقف الشدة وغيرها... وهذا التأثير فطري لا شعوري في كثير من الأحيان

٢_إن أثر القدوة عام يشمل جميع الناس على مختلف مستوياتهم، حتى الأمي منهم، فبإمكان كل امرئ أن يحاكي فعل غيره، ويقلده ولو لم يفهمه ومن هنا: كان فضل الصحبة للصحابة الكرام -رضوان الله عليهم - لا يعدله شيء، وكان إنكار الله عظيمًا على من يخالف قوله عمله، قال تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتًا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾ (الصف: ٢، ٣) (موقع صيد الفوائد) .

إن الابتلاءات والمحن هي التي تفرز الرجال والنماذج الطاهرة والصادقة النقية المخلصة، والتي تبقى على امتداد التاريخ نماذج يضرب بها الأمثال، في صبرها وصمودها وتحليها بالأخلاق الكريمة.

٣_ نصرة المظلومين والمستضعفين.

يقول تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً**﴾ (النساء:٧٥)

(وما لَكُمْ لاَ تقاتلون) يدل على أن الجهاد واجب، ومعناه أنه لا عذر لكم في ترك المقاتلة وقد بلغ حال المستضعفين من الرجال والنساء والولدان من المسلمين إلى ما بلغ في الضعف، فهذا حث شديد على القتال، وبيان العلة التي لها صار القتال واجبا، وهو ما في القتال من تخليص هؤلاء المؤمنين من أيدي الكفرة، لأن هذا الجمع إلى الجهاد يجري مجرى فكاك الأسير.(الرازي،ب.ت، ج١٠، ١٨١) ويعلق صاحب الظلال على هذه الآية:"وكيف تقعدون عن القتال في سبيل الله؛ واستنقاذ هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان؟ هؤلاء الذين ترتسم صورهم في مشهد مثير لحمية المسلم، وكرامة المؤمن، ولعاطفة الرحمة الإنسانية على الإطلاق؟ هؤلاء الذين يعانون أشد المحنة والفتنة؛ لأنهم يعانون المحنة في عقيدتهم، والفتنة في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دينهم. والمحنة في العقيدة أشد من المحنة في المال والأرض والنفس والعرض، لأنها محنة في أخص خصائص الوجود الإنساني، الذي تتبعه كرامة النفس والعرض، وحق المال والأرض" (قطب: ١٩٨٦،ج٢، ٧٠٨)

لقد جاءت هذه الآية لترسم منهج الجماعة المسلمة في التضحية ومواجهة الابتلاءات والصعاب في طريقها، فهي تحمل أهدافا سامية في نصرة المظلومين والمستضعفين الذين يعيشون محنة الابتلاء من أجل عقيدتهم ودينهم.فقد جاءت الآية الكريمة في سياق أولئك الذين يبطئون في مسيرة الجهاد والعمل، تلك النفوس المريضة التي تريد أن تشكك في الأهداف والغايات التي انطلقت من أجلها الجماعة المؤمنة في الدعوة إلى الله ونصرة المظلومين والمستضعفين.

إن هذا الموقف الأخلاقي يمثل ثمرة أخلاق الجماعة في تعاطيها مع نصرة المظلومين، الذين يعيشون محنة الابتلاء من الظالمين والمستكبرين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" (مسلم،ب.ت، ٦٩/١، ح٤٩)

(رفض الظلم وعدم الاستكانة للظالم والانتصار منه، كل ذلك مما يجب أن يتربى عليه الفرد المسلم لأنه شيء ضروري لتكوين شخصيته الإسلامية ومن مقوماتها الأساسية ومن الصفات الأصيلة للمسلم) (زيدان: ١٩٩٢، ١٢٧)

يقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ**﴾ (الشورى:٣٩)

"وذكر هذه الصفة في القرآن المكي ذو دلالة خاصة كما سلف. فهي تقرير لصفة أساسية في الجماعة المسلمة. صفة الانتصار من البغي، وعدم الخضوع للظلم. وهذا طبيعي بالنسبة لجماعة أخرجت للناس لتكون خير أمة. لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتهيمن على حياة البشرية بالحق والعدل؛ وهي عزيزة بالله. ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾ (المنافقون: ٨) فمن طبيعة هذه الجماعة ووظيفتها أن تنتصر من البغي وأن تدفع العدوان" (قطب:،١٩٨٦،ج٥، ٣١٦٦)

وقد جاءت التوجيهات القرآنية تباعا تحث المؤمنين على النفير لنصرة الدين ونصرة الحق ونصرة المظلومين والمستضعفين فيقول تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ، إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ**﴾ (التوبة: ٣٨، ٣٩)

"إن النفرة للجهاد في سبيل الله انطلاق من قيد الأرض، وارتفاع على ثقلة اللحم والدم؛ وتحقيق للمعنى العلوي في الإنسان، وتغليب لعنصر الشوق المجنح في كيانه على عنصر القيد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والضرورة؛ وتطلع إلى الخلود الممتد، وخلاص من الفناء المحدود...وما يحجم ذوعقيدة في الله عن النفرة للجهاد في سبيله، إلا وفي هذه العقيدة دخل، وفي إيمان صاحبها بها وهن، لذلك يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم –: "من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من شعب النفاق" (مسلم،ب.ت، ١٥١٧/٣،ح١٩١٠) ....والعذاب الذي يهددهم ليس عذاب الآخرة وحده، فهو ذلك عذاب الدنيا. عذاب الذلة التي تصيب القاعدين عن الجهاد والكفاح، والغلبة عليهم للأعداء، والحرمان من الخيرات واستغلالها للمعادين؛ وهم مع ذلك كله يخسرون من النفوس والأموال أضعاف ما يخسرون في الكفاح والجهاد؛ ويقدمون على مذبح الذل أضعاف ما تتطلبه منهم الكرامة لو قدموا لها الفداء. وما من أمة تركت الجهاد إلا ضرب الله عليها الذل، فدفعت مرغمة صاغرة لأعدائها أضعاف ما كان يتطلبه منها كفاح الأعداء" (قطب: ١٩٨٦، ج٣، ١٦٥٥).

إن هذه القيمة الأخلاقية العظيمة يكرسها القرآن الكريم بحيث تصبح منهجا حياتيا وإنسانيا، يتمثل في الجماعة المؤمنة، وهي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، مرضاة لله رب العالمين، فلا تضعف عزائمها من المحن والابتلاءات، ولا يرهبها الظلم والظالمين، بل تسير في طريقها ودعوتها في التصدي للظالمين ورفع الظلم عن المستضعفين، وقد عبر عن هذا المفهوم في مواجهة الظالمين ربعي بن عامر رحمه الله، حينما ابتعث رسولا إلى قائد الفرس رستم فقال له: "الله ابتعثنا والله جاء بنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضي إلى موعود الله" (الطبري: ١٩٨٧،ج٢، ٤٠١)

فهذا الدين جاء لنصرة المظلومين ورفع الظلم عن البشرية، وهذه القيمة الأخلاقية يجب أن تكون مصداقا للجماعة المؤمنة في حركتها الدعوية نحو الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مهما كان حجم الألم والصعاب التي تتعرض لها الجماعة، وهي تحسم خياراتها لتكون خصما للظالم عونا وناصرا للمظلوم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الخامس

الأبعاد الاجتماعية لسنة الابتلاء

- مدخل

١. تحقيق العدالة الاجتماعية ومواجهة الظلم في المجتمع

٢. تحقيق الحرية للفرد والمجتمع

٣. ترسيخ ثقافة الشورى في المجتمع المسلم

٤. تحقيق المساواة في المجتمع

٥. تحقيق الأخوة في المجتمع

٦. تحقيق التعاون والتكافل الاجتماعي في المجتمع

٧. تحقيق التراحم في المجتمع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأبعاد الاجتماعية لسنة الابتلاء

مدخل:

إن الإسلام جاء ليرسم ملامح المجتمع وأخلاقه وعلاقاته، ويضع الضوابط للعلاقات الاجتماعية مع غيره من المجتمعات، محددا القاعدة التي ينطلق من خلالها المجتمع في تفاعل أفراده بعلاقاتهم الاجتماعية وعلاقات المجتمع بغيره فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ (الحجرات:١٣)

لقد جاءت القاعدة الأصيلة التي ينطلق المجتمع من خلالها واضحة وجلية، وهي قاعدة التقوى والإيمان بالله، فهي الضابط الحقيقي الذي يضبط هذه العلاقات.

"وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي. المجتمع الإنساني العالمي، الذي تحاول البشرية في خيالها المحلق أن تحقق لوناً من ألوانه فتخفق، لأنها لا تسلك إليه الطريق الواحد الواصل المستقيم، الطريق إلى الله،ولأنها لا تقف تحت الراية الواحدة المجمعة، راية الله" (قطب: ١٩٨٦، ج٦، ٣٣٤٨، ٣٣٤٩)

لقد جاء الإسلام ليرسي دعائم المجتمع المتماسك القوي المتحاب، فجاءت التوجيهات القرآنية والنبوية لترسم أمام هذا المجتمع طريق النجاة والصعود والارتقاء، وجاءت سنة الابتلاء لتشكل طريقا ودربا من دروب التربية الإلهية للمجتمع الإسلامي في علاقاته الداخلية والخارجية.

وقد ارتأى الباحث أن تكون الأبعاد الاجتماعية مقتصرة على الجماعة، لأن الأبعاد الاجتماعية تعني المجتمع كحالة جماعية وليست فردية.

ومن أهم هذه الأبعاد لسنة الابتلاء:

١_ تحقيق العدالة ومواجهة الظلم في المجتمع.

العدل في الإسلام له معاني عديدة؛ لأنه روح الأمة وسر سعادتها وسبب ازدهارها وتقدمها، وبدونه لا تكون للدولة معنى ولا للحياة في ظلها أي مبرر، فالعدل دائما يرشد إلى النهج القويم والصراط المستقيم، وجعل الله الغاية التي أرسل الرسل لتحقيقها هي العدل، ولقد أعلى الإسلام من قيمة العدل علواً كبيراً، فجعلها الهدف والغاية والوسيلة والطريق نحو بناء المجتمع المسلم والإنساني.(عبد الفتاح:٢٠٠١، ٧١، ٧٢)

قال تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ (الحديد:٢٥) إن هذه الآية الكريمة تعكس حقيقة ما جاء به الأنبياء؛ ليرتقوا بمجتمعاتهم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من حالة البهيمية بالعدل والقسط، فالقاعدة التي يقوم عليها الإسلام وكل الرسالات السماوية تقوم على العدل كقيمة تمثل حقيقة وجوهر هذا الدين.

فرسل الله جميعا جاؤوا بالبينات، وأنزل الله معهم الكتاب للهداية، وأنزل معهم ميزان العدل، ليقوم الناس بالقسط، ولما كانت الهداية وإقامة العدل بحاجة إلى قوة مادية تكبح عدوان أعدائهما ذكر الله الحديد، وأعطاه صفة أنه منزل من لدنه...وهكذا دلنا النص على أن الشرائع الربانية كلها قد جاء فيها التوجيه لاستخدام القوة المادية؛ لإقامة العدل، والجهاد في سبيل الله، بغية ردع الظالمين الآثمين المعتدين، الذين يظلمون الناس ويقاومون الحق، ويحمون أنفسهم بسلطان القوة المادية.(الميداني: ١٩٩٢، ٦٢٦، ٦٢٧)

يقول عز وجل: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ (النساء:٥٨)

يقول صاحب الظلال في تفسير هذه الآية الكريمة: "الحكم بالعدل بين الناس، فالنص يطلقه هكذا عدلاً شاملاً (بين الناس) جميعاً،لا عدلاً بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب، ولا عدلاً مع أهل الكتاب، دون سائر الناس، وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه(إنساناً) ، فهذه الصفة - صفة الناس - هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني. وهذه الصفة يلتقي عليها البشر جميعاً: مؤمنين وكفاراً، أصدقاء وأعداء، سوداً وبيضاً، عرباً وعجماً، والأمة المسلمة قيمة على الحكم بين الناس بالعدل - متى حكمت في أمرهم - هذا العدل الذي لم تعرفه البشرية قط - في هذه الصورة - إلا على يد الإسلام، وإلا في حكم المسلمين، وإلا في عهد القيادة الإسلامية للبشرية، والذي افتقدته من قبل ومن بعد هذه القيادة؛ فلم تذق له طعماً قط، في مثل هذه الصورة الكريمة التي تتاح للناس جميعاً، لأنهم (ناس) ! لا لأية صفة أخرى زائدة عن هذا الأصل الذي يشترك فيه الناس" (قطب: ١٩٨٦، ج٢، ٦٨٩) فأصل كل خير: هو العلم والعدل وأصل كل شر: هو الجهل والظلم(ابن القيم: ١٩٧٥، ج٢، ١٣٧)

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ (النحل:٩٠) لقد جاءت الآيات الكريمة صريحة في الأمر بالعدل وتحريم الظلم وقد علق على ذلك ابن تيمية رحمه الله: "ولهذا كان العدل أمراً واجباً في كل شيء، وعلى كل أحد، والظلم محرماً في كل شيء ولكل أحد، فلا يحل ظلم أحد أصلاً سواء كان مسلماً أو كافراً او كان ظالماً قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ (المائدة:٨) ومعنى شنآن قوم أي بغض قوم وهم الكفار على عدم العدل" (ابن تيمية: ١٣٨٦، ج١، ٨٩)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كذلك كانت التوجيهات النبوية للحث على العدل، وإرساء هذه القيمة الإنسانية الاجتماعية، والتي تمثل عماد المجتمع والحفاظ على كينونته وإنسانيته ومن هذه الأحاديث: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم منه مجلسا إمام عادل وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم منه مجلسا إمام جائر.(الترمذي،ب.ت، ٦١٧/٣، ح١٣٢٩)

كما قال النبي المعلم: إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا.(مسلم،ب.ت ١٤٥٨/٣،ح١٨٢٧)

وفي التوجيه النبوي لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن قال له: إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب. (البخاري:١٩٨٧، ١٥٨٠/٤،ح٤٠٩٠)

لقد نادى الإسلام بعدالة اجتماعية واسعة المفهوم متعددة الأوجه؛ لحفظ كرامة المسلم، فالعدالة في الإسلام، وقبل كل شيء عدالة إنسانية شاملة لكل جوانب الحياة الإنسانية ومقوماتها، وليست مجرد عدالة اقتصادية محدودة، وهي إذن تتناول جميع مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها، كما تتناول الشعور والسلوك والضمائر والوجدانيات والقيم التي تتناولها هذه العدالة: فليست القيم الاقتصادية وحدها وليست القيم المادية على وجه العموم، وإنما هي ممتزجة بها القيم المعنوية والروحية.(قطب:١٩٧٤، ٢٨)

وفي مقابل العدل الظلم الاجتماعي الذي حرمه رب العالمين عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا.(مسلم،ب.ت، ١٩٩٤/٤، ح٢٥٧٧)

فمن طبيعة الإنسان الظلم وكفره بنعم الله وجحوده بها، وكثرة شكواه وجزعه عندما تصيبه الشدائد، قال تعالى: ﴿**وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾ (إبراهيم: ٣٤) (الحزيمي:٢٠٠٥، ج٣، ١١٧٦)

وإقامة العدالة الاجتماعية لا يمكن أن يقوم بها إلا من عاش واقع الظلم والمحن، فتأتي الابتلاءات في سياق تربية الجماعة المؤمنة لإدراك قيمة العدالة في حياة المجتمع وتحقيقها مهما بلغت التضحيات."ولا يدرك فداحة الظلم إلا من عانى منه، ولابد للمصلحين من خوض غمار معاناة الناس حتى يدركوا مشاكلهم ويسعوا إلى إنقاذهم" (لحام: ٢٠٠١، ٥٦)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد جاءت كلمات ربعي بن عامر تعبيرا عن منهج العدل وقيمته، وجوهر هذا الدين وغايته بقوله لقائد الفرس: "الله ابتعثنا والله جاء بنا؛ لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه؛ لندعوهم إليه فمن قبل منا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه يليها دوننا ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله" (الطبري: ١٩٨٧،ج٢، ٤٠١)

ويقول تعالى: ﴿**ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ**﴾ (محمد:٤)

ولو يشاء ربكم، ويريد لانتصر من هؤلاء المشركين الذين بين هذا الحكم فيهم بعقوبة منه لهم عاجلة، وكفاكم ذلك كله، ولكنه تعالى ذكره كره الانتصار منهم، وعقوبتهم عاجلاً إلا بأيديكم أيها المؤمنون(**لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ**) يقول: ليختبركم بهم، فيعلم المجاهدين منكم والصابرين، ويبلوهم بكم، فيعاقب بأيديكم من شاء منهم، ويتعظ من شاء منهم بمن أهلك بأيديكم من شاء منهم حتى ينيب إلى الحق. (الطبري:٢٠٠٠، ج٢٢، ١٥٨)

ويعلق صاحب الظلال على هذه الآية معبرا عن حقيقة الابتلاء في تحقيق العدالة بقوله: "ولو شاء الله لانتصر من الكافرين جهرة، كما انتصر من بعضهم بالطوفان والصيحة والريح العقيم، بل لانتصر منهم من غير هذه الأسباب كلها، ولكنه إنما يريد لعباده المؤمنين الخير، وهو يبتليهم، ويربيهم، ويصلحهم، وييسر لهم أسباب الحسنات الكبار،يريد ليبتليهم. وفي هذا الابتلاء يستجيش في نفوس المؤمنين أكرم ما في النفس البشرية من طاقات واتجاهات، فليس أكرم في النفس من أن يعز عليها الحق الذي تؤمن به، حتى تجاهد في سبيله، فتقتل وتقتل، ولا تسلم في هذا الحق الذي تعيش له وبه، ولا تستطيع الحياة بدونه، ولا تحب هذه الحياة في غير ظله،ويريد ليربيهم. فيظل يخرج من نفوسهم كل هوى وكل رغبة في أعراض هذه الأرض الفانية مما يعز عليهم أن يتخلوا عنه. ويظل يقوي في نفوسهم كل ضعف ويكمل كل نقص... ويعلم الله من هذه النفوس أنها خيرت فاختارت، وأنها تربت فعرفت، وأنها لا تندفع بلا وعي، ولكنها تقدر وتختار... ثم هي الأسباب الظاهرة لإصلاح الجماعة البشرية كلها، عن طريق قيادتها بأيدي المجاهدين الذين فرغت نفوسهم من كل أعراض الدنيا وكل زخارفها؛ وهانت عليهم الحياة وهم يخوضون غمار الموت في سبيل الله، ولم يعد في قلوبهم ما يشغلهم عن الله والتطلع إلى رضاه، وحين تكون القيادة في مثل هذه الأيدي تصلح الأرض كلها ويصلح العباد" (قطب: ١٩٨٦، ج٦، ٣٢٨٦)

إن الابتلاءات تأتي في سياق تحقيق العدل في المجتمع ودفع الظلم والظالمين، فعلى الجماعة المؤمنة أن تصبر وتتحمل الآلام والجراح؛ لتحقق العدل في المجتمع، كما أن انصهار الجماعة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في بوتقة الابتلاء والمحن من قبل الظالمين والمستكبرين؛ يولد لديها الإدارك الكامل بأهمية العدالة في المجتمع والتي يقوم عليها أي بنيان اجتماعي، وبدونه تفقد الحياة قيمتها الحقيقية.لقد جاء الإسلام العظيم ليؤسس للعدل في كل مناحي الحياة، وتعرض المؤمنين للظلم والابتلاءات هو بمثابة التربية الربانية الواقعية للمؤمنين ليحملوا راية التغيير بتحقيق العدل، كما عبر عنها ربعي بن عامر وهو يواجه قائد الفرس، ويرسم قاعدة هذه الدين العادل.

والأمة الإسلامية اليوم من أعظم مصائبها افتقادها للعدالة الاجتماعية في مناحي حياتها، السياسية والمعاملاتية، وليس بمقدور أحد أن يغير هذا الواقع الظالم إلا من حمل هذا المنهج الإسلامي وتجرع الألم والمرار، وخاض الابتلاءات تلو الابتلاءات في بحر الظلم العاتي من قبل مجرمي وظالمي هذا العصر.

٢_ تحقيق الحرية للفرد والمجتمع.

الحرية قيمة أساسية في الفكر الإسلامي وفي الحياة الإسلامية وفي القيم الإسلامية السياسية والاجتماعية... فالحرية هي أساس أي وجود إنساني، وسلب الحرية هو سلب للإنسانية، لأن الله خلق سيدنا آدم على الفطرة وفطرة الحرية، حرية الطاعة والمعصية، ليبقى مسؤولا عن اختياره، فآدم قد عبد ربه مختارا وأكل من الشجرة المحرمة مختارا، ولذلك فوجوده الإنساني مرهون بتلك الحرية التي منحه الله إياها.(عبد الفتاح: ٢٠٠١، ١٠٦) فقال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ (الشمس:٧ _ ١٠)

والصراع بين الحرية والعبودية صراع قديم في تاريخ الإنسانية، بل هو يكاد يكون أول صراع على وجه الأرض عرفه الإنسان، فمن أجل الحرية خاضت الشعوب معارك لا عداد لها،وفي سبيل الحرية تدفع الشعوب طائعة راضية أكرم شهدائها وأنفس أموالها، وأجمل مدنها وبيوتها، بل في سبيل الحرية تعرضت كثير من الأمم للشقاء أجيالا وأجيالا، ويكاد يكون تاريخ الإنسان سلسلة من المآسي والحروب، كلها تبدأ من الكفاح في سبيل الحرية.(السباعي: ١٩٩٩، ٩٧)

لقد جاء الإسلام ليحرر الإنسان والمجتمع من رق العبودية لغيره، ويطلق هذه الروح من قيودها ويعتقها لتنطلق في ميادين المعرفة والحرية الرحبة، فتدرك غاية وجودها فترتقي بإنسانتيها التي أكرمها الله، فجاء قول الله عز وجل: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**﴾ (الأنفال: ٢٤).

إنها الحياة الحقيقية في ظل الحرية التي يمنحها الإسلام لهذا الإنسان الذي أكرمه الله وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا، حياة بعيدة عن ذل العبودية التي يفرضها المستكبرون على المستضعفين، حياة تستعلي على قيود وأغلال النفس التي تتعلق بجواذب الأرض. فكانت دعوة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ما يحييهم، إنها دعوة إلى الحياة بكل صور الحياة، وبكل معاني الحياة..إنه يدعوهم إلى عقيدة تحيي القلوب والعقول، وتطلقها من أوهام الجهل والخرافة، ومن ضغط الوهم والأسطورة، ومن الخضوع المذل للأسباب الظاهرة والحتميات القاهرة، ومن العبودية لغير الله والمذلة للعبد أو للشهوات سواء،ويدعوهم إلى شريعة من عند الله؛ تعلن تحرر (الإنسان) وتكريمه بصدورها عن الله وحده، ووقوف البشر كلهم صفا متساوين في مواجهتها؛ لا يتحكم فرد في شعب، ولا طبقة في أمة، ولا جنس في جنس، ولا قوم في قوم، ولكنهم ينطلقون كلهم أحراراً متساوين في ظل شريعة صاحبها الله رب العباد،ويدعوهم إلى منهج للحياة، ومنهج للفكر، ومنهج للتصور؛ يطلقهم من كل قيد إلا ضوابط الفطرة، المتمثلة في الضوابط التي وضعها خالق الإنسان، العليم بما خلق؛ هذه الضوابط التي تصون الطاقة البانية من التبدد، ولا تكبت هذه الطاقة ولا تحطمها ولا تكفها عن النشاط الإيجابي البناء،ويدعوهم إلى القوة والعزة والاستعلاء بعقيدتهم ومنهجهم، والثقة بدينهم وبربهم، والانطلاق في (الأرض) كلها لتحرير (الإنسان) بجملته، وإخراجه من عبودية العباد إلى عبودية الله وحده، وتحقيق إنسانيته العليا التي وهبها له الله، فاستلبها منه الطغاة.(قطب: ١٩٨٦، ج٣، ١٤٩٤)

إن الابتلاء يأتي في سياق تحقيق الحرية للمجتمع والفرد، فلا يمكن أن تحقق الحرية بدون المرور بمرحلة الابتلاء، فحين جاء الإسلام ليحرر المجتمع من قيود الجاهلية، ومن استعباد الناس لبعضهم البعض، خاض النبي والمؤمنون الابتلاء تلو الابتلاء.

إن سلب الحرية والنضال من أجل تحقيقها ليس بالأمر الهين، فديدن الظلمة والمستكبرين لتحقيق أهدافهم، هو سلب حرية المجتمع وكل من يحاول أن يقف في وجه الظلم، سواء بالحصار، أو السجن والاعتقال،وفي التاريخ مشهدان يوضحان المنهج الإسلامي في التعاطي مع الحرية ومنهج الظالمين.أما الأول: فهو حصار المشركين للمؤمنين في شعب أبي طالب، حيث يقول ابن سعد في طبقاته واصفا هذا الحصار: "أجمع المشركون على قتل رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكتبوا كتاباً على بني هاشم ألا يناكحوهم، ولا يبايعوهم، ولا يخالطوهم... وحصروا بني هاشم في شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع من حين تنبىء رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وانحاز بنو المطلب بن عبد مناف إلى أبي طالب في شعبة مع بني هاشم، وخرج أبو لهب إلى قريش فظاهرهم على بني هاشم وبني المطلب، وقطعوا عنهم الميرة والمادة، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغهم الجهد وسمع أصوات صبيانهم من وراء الشعب، فمن قريش من سره ذلك ومنهم من ساءه وقال: أنظروا ما أصاب منصور بن عكرمة، فأقاموا في الشعب ثلاث سنين، ثم أطلع الله رسوله على أمر صحيفتهم وأن الأرضة قد أكلت ما كان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيها من جور وظلم وبقي ما كان فيها من ذكر الله عز وجل" (ابن سعد: ١٩٦٨، ج١، ٢٠٩)

هذا الحصار الظالم، كان يمثل منهج ومنطق الظالمين في التعامل مع أهل الحق ومع المؤمنين على مدار التاريخ، وقد قال تعالى: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ (الأنفال:٣٠)

(ليثبتوك) ليسجنوك أو يوثقوك أو يثخنوك بالضرب والجرح.(الزمخشري،ب.ت، ج٢، ١٢٣)

فقد كان الخيار الأول الذي تم تداوله بين رؤوس الكفر هو سلب حرية رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحركة والدعوة إلى الله، إلا أن نصر الله وحفظه لنبيه منعهم من تنفيذ كل مآربهم.أما الثاني: فهو محنة سيدنا يوسف عليه السلام. قال تعالى: ﴿**قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ، قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ (يوسف: ٣٢، ٣٣)

لقد جاءت هذه الحادثة، لترسم منهجاً جديداً في مفهوم الحرية، حتى لو كان الإنسان في السجن وفي الحصار، فلابد أن تكون روحه هي المتحررة، لابد أن يعيش حالة الحرية في ذاته وفي قلبه، فقد جاء دعاء سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**﴾ (يوسف: ٣٣) وهي دعوة الإنسان العارف ببشريته. الذي لا يغتر بعصمته؛ فيريد مزيداً من عناية الله وحياطته، يعاونه على ما يعترضه من فتنة وكيد وإغراء(قطب: ١٩٨٦، ج٤، ١٩٨٥)

"وإذا تتبعنا تاريخ الإنسانية وجدنا ضروبا من الحرمان عرفها الإنسان من حرياته، فحرية الاعتقاد التي جاهد من أجلها جميع الأنبياء والرسل وما بذل من أجلها من حبر وعرق ودم لأقوى دليل على البعد العقائدي للحرية، وإن المعاناة التي عاناها الأنبياء والرسل وأتباعهم من مغتصبي حرية الاعتقاد ليندى له جبين الإنسانية" (مدني، ب، ت، ٣٦)

إن سلب الحرية المتمثل في الحصار والسجن والضغط، التي تتعرض لها الجماعة المؤمنة، يمثل الشكل الحقيقي لمنهج الظالمين على امتداد التاريخ، لذلك جاء الإسلام ليؤسس لمنهج الحرية في النفوس، لتصبح واقعا حقيقيا في المجتمع والأفراد، وتأهيل الجماعة المؤمنة هو من الأهمية القصوى، لتستطيع أن تستوعب حقيقة الحرية كمنهج حياة، فالابتلاءات تعزز منهج الحرية كثورة على النفوس التي قد تذل لغير الله، وثورة في وجه الظلمة والمستبدين، فحين يمكن الله للجماعة المؤمنة تحقق هذه الجماعة الحرية للمجتمع على الصعيد الفكري والتعبدي، أم على الصعيد الشخصي، بما يضمن سلامة المجتمع ودون التعدي على حقوق الآخرين كما قال تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ (البقرة: ٢٥٦)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان؛ واحترام إرادته وفكره ومشاعره؛ وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه، وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني، التحرر الذي تنكره على الإنسان في القرن العشرين مذاهب معتسفة ونظم مذلة؛ لا تسمح لهذا الكائن الذي كرمه الله - باختياره لعقيدته - أن ينطوي ضميره على تصور للحياة ونظمها غير ما تمليه عليه الدولة بشتى أجهزتها التوجيهية، وما تمليه عليه بعد ذلك بقوانينها وأوضاعها؛ فإما أن يعتنق مذهب الدولة هذا، وهو يحرمه من الإيمان باله للكون يصرف هذا الكون، وإما أن يتعرض للموت بشتى الوسائل والأسباب!إن حرية الاعتقاد هي أول حقوق (الإنسان) التي يثبت له بها وصف (إنسان) ، فالذي يسلب إنساناً حرية الاعتقاد، إنما يسلبه إنسانيته ابتداء، ومع حرية الاعتقاد حرية الدعوة للعقيدة، والأمن من الأذى والفتنة، وإلا فهي حرية بالاسم لا مدلول لها في واقع الحياة.والإسلام - وهو أرقى تصور للوجود وللحياة، وأقوم منهج للمجتمع الإنساني بلا مراء - هو الذي ينادي بأن لا إكراه في الدين، وهو الذي يبين لأصحابه قبل سواهم أنهم ممنوعون من إكراه الناس على هذا الدين.(قطب: ١٩٨٦، ج١، ٢٨٥)

ويعلق في النهاية صاحب الظلال على هذا المنهج الإسلامي في التأصيل للحرية بقوله:

"هذه هي قاعدة النظام الرباني الذي جاء به الإسلام، وعلى هذه القاعدة يقوم نظام أخلاقي نظيف تكفل فيه الحرية لكل إنسان، حتى لمن لا يعتنق عقيدة الإسلام، وتصان فيه حرمات كل أحد حتى الذين لا يعتنقون الإسلام، وتحفظ فيه حقوق كل مواطن في الوطن الإسلامي أيا كانت عقيدته ولا يكره فيه أحد على اعتناق عقيدة الإسلام، ولا إكراه فيه على الدين إنما هو البلاغ، جاهد الإسلام ليقيم هذا النظام الرفيع في الأرض ويقرره ويحميه. وكان من حقه أن يجاهد ليحطم النظم الباغية التي تقوم على عبودية البشر للبشر، والتي يدعي فيها العبيد مقام الألوهية ويزاولون فيها وظيفة الألوهية - بغير حق - ولم يكن بد أن تقاومه تلك النظم الباغية في الأرض كلها وتناصبه العداء، ولم يكن بد كذلك أن يسحقها الإسلام سحقاً ليعلن نظامه الرفيع في الأرض، ثم يدع الناس في ظله أحراراً في عقائدهم الخاصة. لا يلزمهم إلا بالطاعة لشرائعه الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والدولية، أما عقيدة القلب فهم فيها أحرار. وأما أحوالهم الشخصية فهم فيها أحرار، يزاولونها وفق عقائدهم، والإسلام يقوم عليهم يحميهم ويحمي حريتهم في العقيدة ويكفل لهم حقوقهم، ويصون لهم حرماتهم، في حدود ذلك النظام. وما يزال هذا الجهاد لإقامة هذا النظام الرفيع مفروضاً على المسلمين، ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾ (البقرة:١٩٣) فلا تكون هناك ألوهية للعبيد في الأرض، ولا دينونة لغير الله" (قطب: ١٩٨٦، ج١، ٢٨٩)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعلى الرغم من اتساع مفهوم الحرية الذي لا يتسع المقام للحديث عنه، لكن يكفي أن نـــدرك أن الإسلام جاء مؤسسا لمنهج الحرية بمفهومه الشامل والكامل، للمجتمع والفرد على حد سواء، وما خاض المسلمون حروبهم وجهادهم إلا من أجل هذه الحرية التي منحها الله للإنسان.

وفي هذا العصر أصعب ما تواجهه الحركات الإسلامية في العالم الإسلامي هو انعدام الحريات، ومحاصرة الحركات الإسلامية.

في جو الحرية تظهر الأفكار في النور، فيمكن لأهل العلم مناقشتها، وتسليط أضواء النقد عليهـــا، فتثبت وتقوى، أو تختفي وتذهب، أو تعدل وتهذب، بدل أن تظل في ظلام الـــسراديب التحتيـــة، تلقن بلا مناقشة، وتطرح بلا معارضة، وتتفاقم وتستفحل يوما بعد يوم، حتى يفاجأ النـــاس بهـــا، وقد شبت عن الطوق، ولم يشهدوا قبل ذلك ولادتها ولا ميلادها.(القرضاوي: ١٤٠٢، ١٤٤)

"إن المناخ الديمقراطي هو أنسب الأجواء للحركة الإسلامية، ومن خلالها قد نجـــد مـــثلا نـــواب المجلس يحولون دون تشريع يبرر حظر الحركة الإسلامية، بل يقوم هؤلاء النواب بسن قـــوانين تضمن حمايتهم، ومثل هذه الظروف تستغلها الحركة الإسلامية ولا تفرط فيها، وتعمـــل دعـــوة وجهادا من خلالها. لكن يجب أن لا يغيب عن بال الحركة الإسلامية أبدا أن المناخ الـــديمقراطي حين لا يعدو أحياناً اللفظ والادعاء، لا يجدي عليها شيئا، بل باسمه يمكن أن تباد ويقضى عليها" (الغضبان: ١٩٩٠، ج١، ١١٦)

ومن خلال الابتلاءات في سلب الحريات تدرك الجماعة المؤمنة كآمرة بالمعروف وناهيـــة عـــن المنكر، عظم تحقيقها في المجتمع، ومواجهة الظلم.

٣_ ترسيخ ثقافة الشورى في المجتمع المسلم.

الشورى هي استطلاع الرأي من ذوي الخبرة فيه للتوصل إلى أقـــرب الأمـــور للحـــق.(عبـــد الفتاح:٢٠٠١، ١٣٠) فقد جاءت التوجيهات القرآنية لإتباع منهج الشورى فـــي واقـــع المجتمـــع الإسلامي وترسيخه في نظام الحكم، فقد جاءت سورة كاملة تحمل اسم الشورى، دلالـــة ربانيـــة على عظم هذا المفهوم في حياة الأمة، فقال تعالى في سورة الشورى: ﴿**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِـــرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ (الشورى: ٣٨)

وفي موقع آخر قال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْـــبِ لَانْفَـــضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّـــهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ (آل عمران:١٥٩) وقد نزلت الآية عقب غزوة أحد التي أصـــاب المـــسلمون فيها ما أصابوا نتيجة الشورى التي نزل الرسول صلى الله عليه وسلم عن رأيه نتيجة المـــشاورة ومع ذلك أمره الله بعد هذه الأحداث بأن يستغفر لأصحابه وبأن يشاورهم في كل ما يحتاج إلـــى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مشورة، ويتضح من هذه الآيات أن الشورى قلب النظام السياسي الإسلامي، ولقد نزلت آيتي الشورى ولم يكن في الناس أحد من الموافقين أو المخالفين يطالب بالشورى أو يتحدث عنها أو يشكون فقدانها، وإنما جاء التنزيل العزيز بهذا الأمر لأن المجتمع الذي يراد له الاستقرار والاستمرار ينبغي أن يقوم على الشورى، فالشورى في الإسلام كانت نتيجة حكم إلهي، وكانت تهدف إلى إنشاء المجتمع الصالح المستقر وبنائه وإرساء قواعده الثابتة التي لا تتزعزع.(عبد الفتاح:٢٠٠١، ١٣٠)

لقد جاء الابتلاء يوم أحد درسا جديدا ليرسخ مفهوم الشورى ببعده الاجتماعي وبما يحمله من مضامين اجتماعية وإنسانية تؤثر على المجتمع الإسلامي، فلقد كان خروج المسلمين في هذه المعركة بعد المشاورة، والتي كانت نهاية هذه المعركة هي استشهاد عشرات المسلمين، بعد أن خالفوا أمر نبيهم ولم يثبتوا في المعركة، وعلى الرغم مما حملته غزوة أحد من دروس قاسية إلا أن التوجيهات القرآنية في التعقيب على هذه الغزوة جاءت لتعزز وتكرس منهج الشورى كقاعدة أصيلة في المجتمع الإسلامي.

ويعلق صاحب الظلال على هذا الأمر بقوله: "ولقد كان من حق القيادة النبوية أن تنبذ مبدأ الشورى كله بعد المعركة، أمام ما أحدثته من انقسام في الصفوف في أحرج الظروف، وأمام النتائج المريرة التي انتهت إليها المعركة! ولكن الإسلام كان ينشىء أمة ويربيها ويعدها لقيادة البشرية، وكان الله يعلم أن خير وسيلة لتربية الأمم وإعدادها للقيادة الرشيدة أن تربى بالشورى؛ وأن تدرب على حمل التبعة وأن تخطىء - مهما يكن الخطأ جسيماً وذا نتائج مريرة - لتعرف كيف تصحح خطأها وكيف تحتمل تبعات رأيها وتصرفها، فهي لا تتعلم الصواب إلا إذا زاولت، والخسائر لا تهم إذا كانت الحصيلة هي إنشاء الأمة المدربة المدركة المقدرة للتبعة، واختصار الأخطاء والعثرات والخسائر في حياة الأمة ليس فيها شيء من الكسب لها إذا كانت نتيجته أن تظل هذه الأمة قاصرة كالطفل تحت الوصاية، إنها في هذه الحالة تتقي خسائر مادية وتحقق مكاسب مادية. ولكنها تخسر نفسها وتخسر وجودها وتخسر تربيتها وتخسر تدريبها على الحياة الواقعية، كالطفل الذي يمنع من مزاولة المشي - مثلاً - لتوفير العثرات والخبطات، أو توفير الحذاء! كان الإسلام ينشىء أمة ويربيها ويعدها للقيادة الراشدة، فلم يكن بد أن يحقق لهذه الأمة رشدها ويرفع عنها الوصاية في حركات حياتها العملية الواقعية كي تدرب عليها في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم – وبإشرافه" (قطب: ١٩٨٦، ج١، ٤٩٥، ٤٩٦)

إن الشورى هي سنة من سنن الاجتماع، وقاعدة هامة للحكم الراشد والسياسة العلمية الحكيمة، ولا يزال المجتمع في تماسك وحماس ما دام يحس أن القرار قراره فهو ملتزم به وراض عنه،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولهذا نجد التوجيه الإلهي بعد المعركة يؤكد على الشورى ويأمر بها، وحتى لا يظن أحد أن الشورى كانت سبب الهزيمة.(لحام: ٢٠٠١، ٢٤٤)

وأمر الأمة اليوم بين أيدي حكام الجبر وهؤلاء يحكمون استبدادا وتعسفا وظلما وأثرة، فلا يمكن أن تحل الجماعة المؤمنة مشاكل الأمة في الحكم والاقتصاد وسائر الميادين بإحلال استبداد مكان استبداد، وظلم مكان ظلم، فمن بدء تنظيم الدعوة يجب أن يكون الأمر شورى بين المؤمنين طاعة لله عز وجل، واستعدادا ليوم يتسلم فيه المؤمنون مقاليد.(ياسين: ١٩٩٥، ٩٤، ٩٥)

فنزول آية الشورى في الفترة المكية له دلالاته التربوية الكبيرة، فكانت هذه الفترة الزمنية فترة ابتلاء واختبار وامتحان وإعداد للجماعة المؤمنة لتأهيلها في دورها الريادي والقيادي، فالمحن والابتلاءات تعزز التعاضدد والتشاور في التعاطي مع القضايا المصيرية وتحمل أعباء ونتائج هذه القرارات، فلا يحق للقيادة وحدها أن تستأثر في اتخاذ القرارات المصيرية.

وقد ربى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الأمة أن تكون حرة في تفكيرها واتخاذ قراراتها، ونفث في روحها أنه لا يملك أحد من البشر مهما كان أن يستبد بالأمر دونها وأمرها بالتمرد على المستبدين الذين لا يستشيرون ولا يلتزمون بإرادة الأمة.(أبو فارس: ١٩٨٧، ٢٩)

وإذا كان الله سبحانه قد أمر رسوله بالشورى وألا ينفرد برأي دونهم وأوجب عليه ذلك فالشورى في حق غيره صلى الله عليه وسلم أأكد وأوجب.(أبو فارس: ١٩٨٧، ٣٢)

ولقد حفلت السيرة النبوية بمواقف الابتلاءات التي توجه فيها الرسول إلى الشورى ومن بين تلك المواقف ما ورد في سيرة ابن هشام في غزوة الخندق: "فلما اشتد على الناس البلاء بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه، وعن أصحابه فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة، ولا عزيمة الصلح إلا المراوضة في ذلك، فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه فقالا له: يا رسول الله أمرا تحبه فنصنعه، أم شيئا أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال: بل شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك، إلا لأنني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما، فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها تمرة إلا قرى (ضيافة) أو بيعا أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه نعطيهم أموالنا،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأنت وذاك. فتناول سعد بن معاذ الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال: ليجهدوا علينا" (ابن هشام: ٢٠٠٤، ج٣، ١٣٦، ١٣٧)

إن هذا المنهج النبوي في الشورى في ظل الابتلاءات والمحن يعطي درسا عظيما في تأصيل قيمة الشورى في المجتمع الإسلامي، وأهميتها في توحيد الصفوف وتراصها، وتحمل تكاليف القرارت التي يتخذها المجتمع المسلم، ولا يتسع المقام لذكر الأحداث والمواقف التي كان النبي الكريم يؤصل ويقر في النفوس مبدأ الشورى، لكن يكفي أن ندرك أن هذا المبدأ الإنساني السامي كان توجيها وأمرا ربانيا، وواقعا عاشه المسلمون في كنف النبي في تطبيقاته ومصاديقه على أرض الواقع، في ظل المحن والابتلاءات والمواقف الصعبة، والتي كان بمقدور النبي أن يتخذ القرارات الفردية فيها وهو ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، لكن إيثار النبي أن يتبع الشورى هو بمثابة المنهج والقاعدة الأصيلة التي يجب على الجماعة المؤمنة أن تسير عليها في كل مراحل الدعوة إلى الله، فمنذ الفترة المكية، مرحلة التكوين والإعداد والتأهيل، وصولا إلى الدولة الراشدة.

٤_ تحقيق المساواة في المجتمع.

إن الإسلام مثل الثورة الحقيقية على المعايير والقيم المتعسفة التي كانت تسود العالم، فجاء ليعيد لهذا الإنسان كرامته المهدورة من الاستعباد والاسترقاق، جاء لينقذ هذه البشرية من القيم والمفاهيم التي كانت تفرق المجتمع طبقات، لا دخل للإنسان فيها، سوى أنه قد يجد نفسه عبدا أو فقيرا، أو من طبقة الأشراف أو الحكام.

لقد تحمل المسلمون تكاليف باهظة وهم يرسخون منهج المساواة في المجتمع، فقد وقفت قريش تتصدى لدعوة الإسلام ومنهج الإسلام الذي جاء ليساوي بين العبد وسيده، حتى ثارت حمية سادة قريش الذين لم يعرفوا سوى استعباد وإذلال الضعفاء، لقد دبت الحياة في الفقراء والمستضعفين الذين أصبحت الحياة لديهم لا تساوي شيئا، جاء الإسلام ليرفع قيمة هذه الحياة الإنسانية، ويرسم معالم جديدة للمجتمع الفطري والسليم في ظل الإسلام ومنهج الإسلام.

فهذا أمية بن خلف لم يأل جهدا في تعذيب الصحابي الجليل بلال بن رباح فكان يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت، أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى، فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد.(ابن هشام:٢٠٠٤، ج١، ٢٠٣)

لقد كان الإسلام يمثل ثورة حقيقية ضد الطبقية في الإسلام، فكانت الابتلاءات تغرس في النفوس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تجعلهم يدركون حقيقتها وأهميتها وضرورة الالتزام بها والتمسك بها، وعلى الرغم من ذلك لم يكن واقع الابتلاءات كافيا لغرس هذه المفاهيم والقيم الإنسانية بل كانت التوجيهات القرآنية والنبوية على امتداد تاريخ فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد إلا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى" (ابن حنبل،ب.ت، ٤١١/٥، ح٢٣٥٣٦)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة ابن زيد حب رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم: (أتشفع في حد من حدود الله) . ثم قام فاختطب، ثم قال: (إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها.(البخاري:١٩٨٧، ١٢٨٢/٣، ح٣٢٨٨)

إن هذه المساواة تقررت في النفوس بعد أن خاض المسلمون في سبيلها حروبا ومعارك وابتلاءات، فلم يكن الأمر هينا، ولا يدرك مفهوم المساواة إلا من اكتوى بنار التفرقة والعنصرية القائمة على اللون أو الجنس.

"فالإسلام ينفي عن المجتمع الإسلامي فكرة التمييز العنصري منذ اللحظة الأولى، ويفتح أبوابه للبشر عامة على قدم المساواة الكاملة، وعلى أساس الشعور الإنساني الخالص، وليس أكره للحس الإسلامي من ذلك التعصب الذي تثيره نعرة الجنس على طريقة النازي أو طريقة اليهود، أو نعرة اللون على طريقة الأمريكان مع الهنود الحمر والزنوج، أو طريقة أفريقيا الجنوبية مع الملونين عامة" (قطب: ١٩٧٥، ٩٣)

ولعل أروع النماذج والمظاهر للمساواة في تاريخ الخلفاء الراشدين أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما توجه إلى صفين افتقد درعا له فلما انقضت الحرب و رجع إلى الكوفة أصاب الدرع في يد يهودي فقال لليهودي: الدرع درعي لم أبع و لم أهب فقال اليهودي: درعي و في يدي فقال: نصير إلى القاضي فتقدم علي فجلس إلى جنب شريح و قال: لولا أن خصمي يهودي لاستويت معه في المجلس و لكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم يقول: "و أصغروهم من حيث أصغرهم الله" فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين فقال: نعم هذه الدرع التي في يد هذه اليهودي درعي لم أبع و لم أهب فقال شريح: أيش تقول يا يهودي ؟ قال: درعي و في يدي فقال شريح: ألك بينة يا أمير المؤمنين ؟ قال: نعم: قنبر و الحسن يشهدان أن الدرع درعي فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز للأب فقال علي: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "الحسن و الحسين سيدا شباب أهل الجنة" فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه و قاضيه قضى عليه أشهد أن هذا هو الحق و أشهد أن إلا الله و أشهد أن محمدا رسول الله و أن الدرع درعك.(السيوطي: ١٩٥٢، ١٥٧)

إن هذه القيمة الإنسانية السامية دفعت اليهودي أن يسلم، لذلك يبقى الابتلاء في تحقيقها منوطة بالمؤمنين وفي ذلك يقول تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**﴾ (المائدة:٤٨)

ولو شاء ربُّكم لجعل شرائعكم واحدة، ولم يجعل لكل أمة شريعةً ومنهاجًا غيرَ شرائع الأمم الأخر ومنهاجهم، فكنتم تكونون أمة واحدةً لا تختلف شرائعكم ومنهاجكم، ولكنه تعالى ذكره يعلم ذلك، فخالف بين شرائعكم ليختبركم، فيعرف المطيع منكم من العاصي، والعاملَ بما أمره في الكتاب الذي أنزله إلى نبيِّه صلى الله عليه وسلم من المخالف(الطبري: ٢٠٠٠، ج١٠،٣٨٩)

فالابتلاء والاختبار يأتي في سياق تحقيق المساواة بين الناس، على أساس هذا المنهج، سواء في الشريعة أو القضاء، فالإسلام جاء ليربي المؤمنين على تحمل عبء هذه الدعوة في تثبيت قيمها وترسيخ أخلاقها، ولا يتم ذلك إلا من خلال الابتلاءات المتنوعة، فكما كانت الابتلاءات للمسلمين في بداية الدعوة على أساس قبلي و طبقي، كانت بمثابة الحصن الذي يحافظ من خلاله المؤمنون على المساواة بينهم وأن يخرجوا العصبية والقبلية التي كانوا يعتقدون أنها أساس التمايز من قلوبهم ومن مجتمعاتهم، فأساس التمايز هو التقوى والصدق والإخلاص لله، وقد حدث في عهد الدولة الإسلامية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الحديث الشريف عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصاري يا للأنصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فسمع ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما بال دعوى جاهلية. قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال: دعوها فإنها منتنة.(البخاري: ١٩٨٧، ١٨٦١/٤، ح٤٦٢٢)

وتبقى هذه القيمة الأخلاقية الاجتماعية لها مضامينها الواسعة التي لا مجال لذكرها، لكن يكفي أن نعلم أن المساواة في جميع مسائلها وأنواعها قد جاء الإسلام ليعززها ويرسخها وليجعل التفاضل على أساس العمل والتقوى والصدق والإخلاص والعطاء.

٥_ تقوية أواصر الأخوة في المجتمع.

إن أعظم مصيبة يعاني منها المجتمع هو انعدام الأخوة فيما بينهم، بحيث يستحكم العداء، والأنانية وحب الذات، ولقد جاء الإسلام ليرسم ملامح مرحلة جديدة في تاريخ الإنسانية قائمة على التآخي والأخوة، فلا معنى لهذا المجتمع إن لم تكن هناك روابط إنسانية تربط بين أفراده،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فليست رابطة الدم تكفي وحدها ليرتقي المجتمع ببنائه الإنساني والأخلاقي، بل تبقى هناك روابط أعظم وأرقى، وهي التي أسس لها الإسلام وجاء ليدعمها بالتوجيهات القرآنية والنبوية.

وكانت الابتلاءات والمحن قاعدة التصور الحقيقية لتأسيس الأخوة في المجتمع الإسلامي، فإذا كانت التوجيهات القرآنية على المستوى النظري هي الرافد لتأسيس الأخوة، فقد كانت الابتلاءات والمحن الرافد الواقعي؛ لتفعيل هذه الأخوة وتطبيقها.

فالأخوة تزيد تماسك المجتمع وقوته، وبالتالي فهي قيمة مرغوبة في المجتمعات الإسلامية في كل زمان ومكان، وهي قيمة اجتماعية سياسية اقتصادية، والمساواة أول آثار الأخوة ومن لوازمها، لأن الأخوة لا تكون إلا بين متساويين في الحقوق والواجبات، ومن تأكيدات الأخوة أن يكون البعض جزءاً من كل باعتبار المسلمين نفسا واحدة.(عبد الفتاح: ٢٠٠١، ١٥٧) قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ (الحجرات: ١٠)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة" (البخاري: ١٩٨٧، ٨٦٢/٢، ح٢٣١٠)

لذلك كان الابتلاء هو الواقع الأنسب والأقدر على تجسيد الأخوة بكل مضامينها ومدلولاتها، وليس هناك أعظم من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار والتي تعتبر حالة استثنائية في التاريخ الإنساني،حيث، كان يعيش المؤمنون المحن والابتلاءات، فتركوا أموالهم، وهاجروا بدينهم فارين إلى الله، فاستقبلهم إخوانهم الأنصار ليجسدوا أرقى المعاني والمضامين لمفهوم الإخوة في الإسلام عبرت عنه الآية القرآنية الكريمة بقول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (الحشر: ٩) فآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصارفقال: "تآخوا في الله أخوين أخوين، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب، فقال هذا أخي) (ابن هشام: ٢٠٠٤، ج٢، ١١٦)

وعن أنس قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه المهاجرون، فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا قوما أبذل من كثير ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم، لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ، حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم.(الترمذي،ب.ت، ٦٥٣/٤، ح٢٤٨٧)

إنه لأمر جليل أن نرى قدرة النبي صلى الله عليه وسلم_ بل قدرة دين الله_ على علاج مشاكل الواقع بأسلوب مثالي، إذ لم نسمع من قبل أن أناساً قبلوا أن يقاسموا غيرهم أموالهم، لقد رأينا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاشتراكيين يطمحون إلى شيء من ذلك، لكنهم أرغموا الناس عليه إرغاما فسقطوا وتناثرت بلدانهم إلى قطع ثائرة تسعى للاستقلال عنهم.(لحام: ٢٠٠١، ١٧٠، ١٧١)

وتتجلى طبيعة هذه الأمة المسلمة وصورتها الوضيئة في هذا الوجود. تتجلى الآصرة القوية الوثيقة التي تربط أول هذه الأمة بآخرها، وآخرها بأولها، في تضامن وتكافل وتواد وتعاطف، وشعور بوشيجة القربى العميقة التي تتخطى الزمان والمكان والجنس والنسب؛ وتتفرد وحدها في القلوب، تحرك المشاعر خلال القرون الطويلة، فيذكر المؤمن أخاه المؤمن بعد القرون المتطاولة، كما يذكر أخاه الحي، أو أشد، في إعزاز وكرامة وحب. ويحسب السلف حساب الخلف. ويمضي الخلف على آثار السلف. صفاً واحداً وكتيبة واحدة على مدار الزمان واختلاف الأوطان، تحت راية الله تغذ السير صعداً إلى الأفق الكريم، متطلعة إلى ربها الواحد الرؤوف الرحيم.(قطب:١٩٨٦، ج٦، ٣٥٢٧)

لقد مثلت المحنة والابتلاء وعيا وإدراكا حقيقيا لدى المؤمنين في أهمية الأخوة، وتحقيقها على أرض الواقع، ونحن في واقعنا الفلسطيني نجد تحقيق هذه الأخوة في أعلى صورها وأرقاها في ظل الابتلاءات والمحن التي يتعرض لها شعبنا، ولو تتبعنا المجتمعات الإسلامية التي تخوض المحنة مدى تجسيد الأخوة في المجتمع، فالمجتمع يدرك ضرورة التآخي لمواجهة الابتلاءات والمحن، كما أن المشاعر الإنسانية ترتقي لتصل ذروتها في ظل الابتلاءات والمحن، بحيث يصبح المجتمع أكثر تماسكا وتقاربا وأخوة، وهذا المراد من الابتلاء في بعده الاجتماعي.

"وهذه الأخوة هي روح الإيمان الحي، ولباب المشاعر الرقيقة التي يكنها المسلم لإخوانه، حتى إنه ليحيا بهم ويحيا لهم، فكأنهم أغصان انبثقت من دوحة واحدة، أو روح واحد حل في أجسام متعددة" (الغزالي: ١٩٨٠، ١٦٦)

وقد قال رسولنا الكريم: "ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضوا تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى" (البخاري: ١٩٨٧، ٢٢٣٨/٥، ٥٦٦٥)

كما قال: إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك أصابعه.(البخاري: ١٩٨٧، ١٨٢/١، ح٤٦٧)

فهذه القيمة الاجتماعية والإنسانية، هي غاية المجتمعات المثقفة والواعية، وهي الغاية التي يطمح للوصول إليها كل الحكماء وكل المصلحين في الأرض ودعاة الإنسانية، وليس هناك أكثر من ديننا الإسلامي جاء ليرسم المنهج الحقيقي، وآليات تحقيق هذه الأخوة في شتى مجالات الحياة، والمقام لا يتسع للحديث عن المجالات التي عالجها الإسلام في تحقيقه للإخوة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦_ تحقيق التعاون والتكافل الاجتماعي في المجتمع.

إن قيمة التعاون من أهم القيم الاجتماعية التي لا يمكن للمجتمع أن يرتقي ويتقدم، لذلك كانت التوجيهات القرآنية والنبوية في هذا الإطار لدفع المجتمع نحو التعاون الإيجابي، واستنفار كل كوامن الخير في المجتمع، فقال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (المائدة: ٢)

وليس هناك أفضل من الابتلاءات والمحن التي تدفع الناس للتعاون، واستخراج كل خير وبر فيما بينهم، فنزول الابتلاءات والمحن ترسخ في الناس قيمة التعاون، فمن الطبيعي والبديهي أن مواجهة الابتلاءات يتطلب التوحد والتعاون، وليس هناك أنموذج قدمه المسلمون على التعاون خير من غزوة الخندق، التي تكالبت فيها قريش والعرب لاستئصال شأفة المسلمين من المدينة المنورة.

"فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بين فزارة والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ومسعر بن رخيلة بن نويره ابن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان فيمن تابعه من قومه من أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أجمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة، قال ابن هشام: يقال إن الذي أشار به سلمان، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيبا للمسلمين في الأجر وعمل معه المسلمون وتخلف طائفة من المنافقين يعتذرون بالضعف، ومنهم من ينسل خفية بغير إذنه ولا علمه عليه الصلاة والسلام وقد أنزل الله تعالى في ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ (نور: ٦٢، ٦٣) " (ابن كثير،ب.ت، ج٤، ٩٥)

لقد جاءت الآيات من سورة النور تبين عظم الالتزام بالتعاون كمنهج وقيمة اجتماعية لها أبعادها على المجتمع، فحذر من التخاذل والابتعاد عن هذه القيمة التي تمثل منهج الإسلام وروح الإسلام، "وإنه لتحذير مرهوب، وتهديد رعيب، فليحذر الذين يخالفون عن أمره، ويتبعون نهجا غير نهجه، ويتسللون من الصف ابتغاء منفعة أو اتقاء مضرة، ليحذروا أن تصيبهم فتنة تضطرب فيها المقاييس، وتختل فيها الموازين، وينتكث فيها النظام، فيختلط الحق بالباطل،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والطيب بالخبيث، وتفسد أمور الجماعة وحياتها، فلا يأمن على نفسه أحد، ولا يتميز فيها خير من شر، وهي فترة شقاء للجميع" (قطب: ١٩٨٦، ج٤، ٢٥٣٥)

لقد تمثلت في هذه المعركة قيمة التعاون لإتمام حفر الخندق، فعن أنس رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخندق فإذا المهاجرون والأنصار يحفرون في غداة باردة فلم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من النصب والجوع قال "اللهم إن العيش عيش الآخرة. فاغفر للأنصار والمهاجرة" . فقالوا مجيبين له: نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبدا.(البخاري: ١٩٨٧، ١٠٤٣/٣، ح٢٦٧٩)

ومن بعض أشكال التعاون والتعاضد التي برزت في غزوة الخندق الحديث الذي جاء في البخاري عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال: أتيت جابرا رضي الله عنه فقال: إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاؤوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق فقال: أنا نازل . ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب الكدية فعاد كثيبا أهيل أو أهيم فقلت يا رسول الله: ائذن لي إلى البيت فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئا ما كان في ذلك صبر فعندك شيء ؟ قالت: عندي شعير وعناق، فذبحت العناق وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم في البرمة، ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت تنضج، فقلت: طعم لي، فقم أنت يا رسول ورجل أو رجلان، قال: كم هو ؟ فذكرت له قال: كثير طيب قال: قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي، فقال: قوموا . فقام المهاجرون والأنصار فلما دخل على امرأته قال: ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم قالت: هل سألك ؟ قلت: نعم فقال: ادخلوا ولا تضاغطوا، فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية قال: كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة.(البخاري: ١٩٨٧، ١٥٠٥/٤، ح٣٨٧٥)

وقد خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق بين كل عشرة أربعين ذراعا.(ابن كثير، ج٤، ٩٩) لقد جعل التعاون بين الصحابة في حفر الخندق هو أساس العمل.وهكذا حفر الخندق ثلاثة آلاف صحابي وأنجزوه في عشرة أيام وهم في حالة جوع وبرد، فما أعظم قدرة النبي على تحريك الطاقات الإنسانية واستثمارها بشكل منظم.(لحام: ٢٠٠١، ٣١٠)

وقد قيل: أن ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير قالت: دعتني أمي عمرة بنت رواحة فأعطتني حفنة من تمر في ثوبي ثم قالت: أي بنية اذهبي إلى أبيك وخالك عبدالله بن رواحة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بغدائهما قالت: فأخذتها فانطلقت بها فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبي وخالي فقال: تعالي يا بنية ما هذا معك ؟ قالت: فقلت: يا رسول الله هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبدالله بن رواحة يتغديانه قال: هاتيه قالت: فصببته في كفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبسط له، ثم دحا بالتمر عليه، فتبدد فوق الثوب ثم قال لإنسان عنده: اصرخ في أهل الخندق: أن هلم إلى الغداء. فاجتمع أهل الخندق عليه فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب.(ابن هشام: ٢٠٠٤، ج٣، ١٣٣)

لقد كانت هذه المحنة والابتلاء مدعاة لتعاون المسلمين جميعا، لمواجهة الخطر المحدق بهم، فلا مجال إلا للتعاون والتعاضدد، واستنفار كل طاقات الخير والبر، لقد كان درس غزوة الخندق حتى يومنا هذا، أن كل فرد في المجتمع عليه واجب تجاه مجتمعه وتجاه قضايا الأمة، ولا سبيل لمواجهة الأزمات والابتلاءات إلا بالتعاون والصبر عليها.

كما عني الإسلام بالتكافل ليكون نظاماً لتربية روح الفرد، وضميره، وشخصيته، وسلوكه الاجتماعي، وليكون نظاماً لتكوين الأسرة وتنظيمها وتكافلها، ونظاماً للعلاقات الاجتماعية، بما في ذلك العلاقة التي تربط الفرد بالدولة، وفي النهاية نظاماً للمعاملات المالية والعلاقات الاقتصادية التي تسود المجتمع الإسلامي. ومن هنا، فإن مدلولات البر، والإحسان، والصدقة تتضاءل أمام هذا المدلول الشامل للتكافل.(عبد السلام، موقع بينات)

فالإسلام يقرر مبدأ التكافل في كل صوره وأشكاله، فهناك التكافل بين الفرد و ذاته، وبين الفرد وأسرته، وبين الفرد والجماعة، وبين الأمة والأمم وبين الجيل والأجيال المتعاقبة... كما يفرض الإسلام التكافل الاجتماعي في كل صوره وأشكاله تمشيا مع نظرته الأساسية إلى وحدة الأهداف الكلية للفرد والجماعة، وفي تناسق الحياة وتكاملها.(قطب: ١٩٧٤، ٦٣، ٧٥)

قال تعالى: ﴿**وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (البقرة: ١٩٥) وجاءت التشريعات الإسلامية الاقتصادية لتضمن تحقيق التكافل الاجتماعي، فالإسلام يقيم نظاما اقتصاديا ينسجم في مساره مع هدف الإسلام في إقامة المجتمع الإسلامي المتراحم المتعاون، فالتشريعات الاقتصادية الإسلامية توجه الأغنياء إلى السعي في مصالح الفقراء، وتقديم العون لهم وسد خلتهم، وليس لهم في ذلك بل أمر إلهي رباني يعاقب من حاد عنه.(الأشقر: ١٩٩٠، ٢٩٦)

فالإسلام يدعو إلى مجتمع متكافل، حيث يلتقي الفرد بالجماعة في وفاق عميق، وحيث تتعاضد الجماعة الإسلامية، وتتعاون وتتآسى، في كل صغيرة وكبيرة من أجل التحقق بأكبر قدر من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التناغم والانسجام، لدفع عجلة الحياة الإسلامية إلى الأمام، وإعانتها على مواصلة الطريق. (خليل: ١٩٩٥، ١١١) .

لقد كانت التوجيهات القرآنية والنبوية للإنفاق لتحقيق التكافل الاجتماعي، كما جاءت التربية الإلهية للمؤمنين بالابتلاءات والمحن لتحقيق التكافل الاجتماعي، فالابتلاءات والمحن على الصعيد الواقعي هي القادرة على تفعيل وتحقيق هذا التكافل، وتدريب المؤمنين على تحقيقه ليس على الصعيد النظري بل واقعا يعيشوه في حياتهم، في ظل المحن والفتن التي تحيط بهم.

وفي حصار المشركين للمسلمين في شعب أبي طالب خير دليل على ذلك، فقد جاء في السيرة أن المشركين اشتدوا على المسلمين كأشد ما كانوا حتى بلغ المسلمين الجهد واشتد عليهم البلاء، وجمعت قريش في مكرها أن يقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية، فلما رأى أبو طالب عمل القوم جمع بني عبد المطلب، وأمرهم أن يدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم، وأمرهم أن يمنعوه ممن أرادوا قتله، فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله حمية، ومنهم من فعله إيمانا ويقينا، فلما عرفت قريش أن القوم قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجمعوا على ذلك، اجتمع المشركون من قريش، فأجمعوا أمرهم أن لا يجالسوهم، ولا يبايعوهم، ولا يدخلوا بيوتهم، حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل، وكتبوا في مكرهم صحيفة وعهودا ومواثيق، لا يقبلوا من بني هاشم صلحا أبدا، ولا يأخذهم بهم رأفة، حتى يسلموه للقتل، فلبث بنو هاشم في شعبهم ثلاث سنين، واشتد عليهم البلاء والجهد، وقطعوا عنهم الأسواق، فلا يتركوا لهم طعاما يقدم مكة، ولا بيعا إلا بادروهم إليه فاشتروه، يريدون بذلك أن يدركوا سفك دم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان أبو طالب إذا أخذ الناس مضاجعهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطجع على فراشه، حتى يرى ذلك من أراد به مكراً واغتيالا له، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو أخوته أو بني عمه فاضطجعوا على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بعض فرشهم فينام عليه، فلما كان رأس ثلاث سنين تلاوم رجال من بني عبد مناف ومن قصي ورجال من سواهم من قريش قد ولدتهم نساء من بني هاشم، ورأوا أنهم قد قطعوا الرحم واستخفوا.(ابن كثير، ب،ت، ج٣، ٨٤)

لقد عاش المسلمون ثلاث سنوات في حصار خانق تعلموا فيه معنى التكافل الاجتماعي بكل صوره وأشكاله، فلا يمكن الاستمرار بدون أن يتكافل المسلمون في تلك الظروف العصيبة، للخروج من تلك الأزمة وتجاوزها.

أما الموقف الثاني في تاريخ الدعوة الذي تجسد فيه التكافل الاجتماعي، فقد كان حين هاجر المسلمون من مكة لا يملكون شيئا، فاستقبلهم الأنصار خير الاستقبال، ليحققوا التكافل الاجتماعي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في أرقى صوره، فقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (الحشر: ٩) فلقد كان عطاؤهم عن محبة وتقدير لما لقي إخوانهم المهاجرون من عنت ومشقة وحرمان في إيمانهم وهجرتهم، فكانوا مقتنعين بما يعطى المهاجرون من عطايا.(لحام: ٢٠٠١، ١٧١)

حتى وصل الأمر خوف المهاجرين أن يأخذ الأنصار الأجر كله فعن أنس قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله ما رأينا قوما أبذل من كثير ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم، لقد كفونا المؤنة، وأشركونا في المهنأ، حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم.(الترمذي، ٦٥٣/٤، ح٢٤٨٧)

وتبرز قيمة التكافل الاجتماعي في ظل المحن والابتلاءات والتهديدات التي تتعرض لها الجماعة المؤمنة، بحيث تتجاوز الجماعة محنة التهديد بالرزق، الذي يمثل أخطر وأهم الأساليب التي ينتهجها أعداء هذا الدين، (وقديما توجس المشركون خيفة من إتباع الدين، والسير وراء سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، لقد خافوا الفقر والجوع، قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (القصص: ٥٧) (أبو فارس،ب.ت، ٨٧)

وفي عصرنا الحاضر، تشكل الحرب الاقتصادية عماد الحرب التي يشنها أعداء الإسلام على هذه الأمة، فأكثر دول العالم الإسلامي هي تابعة اقتصاديا للدول الاستكبارية بحيث تمارس تلك الدول الضغوط على الشعوب الإسلامية وتجريدها من كل قيم الإيمان والإسلام تحت طائلة التهديد بالرزق، ويبقى التكافل الاجتماعي هو ثمرة المحن التي تخوضها الشعوب في معركة التحدي والتهديد بقطع الأرزاق، فسلاح المستضعفين في مواجهة محن الابتلاء الاقتصادي هو التكافل الاجتماعي بكل أنواعه وأشكاله.

٧_تحقيق التراحم في المجتمع.

لقد أمر الإسلام بالتراحم العام، وجعله من دلائل الإيمان الكامل، فالمسلم يلقى الناس قاطبة وفي قلبه لهم عطف مذخور وبر مكنون، فهو يوسع لهم ويخفف عنهم جهد ما يستطيع.(الغزالي١٩٨٠، ٢٠٥)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "و الذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا، قالوا: يا رسول الله كلنا رحيم، قال: إنه ليس برحمة أحدكم و لكن رحمة العامة رحمة العامة" (الحاكم: ١٩٩٠، ١٨٥/٤، ح٧٣١٠)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد جاء الإسلام رحمة للعالمين، فقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ (الأنبياء:١٠٧) فالإسلام هو رحمة للعالمين، لكافة البشر، فجاء التعبير القرآني واضحا، فالإسلام رسالة رحمة وعطف وسلام للبشر، ولإخراجهم من ظلمات الكفر إلى النور.

وقال تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ**﴾ (الأعراف:١٥٦، ١٥٧)

لقد كانت التوجيهات القرآنية والنبوية واضحة، في غرس الرحمة والتراحم في المجتمع، فجاء الوصف القرآني: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ (الفتح:٢٩)

وتأتي الابتلاءات والمحن لغرس التراحم بين الناس، فأثر المحن والابتلاءات على النفوس عظيم في تحقيق الرحمة والتراحم بين الناس، فهذه طبيعة النفوس والقلوب التي قد تتحجر في ظل واقع تنعم فيه بالأمن والطمأنينة والدعة والراحة، فحين تنزل الشدائد والمحن تصفو النفوس، وترق القلوب، وتعم الرحمة والتراحم بين الناس،وفي السيرة النبوية الكثير من المواقف التي نبعت في عز المحن والابتلاءات فكانت خير دليل على أثر الابتلاءات في الرحمة والتراحم.

فجاء في البداية والنهاية: "نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن نالته منه في حياة عمه أبي طالب، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف، يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة بهم من قومه، ورجا أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله تعالى، فخرج إليهم... فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف، وقد قال لهم فيما ذكر لي: إن فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي، وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه فيذئرهم ذلك عليه، فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس وألجؤه إلى حائط لعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد الى ظل حبلة من عنب، فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما يلقى من سفهاء أهل الطائف، وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة التي من بني جمح فقال لها: ماذا لقينا من أحمائك !!فلما اطمأن قال: اللهم إليك أشكو ضعف قوتي،وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلى من تكلني إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بي غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة إلا بك.(وهنا تتجلى الرحمة في قلبي ابني ربيعة بعدما شاهدا ما ارتكبه أهل الطائف بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما، فدعوا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غلاما نصرانيا يقال له عداس، وقالا له: خذ قطفا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به الى ذلك الرجل، فقل له يأكل منه ففعل عداس، ثم ذهب به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له كل فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده فيه قال: بسم الله ثم أكل ثم نظر عداس في وجهه ثم قال: والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ومن أهل أي بلاد أنت يا عداس وما دينك قال نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى، فقال له عداس: وما يدريك ما يونس بن متى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذلك أخي كان نبيا وأنا نبي، فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه، قال: يقول أبناء ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاء عداس قالا له: ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه، قال: يا سيدي ما في الأرض شيء خير من هذا لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي، قالا له: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه" (ابن كثير،ب.ت، ج٣، ١٣٥، ١٣٦)

أما موقف الرسول الكريم الرحيم فترويه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث روي عنها أنه قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ قال: لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم علي ثم قال: يا محمد، فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا.(البخاري: ١٩٨٧، ٣/١١٨٠، ح٣٠٥٩)

ففي هذا الموقف يتضح لنا أثر الابتلاء والمحنة والأذى الذي تعرض له رسول الله في نفسي ابني ربيعة، حيث تحركت عاطفة الرحمة، وهي عاطفة إنسانية، حركتها المحنة ورؤية الأذى فكانت أثرا في إرسال قطف من العنب عبر خادمهما عداس، وهذا الموقف الإنساني الذي تجلت فيه معاني الرحمة نراه واقعا في حياة الأمم والشعوب حين تتعرض منطقة لابتلاء أو كارثة إنسانية، حيث تذوب كل مشاعر العداء والبغضاء وتتجلى الرحمة والتراحم في أرقى صورها، حيث يهب الجميع للنجدة، وإن كان المستكبرون والعتاة والظالمون قد قست قلوبهم فهي أشد قسوة من الحجارة فحتما من تبقى في قلبه من إنسانية ستتحرك مشاعر الرحمة لديه في ظل الابتلاءات والمحن.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما موقف الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعث رحمة للعالمين، فقد جاء موقفه واضحا ومحددا حين عرض عليه ملك الجبال أن ينتقم له، فكان رده الإنساني: "بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا" .

وفي غزوة أحد حيث تعرض المسلمون لمحنة شديدة وابتلاء عظيم، بعدما خالف الرماة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت النتيجة الهزيمة وسقوط الشهداء، فجاء الوصف القرآني الذي يبين رحمة النبي بهم وتجاوزه عن أخطائهم، فقال تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ (آل عمران: ١٥٩)

فهي رحمة الله التي نالته ونالتهم، فجعلته - صلى الله عليه وسلم - رحيماً بهم ليناً معهم، ولو كان فظاً غليظ القلب ما تألفت حوله القلوب ولا تجمعت حوله المشاعر، فالناس في حاجة إلى كنف رحيم وإلى رعاية فائقة وإلى بشاشة سمحة وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم، في حاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء،ويحمل همومهم ولا يعنيهم بهمه، ويجدون عنده دائماً الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضاء.(قطب: ١٩٨٦، ج١، ٤٩٤، ٤٩٥)

وفي موقف سيدنا يوسف عليه السلام الذي تعرض للمحن والشدائد، كانت بدايتها وسببها على يد إخوته الذين كادوا له وألقوه في غيابة الجب، فبعد أن بلغ المكانة العالية وأصبح عزيز مصر تتجلى الرحمة في قلبه على إخوته فيأتي التعبير القرآني بقوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ، قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ، قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ (يوسف: ٩٠_٩٢)

"اعتراف بالخطيئة، وإقرار بالذنب، وتقرير لما يرونه من إيثار الله له عليهم بالمكانة والحلم والتقوى والإحسان، يقابله يوسف بالصفح والعفو وإنهاء الموقف المخجل، شيمة الرجل الكريم، وينجح يوسف في الابتلاء بالنعمة كما نجح من قبل في الابتلاء بالشدة، إنه كان من المحسنين"(قطب: ١٩٨٦، ج٤،٢٠٢٧) وكذلك كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم، حين فتح مكة،فقال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم قالوا: خيرا أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء.(ابن كثير،ج٤، ٣٠١) وروي أن أبا سفيان لما جاء ليسلم قال له العباس: إذا أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتل عليه: (قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليوم) ففعل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "غفر الله لك ولمن علمك" (الرازي،ب.ت، ج١٨، ٢٠٦)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الموقف أعظم من كل ما كتب عنه، خاصة عندما نضعه ضمن ظروفه التاريخية زمانا ومكانا، فلقد كان الموقف يمثل قفزة نوعية تجاوزت كل أخلاق الفاتحين في ذلك العصر، وأبرز اقتدار الإنسان على طي صفحة الانتقام، للارتقاء في علاقات إنسانية مليئة بالحب والاحترام.(لحام:٢٠٠١، ٥٣٢)

هكذا تتجلى الرحمة والتراحم كأثر من آثار الابتلاء والمحن والشدائد، فموقف سيدنا يوسف عليه السلام، وموقف سيدنا محمد يعكس حقيقة ما يجب أن يكون في واقع الناس وفي واقع المجتمعات من رحمة وتراحم، وتجاوز عن الأخطاء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل السادس

الأبعاد النفسية لسنة الابتلاء

- مدخل

١. تحقيق استواء الفطرة لدى الإنسان

٢. تحقيق السعادة والفرح في حياة المؤمنين

٣. الرضا بقضاء الله وقدره

٤. تحقيق الأمن والطمأنينة في النفوس

٥. استنهاض الإرادة والعزيمة

٦. غرس الأمل والتفاؤل في النفوس

٧. غرس المحبة بين قلوب المؤمنين

٨. تفعيل النقد الذاتي للجماعة المؤمنة.

٩. مجاهدة النفس

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأبعاد النفسية لسنة الابتلاء

مدخل:

إن الجانب النفسي في حياة الإنسان من أهم مكونات الشخصية، لذلك انهمك علماء النفس في دراسة النفس الإنسانية، وكيفية الحفاظ على الصحة النفسية بما يضمن سعادة الإنسان، والإسلام العظيم لم يترك الإنسان دون قراءة موضوعية لهذه النفس التي بين جوانحه.

"فللدين موقف قيمي لا يجتزئ من الإنسان جانبا دون آخر، بل يصون توازن حياته، فكان لابد أن يؤدي ترجيح قيمة على أخرى، وتغليب جانب على آخر في الإنسان أن يعاد توازن حياته عن طريق ما يفعم به الدين وجدان المؤمن من سلوى وعزاء، وما يرتقبه من مثوبة وجزاء، تعوضه جميعا عما افتقده في إقباله على بعض القيم والانصراف عنها" (قنصوة: ١٩٨٤، ٢١٧)

فجاء الإسلام ليبني النفس الإنسانية ويصيغها صياغة سليمة وصحيحة، ويرتقي بها من الهبوط والانزلاق في مزالق الشر والفساد، فقال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ (الشمس: ٧_ ١٠)

فالنفس البشرية لا تستعصي على الارتفاع، حين تجد التوجيه والترغيب، ولكنها حين تترك وشأنها، أو حين تجد المغريات الدائمة للهبوط فلاشك أنها تهبط حتى تصل إلى مستوى الحيوان.(قطب:١٩٨٠، ٢٢١)

فهذه النفس بما تحمله من كوامن الخير وكوامن الشر عليها أن تختار بملء إرادتها الخير وتطهير النفس، وهذا ما كان دائما يحث عليه القرآن والنبي الكريم، فقد جاء في الحديث الشريف: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يارسول الله، مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت قال: قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه، قال: قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك.(أبو داود،ب.ت، ٧٣٧/٢، ح٥٠٦٧)

ولقد أشار القرآن ضمن توجيهاته وتربيته النفسية للمؤمنين إلى القلب كمستقر للمشاعر والأحاسيس، كما كانت تعالج التوجيهات النبوية المؤمنين بالانتباه إلى قلوبهم التي تمثل حقيقة الإنسان، فجاء قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأشار بأصابعه إلى صدره" (مسلم،ب.ت، ١٩٨٦/٤، ح٢٥٦٤)

وكما كانت الابتلاءات والمحن كمنهج تربوي على الصعيد العقائدي والأخلاقي والاجتماعي، فهي أيضا تأتي في سياق الإعداد التربوي النفسي للمؤمنين فرادي وجماعات، فللابتلاءات والشدائد بعدها النفسي المهم الذي نرى آثاره في نفوس الناس كقيم نتجت من خلال واقع الابتلاء والمحن والشدائد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد وجد الباحث أنه من الأفضل عرض الأبعاد والآثار النفسية بشكل عام دون تمييز على صعيد الفرد والجماعة، كون هذه الأبعاد تشمل الفرد والجماعة على حد سواء.

ومن أهم الأبعاد النفسية لسنة الابتلاء ما يلي:

١_ تحقيق استواء الفطرة لدى الإنسان.

الفطرة بمعناها الشامل تعني الإنسان بطبيعته الإنسانية التي خلقه الله عليها، ويتميز بها عن سائر المخلوقات.(الفرماوي: ٢٠٠١، ٢٨)

وقال تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ (الروم:٣٠) وبهذا يربط بين فطرة النفس البشرية وطبيعة هذا الدين؛ وكلاهما من صنع الله؛ وكلاهما موافق لناموس الوجود؛ وكلاهما متناسق مع الآخر في طبيعته واتجاهه. والله الذي خلق القلب البشري هو الذي أنزل إليه هذا الدين ليحكمه ويصرفه ويطب له من المرض ويقومه من الانحراف، وهو أعلم بمن خلق وهو اللطيف الخبير، والفطرة ثابتة والدين ثابت **(لا تبديل لخلق الله)** فإذا انحرفت النفوس عن الفطرة لم يردها إليها إلا هذا الدين المتناسق مع الفطرة(قطب: ١٩٨٦، ج٥، ٢٧٦٧) إن فطرة الإنسان التي فطره عليها، قد تتغير وتتبدل بفعل بعض الظروف والعوامل الخارجة عن إرادته، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" (البخاري: ١٩٨٧، ٤٥٦/١، ح١٢٩٢) فالنفس الإنسانية في النهج الإسلامي قرآناً وسنة خلقت أساساً وابتداءً معدولة سوية وصافية الفطرة، نقية التكوين_ ولكنها قابلة في الوقت نفسه _ للانحراف والانكدار بما يؤثر من الآباء والأمهات عليها خلال طفولتها، ثم بما تختار هي في مرحلة رشدها.(جمال: ١٩٨٩، ٢٧٤) قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَ، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ (الشمس: ٧_١٠) إن العودة إلى الفطرة الحقيقية التي فطر الله الإنسان عليها ليس بالأمر الهين، فهي تحتاج إلى هزات حقيقية تعيد الاستواء لهذا الإنسان، فبالشكل العام يحتاج الإنسان إلى رابط قوي وهو رابط العقيدة ليحافظ من خلاله على فطرته، وكما ذكر السايح: أن الإنسان بفطرته لا يملك أن يستقر في هذا الكون الهائل، فلابد له من رباط معين بهذا الكون، يضمن له الاستقرار فيه، ومعرفة مكانه فيما حوله، فهي ضرورة فطرية، شعورية، تقوم بالتأصيل لجوهر الفطرة ومتابعة بعثها، لضمان استمرار حركتها وعملها وانطلاقها. ومن هنا: كانت حاجة الإنسان إلى العقيدة حاجة فطرية مركوزة في فطرته، ومغروسة في شعوره، ومخلوطة بدمه وعصبه، ولكنه قد يضل عن إدراك الحقيقة، فيشقى ويحار ويفقد الاستقرار. (السايح: ١٩٩٦، ٦٥)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتأتي الابتلاءات والشدائد والمحن لإعادة الفطرة واستوائها لدى الإنسان، بحيث تخرج الكوامن الفطرية الطبيعية لديه.

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (يونس:١٢)

إن الإنسان ليظل مدفوعاً مع تيار الحياة، يخطئ ويذنب ويطغى ويسرف، والصحة موفورة، والظروف مواتية. وليس - إلا من عصم الله ورحم - من يتذكر في إبان قوته وقدرته أن هناك ضعفاً وأن هناك عجزاً، وساعات الرخاء تُنسي، والإحساس بالغنى يُطغي، ثم يمسه الضر فإذا هو جزوع هلوع، وإذا هو كثير الدعاء، عريض الرجاء، ضيق بالشدة مستعجل للرخاء، فإذا استجيب الدعاء وكشف الضر انطلق لا يعقب ولا يفكر ولا يتدبر. انطلق إلى ما كان فيه من قبل من اندفاع واستهتار.(قطب: ١٩٨٦، ج٣، ١٧٦٩)

وفي ذات السياق يقول تعالى: ﴿**وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ**﴾ (الروم: ٣٣)

وإذا مسّ هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر ضرّ، فأصابتهم شدة وجدوب وقحوط(**دَعَوْا رَبَّهُمْ**) يقول: أخلصوا لربهم التوحيد، وأفردوه بالدعاء والتضرّع إليه، واستغاثوا به(**مُنِيبِينَ إِلَيْهِ**) ، تائبين إليه من شركهم وكفرهم(**ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً**) يقول: ثم إذا كشف ربهم تعالى ذكره عنهم ذلك الضرّ، وفرّجه عنهم، وأصابهم برخاء وخصب وسعة،(**إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ**) يقول: إذا جماعة منهم(**بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ**) يقول: يعبدون معه الآلهة والأوثان.(الطبري:٢٠٠٠، ج٢٠، ١٠١)

فمن خلال واقع الفتن والابتلاءات تبرز فطرة الإنسان الحقيقية بالتوجه إلى الله عز وجل، والتضرع إليه، فالإنسان خلال المحنة والابتلاء يكتشف الإيمان الحقيقي والصادق، فلا يجد ملجأ إلا إلى الله عز وجل، وفي واقع المؤمنين يعود كثير من الناس إلى طبيعتهم الخيرة أثناء المحن والصعاب والشدائد، وهناك المواقف العديدة التي عاد فيها الناس إلى ربهم، وهذا فرعون حين وصل إلى مرحلة الموت أدرك حقيقة الحياة، وعاد إلى فطرته السليمة فقال عز وجل على لسانه: ﴿**وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ (يونس: ٩٠)

لقد سقطت عن فرعون الباغي العادي المتجبر الطاغي،كل أرديته التي تنفخ فيه فتظهره لقومه ولنفسه قوة هائلة مخيفة، ولقد تضاءل وتصاغر واستخذى، فهو لا يكتفي بأن يعلن إيمانه بأن لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل. فيزيد في استسلام،(**وأنا من المسلمين**) ،المسلِّمين! (قطب: ١٩٨٦، ج٣، ١٨١٨)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن استواء الفطرة هو من ثمار الابتلاء والمحن، فالمحن والشدائد تخرج كوامن الخير، والفطرة السوية للإنسان، وهذا ما نلمسه في واقعنا من استواء الفطرة لدى الكثير من الأفراد الذين عرفوا بصلفهم وكبرهم، يعودون لفطرتهم بعد تعرضهم للمحن والابتلاءات.

٢_ تحقيق السعادة والفرح في حياة المؤمنين.

إن السعادة هي مبتغى الأفراد في هذه الحياة، فمنهم من يرى أن السعادة تكمن في التمتع بمتع الدنيا المتنوعة والمختلفة، وهناك من يرى أن السعادة بالانقطاع عن متع الدنيا، لكن موقف الإسلام كان واضحا في إرساء مفهوم السعادة كحالة نفسية يعيشها الإنسان في ذاته، ومنسجما مع فطرته وواقعه الذي يحياه.

السعادة شعور داخلي يحسه الإنسان بين جوانبه يتمثل في سكينة النفس، وطمأنينة القلب، وانشراح الصدر، وراحة الضمير والبال نتيجة لاستقامة السلوك الظاهر والباطن – المدفوع بقوة الإيمان، إن السعادة في المنظور الإسلامي ليست قاصرة على الجانب المادي فقط، وإن كانت الأسباب المادية من عناصر السعادة. ذلك أن الجانب المادي وسيلة وليس غاية في ذاته لذا كان التركيز في تحصيل السعادة على الجانب المعنوي كأثر مترتب على السلوك القويم) (موقع إسلام تودى) وكما عرفها الدكتور عائض القرني:السعادة سلوة خاطر بحق يحمله، وانشراح صدر لمبدأ يعيشه، وراحة قلب لخير يكتنفه.(القرني:٢٠٠٣، ٣٣٤)

وقد أشار القرآن الكريم إلى السعادة الحقيقية موضحا عواملها وأسبابها فقال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ (النحل: ٩٧)

وقد عبر عنها صاحب الظلال بقوله:"لا يهم أن تكون الحياة ناعمة رغدة ثرية بالمال، فقد تكون به، وقد لا يكون معها، وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة في حدود الكفاية: فيها الاتصال بالله والثقة به والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه، وفيها الصحة والهدوء والرضا والبركة، وسكن البيوت ومودات القلوب، وفيها الفرح بالعمل الصالح وآثاره في الضمير وآثاره في الحياة، وليس المال إلا عنصراً واحداً يكفي منه القليل، حين يتصل القلب بما هو أعظم وأزكى وأبقى عند الله" (قطب: ١٩٨٦، ج٤، ٢١٩٣)

وقال تعالى: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ (طه: ١٢٤)

والحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة، ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع، إنه ضنك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه، ضنك الحيرة والقلق والشك. ضنك الحرص والحذر: الحرص على ما في اليد والحذر من الفوت، ضنك الجري وراء بارق المطامع والحسرة على كل ما يفوت، وما يشعر القلب بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب الله، وما يحس راحة الثقة إلا وهو مستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، إن طمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طولاً وعرضاً وعمقاً وسعة، والحرمان منه شقوة لا تعدلها شقوة الفقر والحرمان.(قطب:١٩٨٦، ج٤، ٢٣٥٥)

والابتلاءات والمحن هي التي تجعل الإنسان يدرك حقيقة ومفهوم السعادة الحقيقية، إن الإيمان بالله والشعور بمعية الله هو وحده الكفيل والقادر على تحقيق السعادة في نفوس المؤمنين، فإذا كانت الابتلاءات تعمل على استواء الفطرة لدى الإنسان، وتقوي الإيمان، فإن هذا التكامل من استواء الفطرة والإنابة إلى الله هو الذي يشرح الصدر ويريح النفس ويشعرها بالسعادة.

والله لا يترك المؤمن وحيدا يواجه الضغط والمحن والابتلاءات وينوء به الثقل ويهده الحزن في هذه الحياة الدنيا، إنما رحمة الله بالمؤمنين وبعباده الصالحين أن يجعلهم يدركوا حقيقة السعادة في خضم المحن والابتلاءات، فجاء التوجيه القرآني في التعقيب على غزوة أحد: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ (آل عمران: ١٣٩) ليواجه المؤمن الوهن والحزن وهما الشعوران المباشران اللذان يساوران النفس في مقام المحن والابتلاءات، ليخرج أكثر صلابة وأكثر قوة وأكثر وعيا بحقيقة هذه الحياة ومصدر السعادة فيها.(حوى: ١٩٨٨، ٧٥)

فقد جاء التوجيه القرآني ليواسي المؤمنين ويرسم لهم قاعدة التصور لمفهوم السعادة الحقيقية، وقد عبر عن ذلك صاحب الظلال: "لا تهنوا من الوهن والضعف، ولا تحزنوا لما أصابكم ولما فاتكم،وأنتم الأعلون، عقيدتكم أعلى فأنتم تسجدون لله وحده وهم يسجدون لشيء من خلقه أو لبعض من خلقه، ومنهجكم أعلى، فأنتم تسيرون على منهج من صنع الله وهم يسيرون على منهج من صنع خلق الله، ودوركم أعلى، فأنتم الأوصياء على هذه البشرية كلها الهداة لهذه البشرية كلها وهم شاردون عن النهج ضالون عن الطريق، ومكانكم في الأرض أعلى فلكم وراثة الأرض التي وعدكم الله بها وهم إلى الفناء والنسيان صائرون،فإن كنتم مؤمنين حقاً فأنتم الأعلون، وإن كنتم مؤمنين حقاً فلا تهنوا ولا تحزنوا، فإنما هي سنة الله أن تصابوا وتصيبوا على أن تكون لكم العقبى بعد الجهاد والابتلاء" (قطب: ١٩٨٦، ج١، ٤٧٤)

فإذا كان الإنسان يبحث عن السعادة فهاهي السعادة تطل من بين المحن والبلايا، تخرج من الجرح والألم، حين يدرك المؤمن في ظل المحنة والابتلاء أن السعادة هي بالإيمان، بذلك الارتباط بالله، حتى وإن فارقت الإنسان في لحظة ما ملذات الدنيا ومتعها، فحقيقة السعادة بذلك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوعي الذي يعيشه الإنسان مع إيمانه بالله، وانسجامه مع حركته وغاية وجوده في هذه الدنيا.

٣_ الرضا بقضاء الله وقدره.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط " (الترمذي،ب.ت،٦٠١/٤، ح٢٣٩٦)

فقضاء الله عز وجل حتم، وقدره واقع، وخير للعبد أن يرضى بالحكم، ويمتثل للأوامر، ويقف عند النهي ليكون من الناجين يوم الدين.(نصار:٢٠٠٤، ٥٦٣)

"وأهل الرضا تارة يلاحظون حكمة المبتلي وخيرته لعبده في البلاء، وأنه غير متهم في قضائه وتارة يلاحظون ثواب الرضا بالقضاء؛ فينسيهم ألم المقضي به وتارة يلاحظون عظمة المبتلي وجلاله وكماله؛ فيستغرقون في مشاهدة ذلك حتى لا يشعرون بالألم، وهذا يصل إليه خواص أهل المعرفة والمحبة؛ حتى ربما تلذذوا بما أصابهم لملاحظتهم صدوره عن حبيبهم... والفرق بين الرضا والصبر أن الصبر كف النفس وحبسها عن السخط مع وجود الألم وتمني زوال ذلك وكف الجوارح عن العمل بمقتضى الجزع والرضا انشراح الصدر، وسعته بالقضاء وترك تمني زوال الألم، وإن وجد الإحساس بألم، لكن الرضا يخففه ما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرضا، فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية" (الحنبلي: ١٤٠٨ه، ١٩٥)

وفي حلية الأولياء جاء: "قال لي رجل: لو جعلت لي دعوة مستجابة ما سألت الفردوس، ولكن أسأله الرضا، هو تعجيل الفردوس، الرضا إنما هو في الدنيا، يقول رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم هناك في الآخرة، والرضا ملك يفضي إلى ملك، وهم أوجه الخلق عندهم، ولم تكن لهم أعمال، تقدمت شكرهم عليها، ولا شغفاً لهم عنده، ولكنه كان ابتداء منه، وقد فرغ الله مما أرادوا، أسعد بالعلم من قد عرف، وإنما العقوبات على قدر الملمات إذا لم يكن شيء جاءت عقوبات ذلك بقدره" (الأصبهاني:١٤٠٥هـ،ج٩، ٣١٥)

يقول تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ (الأحزاب:٣٦) ويقول صاحب الظلال في تفسيره لهذه الآية: "فهذا المقوّم من مقومات العقيدة هو الذي استقر في قلوب تلك الجماعة الأولى من المسلمين استقراراً حقيقياً؛ واستيقنته أنفسهم، وتكيفت به مشاعرهم، هذا المقوم يتلخص في أنه ليس لهم في أنفسهم شيء، وليس لهم من أمرهم شيء، إنما هم وما ملكت أيديهم لله، يصرفهم كيف يشاء، ويختار لهم ما يريد، وإن هم إلا بعض هذا الوجود الذي يسير وفق الناموس العام، وخالق هذا الوجود ومدبره يحركهم مع حركة الوجود العام، ويقسم لهم دورهم في رواية الوجود الكبيرة، ويقرر حركاتهم على مسرح الوجود العظيم وليس لهم أن يختاروا الدور الذي يقومون به، لأنهم لا يعرفون الرواية كاملة،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وليس لهم أن يختاروا الحركة التي يحبونها لأن ما يحبونه قد لا يستقيم مع الدور الذي خصص لهم، وهم ليسوا أصحاب الرواية ولا المسرح، وإن هم إلا أجراء، لهم أجرهم على العمل، وليس لهم ولا عليهم في النتيجة" (قطب:١٩٨٦، ج٥، ٢٨٦٦)

ما روي في الأثر: "من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلواي فليتخذ رباً سواي" (ابن تيمية:١٤٠٦ه، ج٣، ٢٠٤) ويقول تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّـهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ** ﴾ (التوبة:٥٩) وفي ذلك يقول صاحب التفسير الكبير: "الرضا بما آتاهم الله ورسوله لعلمه بأنه تعالى حكيم منزه عن العبث والخطأ، وحكيم بمعنى أنه عليم بعواقب الأمور، وكل ما كان حكماً له وقضاء كان حقاً وصواباً ولا اعتراض عليه" (الرازي،ب.ت، ج١٦، ٩٩) ويقول ابن القيم الجوزية: "أنه إذا لم يكن راضياً عن ربه فهو ساخط عليه، إذ لا واسطة بين الرضا والسخط، وسخط العبد على ربه مناف لرضاه به ربا، قالوا: وأيضا فعدم رضاه عنه يستلزم سوء ظنه به ومنازعته له في اختياره لعبده وأن الرب تبارك وتعالى يختار شيئا ويرضاه فلا يختاره العبد ولا يرضاه وهذا مناف للعبودية" (ابن القيم: ١٩٧٣،ج١٨٨/٢) إن المصائب تنزل بالبر والفاجر، فمن سخطها فله السخط وخسران الدنيا والآخرة، ومن رضيها فله الرضا، والرضا أفضل من الجنة وما فيها، لقوله تعالى: ﴿ **وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ (التوبة:٧٢) ، أي من جنة عدن ومساكنها الطيبة.(عبد السلام: ١٩٩٢، ٢٢) وجاء في الحديث الشريف قول النبي صلوات الله وسلامه عليه: "ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية" (البخاري:١٩٨٧، ٤٣٦/١، ح١٢٣٥) فالرضا بقضاء الله وقدره يمثل حقيقة الإيمان في أعلى مراتبه، ولا يصل إليه إلا من استقر الإيمان في قلبه وسكن وجدانه وروحه، لذلك تبقى هذه الدرجة من أعلى المراتب التي يسعى المقربون والمخلصون والصادقون للوصول إليها، وحتما الابتلاءات المتكررة والمتنوعة تصقل المؤمن وتزرع فيه الرضا بقضاء الله وقدره.

٤_ تحقيق الأمن والطمأنينة في النفوس.

إن الإسلام جاء ليزرع الأمن والأمان والطمأنينة في قلوب الناس عامة، وفي قلوب المؤمنين خاصة، فقال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ (الأنعام:٨٢) "لقد كانت قاعدة الإسلام التي يقوم عليها كل بنائه هي حماية الإنسان من الخوف والفزع والاضطراب وكل ما يحد حريته وإنسانيته، والحرص على حقوقه المشروعة في الأمن والسكينة والطمأنينة، وليس هذا بالمطلب الهين فكيف يحقق الإسلام للمسلمين الأمن، والسكينة والطمأنينة"(الخراشي، موقع بلاغ)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتأتي الابتلاءات والمحن لتحقيق الأمن والطمأنينة والسكينة في نفوس المؤمنين، فحين يعيش المؤمن واقع الابتلاء ويستقر الإيمان في النفوس يعيش المؤمن حالة الأمن والسكينة والطمأنينة، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ**﴾ (آل عمران: ١٥٤) لقد نزلت هذه الآيات في وصف ما حدث في معركة أحد، حين اضطربت الصفوف وتخلخلت بفعل ما تعرضت له من الهزيمة بسبب مخالفتهم لأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان ابتلاء ومحنة عظيمة،ويقول صاحب الظلال تعليقا على ظاهرة النعاس التي تنزل على المؤمنين: "وهي ظاهرة عجيبة تشي برحمة الله التي تحف بعباده المؤمنين، فالنعاس حين يلم بالمجهدين المرهقين المفزعين ولو لحظة واحدة يفعل في كيانهم فعل السحر، ويردهم خلقاً جديداً ويسكب في قلوبهم الطمأنينة كما يسكب في كيانهم الراحة، بطريقة مجهولة الكنه والكيف! أقول هذا وقد جربته في لحظة كرب وشدة، فأحسست فيه رحمة الله الندية العميقة بصورة تعجز عن وصفها العبارة البشرية القاصرة" (قطب: ١٩٨٦، ج١ ،٤٨٩)

إن هذه التوجيهات القرآنية والوصف القرآني لما حدث في غزوة أحد هو بمثابة مواساة للمؤمنين الذين تعرضوا للابتلاء في غزوة أحد، أن الله مطلع، ويعلم السر وأخفي، وبالتالي يجب أن يعيش المؤمن حالة السكينة والطمأنينة، وهذا لا يتأتى إلا بالإيمان بالله والتوكل عليه كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾ (الأنعام:٨٢)

وفي معركة بدر الكبرى وبعد أن أصبح الخيار أمامهم مواجهة العدو يقول تعالى: ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ**﴾ (الأنفال: ١١) لقد فزع المسلمون وهم يرون أنفسهم قلة في مواجهة خطر لم يحسبوا حسابه ولم يتخذوا له عدته، فإذا النعاس يغشاهم، ثم يصحون منه والسكينة تغمر نفوسهم؛ والطمأنينة تفيض على قلوبهم.(قطب: ١٩٨٦، ج٣، ١٤٨٤)

فالطمأنينة كحالة نفسية يدركها المؤمن في واقع البلاء والاختبار هو من أعظم التثبيت للمؤمنين في حياتهم وفي مواجهتهم للصعاب والشدائد والمحن والبلايا.

فالقلق والفزع أثناء مسيرة الإنسان في حياته تشكل عائقا أمام تقدمه وانسجامه مع حركة الكون، لكن الطمأنينة والسكينة هي التي تدفع الإنسان المؤمن نحو التقدم والارتقاء، ومواجهة الصعاب والشدائد والمحن بثبات وصبر وتوكل، دون أن تهزه ودون أن تحطمه وتسقطه.

لذلك جاءت التوجيهات القرآنية أن حالة السكون والطمأنينة هي الحالة الطبيعية للمؤمنين الذين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يثقون بالله، لذلك نجد قول المؤمنين في غزوة الأحزاب كما قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**﴾ (الأحزاب: ٢٢) "لمَّا عاين المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار قالوا -تسليما منهم لأمر الله، وإيقانا منهم بأن ذلك إنجاز وعده لهم، الذي وعدهم"(الطبري:٢٠٠٠، ج٢٠، ٢٣٦)

فكلما اشتد الألم وزادت المحن على المؤمنين أكسبتهم الثقة والطمأنينة بقدر الله كما قال تعالى مربيا المؤمنين على التحمل والصبر، ليسكن ويستقر في نفوسهم السكينة والطمأنينة بقوله: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ (البقرة: ٢١٤)

فحين يرى المؤمن ويعيش حالة الابتلاء يرى وعد الله ويرى قدره فيزداد إيمانه وتطمئن نفسه وتسكن جوارحه ويستقبل كل أقدار الله بنفس مطمئنة صابرة محتسبة.

٥_ استنهاض الإرادة والعزيمة.

إن الإرادة والعزيمة محلها القلب، وهي التي تدفع الإنسان للعمل والعطاء، فبدون الإرادة والعزيمة يتوقف الإنسان عن العطاء، وقد جاء في لسان العرب معنى العَزْمُ: ما عَقَد عليه قَلْبُك من أَمْرٍ أَنَّكَ فاعِلُه(ابن منظور:١٩٩٩، ج٩، ١٩٣) وقد جاء في القاموس المحيط بمعنى: جد في الأمر.(الفيروز آبادي، ج٤، ١٥١) وجاء في المفردات للراغب الأصفهاني بأنها عقد القلب على إمضاء الأمر.(الراغب،ب.ت، ٣٣٤)

إن الإرادة والعزيمة تخضع للنفس، لذلك حرص الإسلام على استنهاض الإرادة والعزيمة، التي تمكن المسلم والمؤمن من السير على درب الإسلام، والالتزام بتعاليم هذا الدين، والقيام بأعباء الدعوة إلى الله.

"فالإرادة قوة عظيمة من قوى النفس، تلعب مع العقل الدور الفعال في الوعي والاختيار، والعقل حين يتبصر الإرادة ويوجهها يستشعر الإنسان قوى التقوى فيه، فيستمد العقل صفاءه من الروح لينعكس ذلك على النفس سموا فوق غرائزها"(الفرماوي: ٢٠٠١، ٣٤٧)

ومن المعلوم يقينا أن النفس الإنسانية حين يتوجه اختيارها للحق، وتقوى إرادتها على الحق، وتحاكم الأمور على مقتضى العقل، وتسير بفطرتها نحو الهدى، وتطبق الشريعة بيسر، وتتبع المنهج الذي أنزله الله بدقة، فإنها _ولاشك_ تكون من المتقين الأبرار، وتسلك دائما طريق المصطفين الأخيار.(علوان: ٢٠٠٢، ٢٦) فقد جاء الإسلام ليستنهض إرادة وعزيمة المؤمنين، لكي يمضوا في طريق الدعوة وتقوى عزائمهم، فيقدروا على مواجهة الفتن والابتلاءات، فالمحن والشدائد هي القادرة على استنهاض الإرادات والعزائم النائمة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد كانت التوجيهات النبوية لرسولنا صلى الله عليه وسلم تدفع إلى استنهاض الهمم والعزيمة والإرادة في نفوس المؤمنين، فقد جاء في الحديث الشريف: "شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه فما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون" (البخاري:١٩٨٧، ١٣٢٢/٣، ح٣٤١٦)

لقد كان يدفع الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة إلى الصبر باستنهاض العزيمة والإرادة في نفوسهم، فتلك الجماعة لا يمكن أن تحمل أعباء الدعوة إلى الله دون أن تكون صابرة، وتستخرج مكنون العزائم والإرادة في نفوسها وروحها.

وقد جاء الرسل والأنبياء يستنهضون العزيمة والإرادة في نفوس أتباعهم في ظل الألم والمعاناة، في رحلة الدعوة إلى الله، فقد جاء القرآن الكريم يبين أثر الابتلاءات في النفوس، وكيف عالج الخوف والتراجع أمام سطوة الظلم، باستنهاض العزيمة في النفوس فقال تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ، قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ،قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾ (الأعراف: ١٢٧_١٢٩)

اعلم أن قوم موسى عليه السلام، لما سمعوا ما ذكره فرعون من التهديد والوعيد خافوا وفزعوا، وقالوا قد أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا وذلك، لأن بني إسرائيل كانوا قبل مجيء موسى عليه السلام مستضعفين في يد فرعون اللعين، فكان يأخذ منهم الجزية ويستعملهم في الأعمال الشاقة ويمنعهم من الترفه والتنعم ويقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، فلما بعث الله تعالى موسى عليه السلام قوي رجاؤهم في زوال تلك المضار والمتاعب، فلما سمعوا أن فرعون أعاد التهديد مرة ثانية عظم خوفهم وحزنهم، فقالوا هذا الكلام.(الرازي،ب.ت، ج١٤، ٢١٢، ٢١٣)

إنه مشهد النبي موسى - عليه السلام - مع قومه، يحدثهم بقلب النبي ولغته، ومعرفته بحقيقة ربه؛ وبسنته وقدره، فيوصيهم باحتمال الفتنة، والصبر على البلية، والاستعانة بالله عليها. ويعرفهم بحقيقة الواقع الكوني، فالأرض لله يورثها من يشاء من عباده. والعاقبة لمن يتقون الله ولا يخشون أحداً سواه، فإذا شكوا إليه أن هذا العذاب الذي يحل بهم قد حل بهم من قبل أن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يأتيهم، وهو يحل بهم كذلك بعدما جاءهم، حيث لا تبدو له نهاية، ولا يلوح له آخر، أعلن لهم رجاءه في ربه أن يهلك عدوهم، ويستخلفهم في الأرض ليبتليهم في أمانة الخلافة.(قطب: ١٩٨٦، ج٣، ١٣٥٥)

لقد جاء موقف النبي موسى عليه السلام واضحا، في استنهاض عزيمة قومه وإرادتهم في الصبر والصمود، في مواجهة ظلم فرعون وقومه، فالقدرة على المسير والتحمل لا تتم إلا بتلك الإرادة والعزيمة التي تتحطم عليها كل الآلام والعذابات.

وفي هذا الوقت المعاصر، نحن أحوج ما نحتاج إلى استنهاض الهمم والعزائم التي تقود الأمة نحو النصر والتمكين، في ظل الابتلاءات والمحن التي تتعرض لها الأمة.

٦_ غرس الأمل والتفاؤل في النفوس.

إن الأمل والتفاؤل هو من أهم الأمور التي تعبر عن صحة النفس الإنسانية، وبدون الأمل والتفاؤل يعيش الإنسان حياة بائسة يائسة، لا يستطيع العطاء ولا الارتقاء.

فالأمل والتفاؤل هو القادر على أن يدفع الإنسان نحو التقدم والارتقاء، والانسجام مع واقعه الذي يحياه، لذلك جاء الإسلام ليزرع ويغرس الأمل في نفوس المؤمنين، ويخرجهم من حالة اليأس والقنوط، ليكون بإمكانهم العطاء، وحمل أمانة الرسالة.

لذلك كانت الآيات القرآنية والتوجيهات النبوية تزرع الأمل والتفاؤل في قلوب عباده الصالحين، في ظل المحن والابتلاءات، فقال تعالى وهو يواسي المؤمنين بعد غزوة أحد ويزرع في نفوسهم الأمل: ﴿**وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ (آل عمران: ١٣٩) كما جاء القرآن الكريم بالتعقيب على قصة قارون ووضع قاعدة التصور التي يجب أن ينطلق منها ومن خلالها في حياته، وهو مفعم بالأمل والتفاؤل أن النهاية ستكون للمؤمنين الصادقين، الذين يبتغون وجهه، كما قال تعالى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (القصص:٨٣) .

وفي قصة سيدنا يوسف عليه السلام كانت كلمات سيدنا يعقوب لأبنائه ينبع منها الحكمة، من خلال غرس التفاؤل في قلوب أبنائه، فقال تعالى على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام: ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (يوسف:٨٧) فالمؤمنون الموصولة قلوبهم بالله، الندية أرواحهم بروْحه، الشاعرون بنفحاته المحيية الرخية، فإنهم لا ييأسون من روْح الله ولو أحاط بهم الكرب، واشتد بهم الضيق. وإن المؤمن لفي روح من ظلال إيمانه، وفي أنس من صلته بربه، وفي طمأنينة من ثقته بمولاه، وهو في مضايق ومخانق الكروب.(قطب:١٩٨٦،ج٤، ٢٠٢٦)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد جاءت التوجيهات القرآنية تباعا تدعو إلى التفاؤل والأمل تغرسه في النفوس غرسا، فقال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ**﴾ (يوسف: ١١٠) كما قال تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ**﴾ (البقرة: ٢١٤)

لا مكان لليأس في حياة المؤمنين، فالأمل والتفاؤل هو وحده الذي يسكن القلب، ويستولي على المشاعر والروح، فثمرة الإيمان ومواجهة الصعاب والمحن هو الأمل والتفاؤل الدائم، فلا يترك الله المؤمنين يواجهون الصعاب وحدهم، بل يربط على القلوب وينزل رحماته ونصره على عباده الصادقين المخلصين، كما قال تعالى وهو يتحدث عن غزوة بدر الكبرى: ﴿**بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ وَمَاجَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَاالنَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**﴾ (آل عمران: ١٢٥، ١٢٦)

ومن التحديات الكبيرة التي تواجه شباب الإسلام اليوم هو تحدي التيئيس من أي عمل إسلامي يسوق إلى العزة ويقود إلى النصر، هذه الظاهرة من اليأس والقنوط إذا استفحلت في أمة، وترسخت في نفس الشباب، ورجال الدعوة والإصلاح، فإنها في الحقيقة القاصمة التي تقصم مسيرة العمل الإسلامي وتشله، والحالقة التي تحلق التفاؤل بالنصر وتقتله، فلم يبق لإقامة العزة الإسلامية في النفوس رجاء، ولم يعد لاستعادة الأمجاد التاريخية في الأذهان أمل. (علوان٢٠٠٢، ٢٨٧)

إن التفاؤل بالنصر هو مقدمة النصر، وأن القوة المعنوية في كل أمة هي التي تدفع شبابها ورجالها إلى تحقيق المزيد من الانتصارات الخالدة في كل زمان ومكان، وهي التي تبرهن على أنه لا يجوز اليأس في تحقيق السيادة للمسلمين في دين الله، وهي التي تبقي لأمة الإسلام أصالتها في العزة والقوة والكيان، مهما أصابها من كوارث وأحداث.(علوان: ٢٠٠٢، ٣٢٠)

قال تعالى: ﴿**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ (العنكبوت: ٢، ٣)

و حاشا لله أن يعذب المؤمنين بالابتلاء، وأن يؤذيهم بالفتنة، ولكنه الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة، فهي في حاجة إلى إعداد خاص لا يتم إلا بالمعاناة العملية للمشاق؛ وإلا بالاستعلاء الحقيقي على الشهوات، وإلا بالصبر الحقيقي على الآلام، وإلا بالثقة الحقيقية في نصر الله أو في ثوابه، على الرغم من طول الفتنة وشدة الابتلاء.(قطب: ١٩٨٦، ج٥، ٢٧٢١)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نزلت هذه الآيات لتبين لليائسين المعوقين، أن الإسلام لا ينتصر إلا أن يمر المسلمون على مرحلة الابتلاء والأذى في مواجهتهم للكفر وأهله، وصراعهم مع الباطل وأعوانه ودعاته.(علوان: ٢٠٠٢،٣٠٧)

فالأمل والتفاؤل هو من الضرورات التي يجب أن يتمتع بهما الإنسان في حياته، وفي مواجهة الشدائد والمحن، وفي مسيرة دعوته إلى الله تعالى، والمؤمن الصادق حتما يعيش حالة اليقين والأمل كما قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**﴾ (الأحزاب:٢٢)

فثمرة الإيمان والوعي، هو التفاؤل والأمل بنصر الله، وبالعاقبة الطيبة الحسنة لعباده المخلصين.

٧_تعزيز أواصر المحبة بين قلوب المؤمنين.

لقد جاء الإسلام ليعزز روابط المحبة بين المسلمين وبين المؤمنين، فلا مكان للأحقاد والغل والضغائن في القلوب، بل هو الحب والمودة، وليس هناك أكثر من المحن والابتلاءات تزرع الحب في القلوب.

إن من منافع الابتلاء والمحنة أنها تقوي رابطة المؤمنين من حملة الدعوة إلى الله، بأن المحنة تضم إليهم عنصرا جديدا، يحميهم ويوثق عرى الاتصال بينهم، فإذا كانت العقيدة هي الرابطة الجوهرية الأصيلة التي تحت لوائها يتجمعون ويتراصون كالبنيان، فإن المحنة عامل مساعد يزيد هذا الترابط قوة وعمقا، ومن شأنه أن يزيل كل فجوة بين الصفوف، وأن يشعر الجميع بكمال الوحدة، وتمام التضامن.(القرضاوي: ١٩٨٨، ١٣٤)

وقد جاء قول الله عز وجل يصف مشاعر الأنصار تجاه إخوانهم قائلا: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (الحشر: ٩)

لقد حملوا مشاعر الحب التي أثنى الله على هذه المشاعر الإنسانية النبيلة، وقد أشارت التوجيهات القرآنية والنبوية إلى ضرورة الحب الذي يمثل تمام الإيمان، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم" (مسلم،ب.ت، ٧٤/١، ح٥٤)

وقد جاء في الحديث الشريف أن المتحابين يظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآل وسلم: "سبعة يظلهم الله في ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى، حتى لا تعلم شماله

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه" (البخاري: ١٩٨٧، ٢٣٤/١، ح٦٢٩)
وفي حديث آخر قال: "إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي" (مسلم،ب.ت، ١٩٨٨/٤، ح٢٥٦٦)
إن هذه العلاقة القائمة على الحب هي من أرقى الدرجات، لذلك حرص الإسلام على بث هذه المشاعر الأخوية الصادقة، وليس هناك أكثر من الابتلاء والمحن التي تزيد من وشائج المحبة، وترفع هذه العاطفة إلى أعلى درجاتها.
وأما ما يحققه الابتلاء من الرباط العاطفي فإن الألم أدعى إلى تحقيق المشاركة والتعاون، وقد ينسىالمرء من شاركه في مناسبة سعيدة هنيئة، ولكنه لا ينسى من شاركه في الألم والمعاناة.(سعيد:٢٠٠٠، ٥٣)
ولقد حفلت السيرة النبوية بالنماذج المخلصة التي حملت الحب للمؤمنين وهي تدافع عن النبي وعن دعوة الله بأرواحها ودمائها، فعن أنس بن مالك قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وأبو طلحة بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم مجوب به(مترس به) ، عليه بحجفة له،وكان أبو طلحة رجلا راميا شديد القد، يكسر يومئذ قوسين أو ثلاثا، وكان الرجل يمر معه الجعبة من النبل فيقول: (انثرها لأبي طلحة) . فأشرف النبي صلى الله عليه وسلم ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة: يا نبي الله، بأبي أنت وأمي، لا تشرف يصبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك. ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وإنهما لمشمرتان، أرى خدم سوقهما تنقزان القرب على متونهما، تفرغانه في أفواه القوم، ثم ترجعان فتملآنها، ثم تجيآن فتفرغانه في أفواه القوم، ولقد وقع السيف من يدي أبي طلحة إما مرتين وإما ثلاثا.(البخاري: ١٩٨٧، ١٣٨٦/٣، ح٣٦٠٠)
هذه النفوس والأرواح التي عشقت نبيها، فكانت في واقع المحنة تظهر حبها وفداءها لنبيها، فالمحنة هي التي تزرع الحب وتخرجه، بحيث تسيطر هذه العاطفة على النفس والقلب والروح، لذلك علاقات أولئك الذين خاضوا المحنة سويا هي من أقوى العلاقات، ولا تنتهي أبدا.

٨_ تفعيل النقد الذاتي للجماعة المؤمنة.

يقول تعالى: ﴿**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير**﴾ (آل عمران:١٦٥) إن ما يقع من ابتلاءات ومصائب للجماعة المؤمنة حري بها أن تقوم بدراسة نقدية، تستطيع من خلاله فهم الأخطاء والأسباب التي أدت إلى هذا الخلل والمصاب، فكون الجماعة مؤمنة لا يعفيها من أن تكون خاضعة لسنن الله في الأرض، فلا يشفع لها إيمانها أن تنتصر وهي لم تحقق الشروط التي بموجبها تستحق النصر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإلهي، إن هذه التربية القرآنية العقائدية، تجعل المؤمنين في حالة نقد ومحاسبة وتقييم.

ويقول عز وجل: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾ (الشورى:٣٠) فقد حث القرآن المؤمنين عن البحث عن أخطائهم والتدريب على منهج النقد الذاتي بدل منهج التبرير؛ ليستطيعوا الارتقاء والخروج من دائرة الغفلة، لذلك مدح الله عز وجل النفس اللوامة التي تلوم وتتراجع عن الأخطاء بقوله تعالى: ﴿**وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ**﴾ (القيامة:٢)

وقد قال الحسن رحمه الله: رحم الله عبدا وقف عند همه فإن كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر.(ابن القيم:١٩٧٥، ١، ٨١) وقد جاء في الحديث الشريف: "الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله" (الترمذي،ب.ت، ٦٣٨/٤، ح٢٤٥٩)

ويقول عز وجل: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُبْصِرُونَ**﴾ (الأعراف:٢٠١)

فمحاسبة النفس والنقد الذاتي هو من صميم العقيدة التي حث الله عليها، ليقف المؤمن عند حدود نفسه فيلزمها (وقد قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا....كما قال التابعي مالك بن دينار رحمه الله تعالى: رحم الله عبدا قال لنفسه ألست صاحبة كذا ألست صاحبة كذا ثم ذمها ثم خطمها ثم ألزمها كتاب الله تعالى فكان له قائدا) (الغزالي،ب.ت، ج٤، ٤٠٥)

فإذن يجب التفريق بحسم بين صنفين من المحنة، صنف يحدث من أنواع الاضطهاد بسبب عقائدي بحق (تكذيب، وإيذاء) وتعذيب بدني وما شابه، وصنف يحدث فيه مصائب بواعثها العمل، والصنف الأول يعالج الموقف فيه بزيادة شحنة الصبر والمصابرة والثاني بالصبر مضافا إليه تعديل خطأ ما حدث كدرس لن يتكرر في المستقبل.(جلبي: ١٩٨٠، ٥٣) إن النقد الذاتي يأتي في سياق تربوي في ظل الابتلاءات والمحن؛ لترجع الجماعة المؤمنة لربها ولرشدها من خلال محاسبتها لنفسها وتقييمها لأخطائها، فهذا البعد التربوي العقائدي يمنح الجماعة المؤمنة ارتقاءً وصعوداً نحو وجه، ونحو المسيرة الراشدة التي أراد الله أن تسيرها الجماعة.

٩_ مجاهدة النفس.

إن مجاهدة النفس لمن أعظم الأمور التي يجب على المؤمن أن يتصف بها، ليستطيع أن يتغلب على شهوات الدنيا وحظوظها، لذلك كانت التوجيهات القرآنية والنبوية تدفع المؤمنين إلى مجاهدة النفس، فهي التي ترتقي بالإنسان وتهديه إلى سبيل الرشاد.

فيقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (العنكبوت: ٦٩)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذين احتملوا في الطريق إليه ما احتملوا، فلم ينكصوا ولم ييأسوا، الذين صبروا على فتنة الناس، الذين حملوا أعباءهم وساروا في ذلك الطريق الطويل الشاق الغريب، أولئك لن يتركهم الله وحدهم، ولن يضيع إيمانهم، ولن ينسى جهادهم، إنه سينظر إليهم من عليائه فيرضاهم، وسينظر إلى جهادهم إليه فيهديهم، وسينظر إلى محاولتهم الوصول فيأخذ بأيديهم، وسينظر إلى صبرهم وإحسانهم فيجازيهم خير الجزاء.(قطب: ١٩٨٦، ج٥، ٢٧٥٢)

ويقول تعالى: ﴿**وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ (العنكبوت:٦)

فإذا كتب الله على المؤمنين الفتنة وكلفهم أن يجاهدوا أنفسهم لتثبت على احتمال المشاق، فإنما ذلك لإصلاحهم، وتكميلهم، وتحقيق الخير لهم في الدنيا والآخرة، والجهاد يصلح من نفس المجاهد وقلبه، ويرفع من تصوراته وآفاقه، ويستعلي به على الشح بالنفس والمال، ويستجيش أفضل ما في كيانه من مزايا واستعدادات، وذلك كله قبل أن يتجاوز به شخصه إلى الجماعة المؤمنة، وما يعود عليها من صلاح حالها، واستقرار الحق بينها، وغلبة الخير فيها على الشر، والصلاح فيها على الفساد.(قطب:١٩٨٦، ج٥، ٢٧٢٢)

إن الصراع الذي يدور في النفس، وينتهي إلى سلوك على نحو ما، هو صراع بين نزعتين متضادتين، نزعة مادية تسود فيها قوى الذات الدونية، تلك التي إذا سادت تطرف السلوك إلى اللاسوية وعدم الاعتدال، ونزعة روحية تسمو بالسلوك ليتفق مع قيم الإنسان الموجبة.(الفرماوي: ٢٠٠١، ٣٤٦)

هكذا تأتي مجاهدة النفس في سياق البناء النفسي الذي يستطيع الإنسان المؤمن مواجهة التحديات على صعيد نفسه من جواذب الدنيا وشهواتها، فالصبر يحتاج إلى مجاهدة النفس وترويضها وتربيتها، وقد قال ابن رجب الحنبلي: "ولما كان الصبر شاقا على النفوس فهو يحتاج إلى مجاهدة النفس وحبسها وكفها عما تهواه" (ابن رجب: ١٤٠٨، ٢١٩) فمجاهدة النفس هي التي تدفع الشهوات التي تحول بين العبد وكمال الطاعة.(ابن القيم،ب.ت ج١، ٤٠) قال تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾ (الشمس: ٧_ ١٠) وتأتي الابتلاءات والمحن والشدائد لتدرب النفس على المجاهدة والالتزام، فتكون بمثابة الاختبار الحقيقي للنفس وقدراتها في مواجهة الفتن والشهوات والصبر عليها.وقد مر سيدنا يوسف عليه بأعظم الابتلاءات والمحن والتي كان من بينها محنة امرأة العزيز، قال تعالى: ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ، وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ (يوسف: ٢٣، ٢٤)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن يوسف عليه السلام كان في غاية الجمال والحسن، فلما رأته المرأة طمعت فيه ويقال أيضاً إن زوجها كان عاجزاً يقال: راود فلان جاريته عن نفسها وراودته هي عن نفسه،(**وَغَلَّقَتِ الأبواب**) والسبب أن ذلك العمل لا يؤتى به إلا في المواضع المستورة لا سيما إذا كان حراماً، ومع قيام الخوف الشديد.(الرازي،ب.ت، ج١٨، ١١٢)

وقد عبر القرآن الكريم عن موقف يوسف عليه السلام بعد التهديدات التي تعرض لها فقال تعالى: ﴿**قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ، قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ (يوسف: ٣٢_٣٤)

إن التجربة التي مر بها يوسف أو المحنة لم تكن فقط في مواجهة المراودة في هذا المشهد الذي يصوره السياق. إنما كانت في حياة يوسف فترة مراهقته كلها في جو هذا القصر، مع هذه المرأة بين سن الثلاثين وسن الأربعين، مع جو القصور...فهذه البيئة التي تسمح بهذا وذلك بيئة خاصة،هي بيئة الطبقة المترفة دائماً، ويوسف كان فيها مولى وتربى فيها في سن الفتنة، فهذه هي المحنة الطويلة التي مر بها يوسف، وصمد لها، ونجا منها ومن تأثيراتها ومغرياتها وميوعتها ووسائلها الخبيثة، ولسنه وسن المرأة التي يعيش معها تحت سقف واحد كل هذه المدة قيمة في تقدير مدى الفتنة وخطورة المحنة والصمود لها هذا الأمد الطويل، أما هذه المرة فلو كانت وحدها وكانت مفاجأة بلا تمهيد من إغراء طويل، لما كان عسيراً أن يصمد لها يوسف، وبخاصة أنه هو مطلوب فيها لا طالب، وتهالك المرأة قد يصد من نفس الرجل، وهي كانت متهالكة.. والنص هنا صريح وقاطع في أن رد يوسف المباشر على المراودة السافرة كان هو التأبي، المصحوب بتذكر نعمة الله عليه، وبتذكر حدوده وجزاء من يتجاوزون هذه الحدود. (قطب: ١٩٨٦، ج٤، ١٩٨٠، ١٩٨١)

إن قصة سيدنا يوسف عليه السلام تتجلى فيها مجاهدة النفس أمام المحن والإغراءات التي واجهته، والتي قد يسقط فيها الكثير، فمجاهدة النفس هي أمر نفسي وإرادة صلبة لمن استحوذ الإيمان على قلبه فأدرك حقيقة مجاهدة النفس بالصبر عن المعاصي وغضب الله.

والابتلاءات الربانية هي التي تكشف مكنون هذه النفوس التي أخلصت لربها، وتدربها على المواجهة لتنال رضا ربها، فحين يعتاد المؤمن على الابتلاءات تتوطن نفسه على المواجهة، وتتعزز لديه مجاهدة النفس، فيصبح أكثر قدرة على مواجهة المحن والإغراءات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النتائج و التوصيات

أولاً: النتائج:

بداية أسأل الله أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن تكون هذه الدراسة وبما توصلت إليه هو خدمة للإسلام والمسلمين،وأوجز ما وصلت إليه الدراسة من نتائج في النقاط التالية:

١_ سنة الابتلاء في الإسلام تعتبر تكليفاً إلهياً ليس للإنسان حكم في اختيارها، فهي قدر من الله على الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وأن هذه السنة مقتصرة على الحياة الدنيا، تنتهي بانتهاء الحياة، وموت الإنسان، والآخرة هي دار القرار والجزاء على العمل. كما أنها تعتبر ظاهرة صحية، فهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحياة الإنسان، فهي تحافظ على كينونته، وتضبط مسار حياته، وما خلق من أجله.

٢_ سنة الابتلاء تكشف معادن الناس، وهي مبنية على قدرة الإنسان على الاختيار بين الخير والشر، والله سبحانه وتعالى يحاسب الناس على ما يقع منهم لا على ما يعلمه منهم.

٣_ سنة الابتلاء تتصف بخمس خصائص هي: أولاً: أنها سنة ربانية، فهي مشيئة إلهية، وقدر رباني لا مفر منه. ثانياً: حتمية سنة الابتلاء، فسنة الابتلاء قدر محتوم، لا مفر ولا مهرب منه، على الإنسان أن ينسجم معه بكل إيجابية. ثالثاً: أنها ذات طابع إنساني، فالابتلاء هو جزء أصيل من إنسانيته القائمة على الكدح والتعب والجهد.رابعاً: أنها سنة مطردة ومتتابعة ومستمرة، فليست محددة بوقت محدد، فطالما بقيت هذه الحياة فسنة الابتلاء باقية ومستمرة.خامساً: الشمولية، فسنة الابتلاء تشمل كل مناحي الحياة، في الخير والشر، هذا من جانب، وتشمل الإنس والجن من جانب آخر.

٤_ يتعرض الإنسان إلى أنواع مختلفة من الابتلاءات، وأهمها:

أولاً: من حيث العموم والخصوص:الأول: الابتلاء العام الذي يتقدم له جميع الناس من حيث التكليف بالإيمان، فإذا نجح في الابتلاء في العام فإنه يتعرض للابتلاء الخاص وهو: ابتلاء المؤمنين، حيث يبقى المؤمن في ابتلاء مستمر بناء على كونه مؤمنا.

ثانياً: من حيث النوع. أولاً: ابتلاء العقول، وهو من أعظم الابتلاءات التي تصيب الإنسان، وقد أشار الباحث إلى أساليب تزكية العقل في ضوء الفكر الإسلامي. ثانياً: ابتلاء النفوس، وهو يأتي بعد ابتلاء العقول، ليكشف مخبوء هذه النفوس، ويوطنها على الصبر وتحمل الشدائد.

ثالثاً: من حيث المدى، أولاً: الابتلاء الفردي، وهو الابتلاء الذي لا يكون له علاقة بالصراع الدائر بين أولياء الله وأولياء الشيطان تارة، وتارة يكون له علاقة، وتم عرض بعض النماذج

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للابتلاء الفردي ممثلا في: ابتلاء سيدنا أيوب عليه السلام، وابتلاء سيدنا إبراهيم عليه السلام، وابتلاء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.وثانياً: الابتلاء الجماعي، وهو الذي يكون بسبب الصراع بين أولياء الله وأولياء الشيطان، وتم الإشارة إلى أهم الابتلاءات التي تتعرض لها الجماعة المؤمنة، وهي: تسلط الكافرين على المؤمنين وصرف قلوب المؤمنين عن مواجهتهم، والخوف والرعب الشديد، والخوف والفقر والضعف.

٥_ تم استنباط أهم الأبعاد التربوية العقائدية لسنة الابتلاء، وقد تم تقسيم الأبعاد المستنبطة إلى قسمين، على الصعيد الفردي وعلى صعيد الجماعة، وأهم الأبعاد العقائدية على صعيد الفرد هي: تحقيق العبودية لله عز وجل، و تزكية النفس والإخلاص لله، و التوبة إلى الله والإنابة إليه، و التضرع والدعاء إلى الله، و تكفير الذنوب والخطايا ورفع المنزلة عند الله، و الإعداد التربوي العقائدي للمؤمن، و التمييز بين المؤمن والكافر.

أما أهم الأبعاد التربوية العقائدية على صعيد الجماعة فقد تم استنباط الأبعاد التالية: تحقيق عقيدة الولاء والبراء، و تمحيص المؤمنين، و التمييز بين المؤمنين والمنافقين، و إظهار المؤمنين على حقيقتهم، و إخلاص النفوس وإخلاص الغايات والأهداف، و الإعداد التربوي العقائدي تمكينا للجماعة المؤمنة ونصرتها، و تفعيل النقد الذاتي للجماعة المؤمنة،، التضرع والدعاء إلى الله، و اصطفاء الشهداء.

٦_ تم استنباط أهم الأبعاد الأخلاقية لسنة الابتلاء، وقد تم تقسيم الأبعاد الأخلاقية على صعيد الفرد وعلى صعيد الجماعة، وأهم الأبعاد الأخلاقية على صعيد الفرد كانت كالتالي: التحلي بالصبر على الابتلاء و المحن، و التحلي بخلق الصدق قولا وعملا، و التحلي بخلق التواضع،، التحلي بخلق الحلم والعفو و الصفح، و التحلي بخلق الوفاء بالوعد والعهد، و التحلي بخلق الجود والبذل والإيثار والكرم، و التحلي بالشجاعة والهمة العالية والقوة والعزة.

وأهم الأبعاد الأخلاقية التي تم استنباطها على صعيد الجماعة كانت كما يلي: تحقيق الاستقامة على صعيد الجماعة، و تحقيق القدوة الحسنة والنموذج الصادق، نصرة المظلومين والمستضعفين، و تحقيق الطاعة للأمير (ولي الأمر) ،

٧_ تم استنباط الأبعاد الاجتماعية لسنة الابتلاء، وأهم الأبعاد كانت كما يلي: تحقيق العدالة الاجتماعية ومواجهة الظلم في المجتمع، و تحقيق الحرية للفرد والمجتمع، و تحقيق الشورى والديمقراطية في المجتمع، و تحقيق المساواة في المجتمع، و تحقيق الأخوة في المجتمع، و تحقيق التعاون في المجتمع، و تحقيق التكافل الاجتماعي في المجتمع، و تحقيق التراحم والرحمة في المجتمع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٨_ تم استنباط أهم الأبعاد النفسية لسنة الابتلاء المتمثلة في تحقيق استواء الفطرة لدى الإنسان، و تحقيق السعادة والفرح في حياة المؤمنين، و الرضا بقضاء الله وقدره، و تحقيق الأمن الطمأنينة في النفوس، و استنهاض الإرادة والعزيمة، و غرس الأمل والتفاؤل في النفوس، و غرس المحبة بين قلوب المؤمنين، و مجاهدة النفس

ثانياً: التوصيات:

في ضوء ما توصلت إليه الدراسة من نتائج فإن الباحث يوصي بما يلي:

١_ أن يتم إعداد دراسات متنوعة تعنى باستنباط الأبعاد التربوية للسنن الإلهية في الجماعات والأفراد، لما لها من أهمية في حياة المجتمع والأفراد.

٢_ عقد دورات متخصصة في دراسة السنن الإلهية، من خلال تحديد تلك السنن، والتعريف بها ودفع العاملين في مجال البحث العلمي في استنباط الأبعاد التربوية لتلك السنن.

٣_ إصدار النشرات التثقيفية المتعلقة بالسنن الإلهية وإيصالها الدعاة في المساجد والمؤسسات التعليمية، لتعريف الناس بها وبأهميتها.

٤_ عقد مؤتمرات علمية متخصصة، في مجال السنن الإلهية، لدفع العاملين للبحث والكتابة في هذا المجال.

٥_ إعداد دراسات ميدانية تشخص الأبعاد التربوية لسنة الابتلاء المتعلقة بالبيئة الفلسطينية لما لها من خصوصية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الكتب

ثانياً: الرسائل الجامعية

ثالثاً: الدوريات والأبحاث

رابعاً: مواقع انترنت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أولاً: الكتب

- **القرآن الكريم.**

١. الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح،ب.ت، **المستطرف في كل فن مستظرف**، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

٢. الأشقر، عمر سليمة(١٤١٠ه_١٩٩٠م) : **نحو ثقافة إسلامية أصيلة**، ط٢، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت.

٣. الأغا إحسان (١٤١٧ه_١٩٩٧م) : البحث التربوي، **مطبعة المقداد**، غزة.

٤. الأغا إحسان ومحمود الأستاذ (١٤١٩ه_١٩٩٩م) : **تصميم البحث التربوي**، غزة.

٥. الألباني، محمد ناصر الدين (١٤٠٥ه_١٩٨٥م) : **السلسلة الصحيحة**، مكتبة العارف، الرياض.

٦. أنس،مالك أبو عبد الله الأصبحي،ب.ت، **موطأ الإمام مالك**، دار إحياء التراث العربي – مصر.

٧. البخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق د.مصطفى ديب البغا (١٤٠٧ه_١٩٨٧م) : **الجامع الصحيح المختصر**،ط٣،دار ابن كثير، اليمامة _ بيروت.

٨. البقري، أحمد ماهر محمود(١٤٠٣ه_١٩٨٣م) : **القيم الخلقية في الإسلام**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية.

٩. البوطي، محمد سعيد رمضان (١٤١٤ه_١٩٩٤م) : **فقه السيرة النبوية**، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، دار الفكر المعاصر، دمشق.

١٠. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (١٤١٤ه _ ١٩٩٤م) : **سنن البيهقي الكبرى**، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة

١١. الترمذي، محمد بن عيسى،تحقيق أحمد محمد شاكر: **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: حسنين محمد مخلوف (١٣٨٦ه_١٩٦٦م) : **الفتاوى الكبرى**، ط١، دار المعرفة، بيروت.

١٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (١٤٠٦ه_١٩٨٦م) : **منهاج السنة النبوية**، مؤسسة قرطبة، القاهرة.

١٤. جلبي، خالص(١٤٠٠ه_١٩٨٠م) : **ظاهرة المحنة محاولة لدراسة سننية**، ط١، دار القلم_ الكويت.

١٥. جمال، أحمد محمد(١٤٠٩ه_ ١٩٨٩م) : **خطوات على الطريق**، رابطة العالم الإسلامي، مكة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٦. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد: (١٤٠٤ه_١٩٨٤م) : **زاد المسير في علم التفسير**،ط٣، المكتب الإسلامي - بيروت
١٧. الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا(١٤١١ه_١٩٩٠م) : **المستدرك على الصحيحين**،ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٨. ابن حجرالعسقلاني، أحمد بن علي (١٣٧٩ه_١٩٦٠م) : **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت.
١٩. الحزيمي، سعود بن عبد الله(١٤٢٦ه_٢٠٠٥م) : **الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب**، ط١، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة.
٢٠. ابن حنبل،أحمد:ب.ت،**مسند الإمام أحمد بن حنبل**،مؤسسة قرطبة، القاهرة.
٢١. حوى، سعيد(١٤٠٨ه_١٩٨٨م) : **الإسلام**،ط٢، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة.
٢٢. خليل، عماد الدين(١٤١٦ه_١٩٩٥م) : **رؤيا إسلامية في قضايا معاصرة**، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر.
٢٣. أبو داود،سليمان بن الأشعث، تحقيق:عبد القادر عبد الخير (١٤١٩ه_١٩٩٩م) .**سنن أبي داود**، القاهرة، دار الحديث الشريف.
٢٤. دراز، محمد عبد الله (١٤٠٠ه_١٩٨٠م) : **دستور الأخلاق في الإسلام**، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار البحوث العلمية، الكويت
٢٥. دروزة، محمد عزة(١٣٨٤ه_١٩٦٥م) : **سيرة الرسول: صور مقتبسة من القرآن الكريم وتحليلات ودراسات قرآنية**، بدون دار نشر.
٢٦. الرازي، فخر الدين:ب.ت،**التفسير الكبير**، ط٢، دار الكتب العلمية، طهران.
٢٧. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر(١٤١٥ ه- ١٩٩٥م) : **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان ناشرون _ بيروت
٢٨. الراغب الأصفهاني،الحسين بن محمد، تحقيق: محمد سيد كيلاني:ب.ت، **المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة، بيروت.
٢٩. ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد(١٤٠٨ه_١٩٨٨م) : **جامع العلوم والحكم**، دار المعرفة – بيروت
٣٠. الزمخشري،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد:ب.ت، **الكشاف**، دار المعرفة،بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣١. زيدان، عبد الكريم (١٤١٣ه_١٩٩٣م) : **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٣٢. زيدان، عبد الكريم (١٣٩٥ه_١٩٧٥م) : **أصول الدعوة**، ط٣، دارعمر بن الخطاب للطباعة والنشر، الإسكندرية.
٣٣. السايح، أحمد عبد الرحيم(١٤١٧ه_١٩٩٦م) : **حاجة الإنسانية إلى ظهور الإسلام**، ط٢، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
٣٤. السباعي، مصطفى(١٤٠٨ه_١٩٨٨م) : **السيرة النبوية دروس وعبر**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.
٣٥. السباعي، مصطفى(١٤٢٠ه_١٩٩٩م) : **أخلاقنا الاجتماعية**، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت.
٣٦. ابن سعد، محمد، تحقيق إحسان عباس(١٣٨٨ه_١٩٦٨م) : **الطبقات الكبرى**، ط١، دار صادر، بيروت.
٣٧. سعيد، همام عبد الرحيم (١٤٢١ه_٢٠٠٠م) : **قواعد الدعوة إلى الله**، ط٦، دار الوفاء، المنصورة، مصر.
٣٨. أبو سليمان، عبد الحميد أحمد (١٤١٢ه_ ١٩٩١م): **أزمة العقل المسلم**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا.
٣٩. السيد، مجدي فتحي:ب.ت، **٣٠٠ قصة من قصص الابتلاء**، المكتبة التوفيقية، القاهرة
٤٠. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد (١٣٧١هـ_١٩٥٢م) : **تاريخ الخلفاء**، مطبعة السعادة، مصر.
٤١. الشاطبي، أبو اسحاق: ب.ت، **الموافقات في أصول الشريعة**، دار الفكر العربي.
٤٢. الصاوي، صلاح: ب.ت، **الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر**، بدون دار نشر.
٤٣. الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله(١٤٠٥ه_١٩٨٥م) : **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت.
٤٤. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد،عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني (١٤١٥ه_١٩٩٥م) : **المعجم الأوسط**، دار الحرمين، القاهرة.
٤٥. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(١٤٠٤هـ_ ١٩٨٣م) : **المعجم الكبير**، مكتبة العلوم والحكم، الموصل.

٤٦. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي،تحقيق أحمد محمد شاكر (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) : **جامع البيان في تأويل القرآن**،ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤٧. الطبري، محمد بن جرير (١٤٠٧هـ_ ١٩٨٧م) : **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية، بيروت

٤٨. عبد الفتاح، إسماعيل (١٤٢١هـ_٢٠٠١م) : **القيم السياسية في الإسلام**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة.

٤٩. ابن عبد السلام، العز (١٤١٣هـ_١٩٩٢م) : **الفتن والبلايا والمحن والرزايا**، دار الفكر، دمشق.

٥٠. العسقلاني أحمد بن حجر (١٤٢٠هـ_٢٠٠٠م) : **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

٥١. علوان، عبد الله ناصح (١٤٢٣هـ_٢٠٠٢م) : **الشباب المسلم في مواجهة التحديات**، ط٤، دار القلم، دمشق.

٥٢. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد:ب.ت، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

٥٣. الغزالي، محمد (١٤٠٠هـ _ ١٩٨٠) : **خلق المسلم**، دار القلم، دمشق، بيروت.

٥٤. الغضبان، منير محمد (١٤١١هـ_١٩٩٠م) : **المنهج الحركي للسيرة النبوية**، ط٦، مكتبة المنار، الأردن، الزرقاء.

٥٥. أبو فارس، محمد عبد القادر(١٤٠٨هـ_١٩٨٧م) : **في ظلال السيرة، غزوة أحد**، ط٢، دار الفرقان للنشر والتوزيع_ عمان.

٥٦. أبو فارس، محمد عبد القادر: ب.ت، **الابتلاء والمحن في الدعوات**، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٥٧. أبو فارس، محمد عبد القادر: ب.ت، **تزكية النفس**، دار الفرقان للنشر والتوزيع.

٥٨. الفرماوي، حمدي علي(١٤٢١هـ_٢٠٠١م): **ركائز البناء النفسي**، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة.

٥٩. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب:ب.ت، **القاموس المحيط**، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت.

٦٠. ابن قدامة، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة(١٤٢٠هـ_١٩٩٩م) : **مختصر منهاج القاصدين**، دار الفجر للتراث، القاهرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٦١. القرضاوي، يوسف(١٤٠٢ه_١٩٨٢م) : **الصحوة الإسلامية بين الجحود والتطرف**، كتاب الأمة، الدوحة.
٦٢. القرضاوي، يوسف(١٤٠٨ه_١٩٩٨م) : **من أجل صحوة إسلامية راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا**، بدون دار نشر.
٦٣. القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (١٤٠٨ه_١٩٨٨م) : **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٤. قرعوش، كايد (١٤٢٠ه_١٩٩٩م) : **الأخلاق في الإسلام**، دار المناهج، عمان
٦٥. القرني، عائض(١٤٢٣ه_٢٠٠٣م) : **لا تحزن**، ط٣، مكتبة العبيكات، الرياض
٦٦. القري، أحمد ماهر محمود(١٤٠٣ه_١٩٨٣م) : **القيم الخلقية في الإسلام**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
٦٧. القزويني، محمد بن يزيد أبو عبد الله، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي: ب.ت، **سنن ابن ماجة**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت.
٦٨. قطب، سيد (١٤٠٦ه_١٩٨٦م) : **في ظلال القرآن**، ط١٢، شركة دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ودار الشروق للطباعة والنشر، القاهرة.
٦٩. قطب، سيد(١٤٠٢ه_١٩٨٢م) : **معالم في الطريق**، ط٩، دار الشروق، القاهرة، بيروت.
٧٠. قطب، سيد(١٣٩٤ه_١٩٧٤م) : **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، دار الشروق، بيروت، القاهرة.
٧١. قطب، سيد(١٣٩٥ه_١٩٧٥م) : **نحو مجتمع إسلامي**، ط٢، دار الشروق، بيروت، القاهرة.
٧٢. قطب، محمد (١٤٠٧ه _ ١٩٨٦م) : **واقعنا المعاصر**، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، جدة.
٧٣. قطب، محمد(١٤٠٠ه_١٩٨٠م) : **الإنسان بين المادية والإسلام**، ط٦، دار الشروق، القاهرة.
٧٤. قنصوة، صلاح (١٤٠٤ه_١٩٨٤م) : **نظرية القيم في الفكر المعاصر**، ط٢، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت.
٧٥. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن بكر(١٤٠٧ ه _ ١٩٨٦م) : **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت – الكويت
٧٦. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن بكر:ب.ت، **الجواب الكافي**، دار الكتب العلمية، بيروت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧٧. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن بكر(١٤٠٤ه_١٩٨٤م) : **حكمة الابتلاء**،قدم له مروان كجك نشر وتوزيع دار الكلمة الطيبة، القاهرة.
٧٨. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن بكر (١٣٩٣ه_١٩٧٣م) : **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، دار الكتاب العربي – بيروت.
٧٩. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن بكر (١٤١٤ ه_ ١٩٩٤م) : **طريق الهجرتين وباب السعادتين**، دار ابن القيم - الدمام
٨٠. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن بكر(١٣٩٣ه_١٩٧٣م) : **الفوائد**، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨١. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن بكر: ب.ت، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨٢. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن بكر(١٤٢٣ه_٢٠٠٢م) :**عدة الصابرين**، دار الحديث، القاهرة.
٨٣. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن بكر(١٣٩٥ه_١٩٧٥م) : **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، دار المعرفة – بيروت.
٨٤. الكيلاني، ماجد عرسان(١٤٠٧ه_ ١٩٨٧م) : **تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية**، ط٣، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة.
٨٥. لحام، حنان (١٤٢١ه_٢٠٠١م) : **هدي السيرة النبوية في التغيير الاجتماعي**، دار الفكر للعلم،دمشق.
٨٦. مدني، عباسي: ب.ت، **أزمة الفكر الحديث ومبررات الحل الإسلامي**، مكتبة المنارة، مكة المكرمة.
٨٧. ملحم، سامي(١٤٢٢ه_٢٠٠٢م) : **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، دار السيرة.
٨٨. ابن منظور، محمد بن مكرم(١٤١٩ه_١٩٩٩م) : **لسان العرب**، ط٣، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
٨٩. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة(١٤١٣ه_١٩٩٢م) : **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، ط٣، دار القلم، دمشق.
٩٠. ابن كثير، إسماعيل بن عمر،تحقيق حامد الطاهر (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م) : **تفسير القرآن العظيم**، ط٢، دار الفجر للتراث، القاهرة.
٩١. ابن كثير، إسماعيل بن عمر:ب.ت، **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩٢. ابن كثير، إسماعيل (١٤٢٣ه_٢٠٠٣م) : **قصص القرآن**،ط١،مكتبة الصفا، دار البيان الحديثة، القاهرة.
٩٣. النووي، يحيى بن شرف (١٤٠٥ه_١٩٨٥م) : **رياض الصالحين**، ط١،دار الكتب العلمية، بيروت.
٩٤. النيسابوري،مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي:ب.ت، **صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٩٥. هاشم، أحمد عمر: ب.ت،**زاد الداعية**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
٩٦. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك (١٤٢٥ه_٢٠٠٤م) : **السيرة النبوية**، ط٢، دار الفجر للتراث، القاهرة
٩٧. يالجن، مقداد (١٣٩٧ه_١٩٧٧م) : **التربية الأخلاقية الإسلامية**،ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٩٨. ياسين، عبد السلام(١٤١٥ه_١٩٩٥م) : **المنهاج النبوي تربية وتنظيما وزحفا**، ط٤، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة.
٩٩. يكن، فتحي(١٣٩٤ه_١٩٧٤م) : **مشكلات الدعوة والداعية**، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٠٠.يكن، فتحي(١٣٩٧ه_١٩٧٧م) : **قوارب النجاة في حياة الدعاة**، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار الإيمان للطباعة والنشر، طرابلس، لبنان.
١٠١.يكن، فتحي:ب.ت، **ماذا يعني انتمائي للإسلام**، مؤسسة الرسالة.
١٠٢.يس، نبيه (١٣٩٧ه_١٩٧٩م) : **أبعاد متطورة للفكر التربوي** ، مكتبة الخانجي ، القاهرة.
١٠٣.

ثانياً: الرسائل الجامعية

١_ الصلابي، علي محمد محمد (١٤٢٤ه_٢٠٠٣م)،"**تبصير المؤمنين بفقه النصر والتمكين في القرآن الكريم**"،ط١، دار الفجر للتراث، القاهرة.
٢_بدح مجدي (١٤٢١ه_٢٠٠١م):الأبعاد التربوية لأحكام الزواج والطلاق في ضوء الكتاب والسنة، **رسالة ماجستير غير منشورة**، الجامعة الإسلامية،غزة .
٣_لولو، محمد فتحي (١٤٢١ه_٢٠٠١م)،"الآثار التربوية للإيمان بالقضاء والقدر"**رسالة ماجستير غير منشورة**،جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤_ يوسف، محمد السيد محمد (١٤١٦ه_١٩٩٦م)،"**التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم**، ط١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

ثالثاً:الدوريات والأبحاث

١_بني عامر، محمد أمين حسين محمد (١٤٢٥ه_٢٠٠٤م)،"معالم الدعوة الإسلامية كما رسمتها سورة العنكبوت لدعاة الإسلام وحملته"، **مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية**، المجلد ٢٠، العدد الأول:٢٠٠٤، ص٥٦٩_٦٠١.

٢_الجليند، محمد السيد الجليند (١٤٢٦ه_٢٠٠٥م) ، مقال بعنوان:"تأملات في كتاب الله ، الإنسان وتجربة الابتلاء"، **منبر الإسلام**، السنة ٦٤، العدد٣، ١٨،٢٠٠٥ ص _ ٢٢.

٣_حبيشي، طه الدسوقي، مقال بعنوان:"الابتلاء حقيقته وحكمته"،**هدى الإسلام**، السنة التاسعة _ العدد الأول، ص ٧_ ٩.

٤_ أبو دف، محمود خليل(١٤٢٤ه_٢٠٠٣م) دراسة بعنوان:"معالم الفكر التربوي عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن"، **مجلة الجامعة الإسلامية بغزة**، مجلة محكمة تصدر عن عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الحادي عشر، العدد (الثاني) ، يونيو ص ١-٥١.

٥_فتحي، صلاح الدين (١٤٠٣ه_١٩٨٣م) ، مقال بعنوان:"الابتلاء وواقع الحركة الإسلامية"، **الطليعة الإسلامية**، السنة الأولى، ١٩٨٣، ص ٥٨ _ ٦٢.

٦_القفاري، عبدالله بن سليمان (١٤٢١ه_٢٠٠١م) ، مقال بعنوان:"الابتلاءات"، **البيان**، السنة السادسة عشر، العدد ١٦١، ٢٠٠١، ص ١٤٣ _ ١٤٤.

٧_ المسير، محمد (١٤٢٣ه_٢٠٠٢م) مقال بعنوان:"سنة الابتلاء وحتمية النصر"،**منبر الإسلام**، السنة ٦١، العدد ٣، ٢٠٠٢، ص ٣٠ _٣٣.

٨_ نصار، نصار أسعد (١٤٢٥ه_٢٠٠٤م) دراسة بعنوان:"مفهوم الابتلاء في القرآن الكريم، **مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية**، المجلد ٢٠، العدد الأول،ص ٥٢٩_ ٥٦٧.

رابعاً: مواقع إنترنت:

١_ موقع إسلام تودى،مقال بعنوان: **مفهوم السعادة في الإسلام**،(١٤٢٦ه_٢٠٠٥م)
http://www.islamtoday.net/toislam/13/13.1.cfm

٢_موقع أهل السنة والجماعة، مقال بعنوان: **لاينزل بلاء إلا بذنب ولا يرفع إلا بالتوبة**،ب.ت،
http://www.sunna.info/Lessons/islam_445.html

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣_موقع بلاغ، مقال بعنوان: **كيف يحقق الإسلام الأمن والسكينة والطمأنينة**، ناهد الخراشي(١٤٢٠ه_٢٠٠٠م) http://www.balagh.com/youth/5u0tpkth.htm

٤_ موقع بينات،دراسة بعنوان: **التكافل الاجتماعي في الإسلام/إنفاق العفو نموذجاً**، مصطفى محمود عبد السلام، الحياة الطيبة العدد ١٢ ربيع(١٤٢٤ه_ ٢٠٠٣م) http://arabic.bayynat.org.lb/itlalat/takafoul.htm

٥_موقع صيد الفوائد، مقال بعنوان: **الولاء والبراء**، عبد الملك القاسم، http://saaid.net/arabic/ar45.htm

٦_ موقع صيد الفوائد،ب.ت، http://saaid.net/aldawah/94.htm.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com